مجلة المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٨ — ٢٨ ذي القعدة سنة ١٣٦٧

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٣ —

حرف الحاء (١)

الحاج : ܚܓܬܐ ، ܚܓܐ ، ܚܓܐ hogtho , hogue , hago

قال ابن بهلول ص ٧١٥ الحاج ، الينبوت كذا أورده ابن سروشويه بحاء وجيم وقال هو الشوك الذي يحمل الخرنوب ، وفي معجم الألفاظ الزراعية ، حاج ، شوك الجمال ، عاقول ، والينبوت هو خرنوب المعزى أو خرّوب الخنزير (ص ١٣٥ و ٥٢٠ و ٤٥) وفي أقرب الموارد ١ : ٢٤٢ الحاج : نبت من الحمض ، وضرب من الشوك . وورد في نبوة اشعيا ٥٥ : ١٣ «وعوضاً عن الشوك يطلع الاذخر» (٢) وفي بعض ميامر مار يعقوب السروجي (٣) .

---

(١) يستدرك على أقرب الموارد في قوله « ١ : ١٥٥ الحابورة مقعد اليهود في مجامعهم » ان اللفظة عبرية وسريانية النجار اذ أورد دليل الراغبين ܚܒܘܪܬܐ ܕܝܗܘܕܝܐ habroutho dihoudhoié بمعنى جماعة اليهود وكنيستهم . انظر اللباب للقس جبرائيل قرداحي مج ١ ص ٣٨٨

(٢) عن الترجمة السريانية البسيطة وأما في الترجمات العربية فورد السر ومكان الاذخر

(٣) الميمر ٨٦ مج ٣ ص ١٣٤

حاشا : ܚܘܫܐ ، ܚܘܫ̈ܐ hoché , hocho قال ابن بهلول ص ٧٧٧ و ٦١٩ وهو النومع القزوح ، صحح حنين حاشا وسماها مرجيس ܙܡܒܘܪ̈ܐ zambouré وهو حاشا ، صقر ، وقزح وكلاهما نبت طيب الرائحة يتبّل به الطعام ، كذا في دليل الراغبين ص ١٨٨ وذكره السيد اودو في قاموسه ووردت اللفظة في كتاب طبي عتيق مكتوب سنة ١٢٢٤ م وخلت منها دواوين اللغة ومعجم الألفاظ الزراعية .

حانة : ܚܢܘ honou والنسبة اليها حاني ، خمّار ܚܢܘܝܐ honouio .

حانوت : ܚܢܘܬܐ honoutho دكان الخمار ثم أطلقت على الدكان بنوع عام . جاء في تاج العروس حانوت ، فاعول من حنت . قال ابن سيده معروف وقد غلب على دكان الخمار وهو يذكر ويؤنث قال الأعشى :

وقد غدوت الى الحانوت يتبعني —

ARCHIVE

والحانوت أيضاً الخمار نفسه . وفي حديث عمر انه احرق بيت رويشد الثقفي وكان حانوتاً يعاقر فيه الخمر ويباع ، والنسبة اليه حاني وحانوي . قال ابن سيده ، وهذا نسب شاذ البتة لا أشذ منه ، لأن حانوتا صحيح وحاني وحانوي معتل ا ه .

قلنا الحانوت حرف سرياني مدلوله خمارة مخدع ويستدرك على التاج انه ليس من فعل حنت ، وعلى ابن سيده انه مخطئ في تعليله لأن حاني وحانوي منسوبان الى الحانة لا الى الحانوت .

الحُبّ بضم الحاء : اناء كبير للماء يشاكل الخابية من الفخار يستعمله أهل العراق ، قال الاسكافي ص ٥٦ الحب اكبر من الجرة ولا عروة له وجمعه حِباب وحِبَبَة ، وفي المصباح جمعه حِباب وحِببة وزان عنبة . قال ابن عبيد ١٠ : ١٠ أربيت الحبّ بالقير أصلحته به ، وفي الصحاح : الحبّ الخابية فارسي معرّب وهو مولد قال اصله خنب . وفي شفاء الغليل ص ٦٨ « اناء معروف للماء قال ابو منصور مولد وهو معرب خُنْب . وهو بمعنى المحبة عربي فصيح » ا ه !

قلنا هو معرب من السريانية ܚܘܒܐ houbo ولا شأن للمحبة فيه ·

حبيس : ܚܒܝܫܐ ، ܚܒܝܫܝܐ hbishoio, hbisho الحبيس صفة الراهب الناسك الذي حبس نفسه في صومعة منفرداً للتعبد لله ، والجمع حبساء ، جاء في كتاب المعمّرين للسجستاني : يدعون الرهبان بالحبساء : والحبيس في المعاجم المحبوس في سبيل الله أي المفرز لذلك ، فيقولون حبيس الله · وفي البيان والتبيين للجاحظ ٢ : ١٩٤ ورد في فرس : هو حبيس في سبيل الله ان ازلتني عنه · ولم تنوه به دواوين اللغة بمدلوله الأول الذي وضع له · وجاء في مسالك الأبصار ص ٣١٠ دير اخويشا وحويشا ، بالسريانية الحبيس وهو باسعرْد ، وانما نقله بحسب اللهجة الشرقية التي تسمى الكلدانية ·

الخُتامة : ما فضل على الطبق الذي يؤكل عليه قاله ابو عبيد في المخصص لابن سيدة ٥ : ١٢ وقال الفيروزبادي (القاموس ٤ : ٩٣) الختامة ما يبقى على المائدة من الطعام أو ما سقط منه اذا أكل · وتختم : اكلها (اي أكل الختامة) فصاغوا منها هذا الفعل · وهي كلمة سريانية ܚܘܬܡܐ houthomo ومعناها : خاتمة ، نهاية ، اخر ، من فعل ܚܬܡ htham : ختم ، اكمل وأما فعل ختم العربي فمدلوله ، قضى وأوجب ، وأحكم ·

الحَجّ : لفظة عبرية الأصل منها أخذتها السريانية ثم أعارتها عرب النصارى ، اصل معناها دائرة رقاصين ، فرح ، سوق ، ثم انتقلت الى معنى مجمع ، محفل ، عيد حافل ، فزيارة مقدس ، واختصت بهذا الأخير وتنوسيت معانيها الأولى · ܚܓܐ hago والفعل ܚܓ و ܚܓܝ hague , hagui والثاني هو المأنوس : حجّ احتشد ، عيّد ، والفاعل ܚܓܝܐ hagoio (معجم ابن بهلول ، وكنز اللغة السريانية ، والدليل وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٥ « وتحج اليك عساكر الأمم » (الدين والدولة ص ٩٥) وقال ياقوت عن دير نجران « فكانوا (بنو عبد المدان) يحجونه هم وطوائف من العرب · (معجم البلدان ٤ : ١٧٨) وقال ابن القلانسي

في كتابه ذيل تاريخ دمشق ص ٦٩ في بيعة القيامة «هذه بيعة ... تعظمها النصارى أفضل تعظيم وتحج اليها عند فصحهم» .

حِرْذون : وُيروى بالدال المهملة حردون : قال الفيروزابادي : ذكر الضب أو دويبّة اخرى . وفي شفاء الغليل ص ٦٩ دابة تشبه الحرباء ، قال الأصمعي لا أدري صحتها في العربية ، وكذا في المعرب للجواليقي ص ١١٨ وكثر اختلافهم في حقيقة وصف هذه الدويبة ، والكلمة سريانية ܚܪܕܘܢܐ bardhono . وفي معجم ابن بهلول : الحرذون نوعان : بحريّ يسمى تمساح وبرّي ويسمى سقنقور وضبّ ، ويقال له بالفارسية دوزون او روزون ، وكيف ما كان الحال فان الكلمة سريانية .

حريف : وحرّيف : حاذق ولاذع : وبالسريانية ܚܪܝܦܐ harifo وهو من توافق اللغتين ، وفي شفاء الغليل ص ٧٤ « الحريف الحاذق ليس بلغوي لكنه غير بعيد من المعنى اللغوي وهو المعامل » .

الحزّاء والحزّاي والحازي : الكاهن الناظر البصير العليم (الجمهرة ١ : ١٧) العائف والعالم بالأمور من العبرية أي الناظر والنبيّ أو مأخوذة من السريانية ܚܙܝܐ hazoio أي المتفقد والناظر والحكيم . قال الجاحظ في كتاب التربيع والتدوير ص ٢٣٥ «ولم تجدهم سموا كهان العرب سحرة ولا العرّاف ساحراً ولا الحازي» وفي تاريخ الطبري مج ٢ : ١٠١ « فلما نزل عمرو بن تبان اسعد ابي كرب اليمن ، مُنع منه النوم وُسلّط عليه السهر فيما يزعمون فجعل لا ينام ، فلما جهده ذلك جعل يسأل الأطباء والحزاة من الكهّان والعرّافين عما به» وورد (الحازي) في شعر افنون (المفضليات ص ٥٢٣) قال :

الا لست في شيء فَروحا مُعاديا ولا المشفقات اذ تبعنَ الحوازيا

(قال) الحوازي : الكواهن . ويقال فيه أيضاً ܚܙܘܝܐ bozouio والفعل ܚܙܐ hzo رأى ، أبصر ، نظر العواقب .

حَزاز الصخر : نباتات دنيا تعيش على الصخور والحيطان وقشور الشجر والتراب lichen (معجم الشهابي ص ٣٩٨) : سريانية ܚܙܘܙܝܬܐ hazozitho ·

حُسبان : قال صاحب الجمهرة ١ : ٢٢١ حسِبت الشيء أحسبه حِسباناً من قولهم حسبت كذا في معنى ظننت · وفي التاج ١ : ٤ ص ٢٢٥ الحُسبان بضم ج الحساب قاله الأخفش وتبعه ابو الهيثم نقله الجوهري والزمخشري وأقره الفهري ، فهو يستعمل تارةً مفرداً ومصدراً وتارةً جمعاً لحساب اذا كان اسماً للمحسوب او غيره لأن المصادر لا تجمع · قال ابو الهيثم يجمع أيضاً على أحسِبة مثل شِهاب وأشهبة وشهبان · وقال صاحب أساس البلاغة ١ : ١٧٢ رفع العامل حسابه وحسبانه · وفي القرآن «الشمس والقمر بحُسبان» اي بعلم ، او يجريان بحساب معلوم مقدر · وقال صاحب التاج : من غريب التفسير ان الحُسبان في قول القرآن : والشمس والقمر بحُسبان : اسم جامد بمعنى الفلك من حساب الرحا وهو ما أحاط بها من أطرافها المستديرة · قاله الخفاجي ونقله شيخنا ، يريد الفاسي ا م · وجاء في القرآن أيضاً «أو يرسل عليهم حُسباناً من السماء» قال ابو عبيدة : عذاباً ، ولا أدري ما أقول في هذا ·

قلنا الحُسبان كلمة سريانية ܚܘܫܒܢܐ houchbono وجمعها حسابانات ، أورده البيروني في كتابه الآثار الباقية ص ٢٠ وفي ص ٦٤ قال : فاذا لم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم · وتفيد أيضاً معنى : فكر ، رأي ، قصد ·

حُسبانة وحُسبان : وسادة صغيرة : وبالسريانية ܚܘܫܒܢܐ، ܚܘܫܒܐ houcbobo , houchbono [1] ·

الحاصود : جاء في ذيل أقرب الموارد ص ١٣٥ : الحاصود : حكاه ابن جني عن احمد بن يحيى ولم يفسّره ، قال ابن سيده «ولا أدري ما هو» (اللسان)

http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) حسّارين : قال البيروني في الآثار الباقية ص ٥٦ فلأجل ذلك تنوعت السنة عندهم (عند اليهود) بثلثة انواع ، الأول منها يسمى «حسّارين» وتفسيره : الناقص . قلنا هو لفظ عبري وهكذا في السريانية ܒܨܝܪܐ baciro ناقص من فعل ܚܣܪ hçar نقص ، قلّ ·

وقد وجدته في كتب المولّدين بمعنى الذي يحصد الزرع كما تستعمله عامة اهل بلادنا ج حواصيد ، وهكذا في الآثار الارامية لداود الجلبي ص ٣٣ وذكر مع اللسان مستدرك التاج ·

فالحرف سرياني ܚܨܘܕܐ hoçoudo تداوله وجمعه اهل الموصل وحمص ولبنان ، فلا نرى بأساً من ضمه الى العربية الفصحى ·

حِلْتيث : صمغ الانجدان ، علك قيرواني · وفي التاج الحِلْتيت كسكّيت ، صمغ الانجدان كالحلتيث · قال ابن سيده : الحلتيث عربي او معرّب · وقال الأزهري الذي احفظه عن البحرانيين الحلتيت بالخاء : الانجزد ٣ قال ولا أراه عربياً محضاً · قلنا هو سرياني ܚܠܬܝܬܐ haltitho (الآثار الارامية للجلبي ص ٣٣) ووقعت في الكتاب الطبي السرياني العتيق ·

حَلفاء : نبت ينبت في مغايض الماء والنزور ܚܠܦܐ ، ܚܠܦܐ hilfo haflo [(1)] ·

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

حَنان : ذكر صاحب الفائق عن بلال ص ٣٠٣ قال : « مرّ عليه ورقة بن نوفل وهو يُعذَّب فقال لئن قتلتموه لأتخذنه حناناً · أراد لأجعلنّ قبره موضع حَنان أي مَظِنّة من رحمة الله ، فأتمسّح به متبرّكاً كما كان يُتمسَّح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله في الأمم الماضية فيرجع ذلك عاراً عليكم وسُبّة عند الناس · وورقة هو ابن عم خديجة وهو احد من كان على دين عيسى » اهـ ·

قلنا : الحَنان هنا لفظة سريانية ܚܢܢܐ hnono وهو ما يجمع من تراب فوق اضرحة القديسين يُداف بماء ويشربه بعض الناس اهل اليقين الثخين تبرّكاً ، وليس معناه الرحمة وان توافقت اللفظتان السريانية والعربية ·

(١) يستدرك على الجواليقي في قوله ص ١٢٠ : الخندقوق نبطي ولا أدري كيف أعربه، الا اني اقول : « الدَّرق » بضم الدال وتشديدها وفتح الراء . ثم أورد فيه عن أبي زكرياء ، أربع لغات،قلنا انه حرف فارسي ومن الفارسية أخذته السريانية ܗܢܕܩܘܩܐ handaqouqo·

الحَنَّان : بتشديد النون : ذو الرحمة من الأسماء الحسنى ، رؤوف : ܚܢܢܐ hanono والحنان بتخفيف النون : الرأفة الرحمة : ܚܢܢܐ hnono والفعل ܚܢ : حنَّ hane وفي مزامير داود : ١١٦ : ٥ الرب حنَّان وصديق . والمادة سريانية .

الحنفاء : قال المسعودي في التنبيه والاشراف ص ٩١ « وهذه كلمة سريانية عرِّبت وانما هي حنيفوا وقيل جيء بحرف بين الباء والفاء ، وان ليس للسريانية فاء » اهـ ، انه يريد حرف V .

وقال عيسى بن علي : الحنيفية الجاهلية عبدة الأوثان الصابئة : من ܚܢܦܘܬܐ hanfoutho ومدلول ܚܢܦܐ hanfo وثني صابئ .

حَوْبَة : جاء في التاج ٢٣٨ الحوبة رقة فؤاد الأم ، والهم والحزن والحاجة والحالة .... والاثم . وفي التهذيب : ربِّ تقبل توبتي واغسل حوبتي . وورد في القرآن « انه كان حُوبًا كبيرًا » قال السيوطي في الاتقان : حَوْب تقدم في مسائل نافع بن الأزرق عن ابن عباس انه قال حوبًا : إنما بلغة الحبشية ؟ وفي التاج الحَوب : الفن والجهد والنوع والوجع والهلاك والبلاء . وتحوب تأثم . اهـ . وفي المصباح : حاب حوبًا اذا اكتسب الاثم ، والحَوبة بالفتح : الخطيئة . والمادة سريانية : ܚܘܒܬܐ hawbtho مدلولها : اثم ، واجب ، فريضة . والفعل ܚܒ hobe حاب و ܚܝܒ haièbe حوَّب ܐܬܚܝܒ ethhaïabe تحوَّب ، واسم المصدر ܚܘܒܐ بفتح الحاء hawbo الاثم والفاعل ܚܝܒܐ haiobo حائب وخائب .

حَوْر : عقل ، بصر منظر : ܚܘܪܐ hawro .

حَوْر : شجر معروف : ܚܘܪܢܝܬܐ ، ܚܘܪܐ hewro , hawronitho .

حُوَّارى : دقيق وخبز أبيض . وفي فتوح البلدان للبلاذري « لما دخلوا الابلَّة وجدوا خبز الحوارى فقالوا هذا الذي كان يقال انه يسمِّن » هو

حرف سرياني ܚܘܪܬܐ héworotho معناه : دقيق وخبز ابيض، قال الغر :

لها ما تشتهي عسل مصفى وان شاءت فحُواري يسمن

حَواري : والجمع حواريون : رسل السيد المسيح : وفي اقرب الموارد : الحواري الناصر ، وقيل ناصر الأنبياء ، ومن هنا قيل لرسل المسيح الحواريون . والحواريّ : القصّار لتحويره وتبييضه والحميم والناصح . وقال البيضاوي : حواريّ الرجل ، خالصته وهو البياض الخالص . وجاء في التاج « الحواريون خلصان الأنبياء وصفوتهم ... كانوا خلصاء عيسى وانصاره . وقيل لهم الحواريون للبياض لأنهم كانوا قصارين ... وتأويل الحواريين في اللغة الذين اخلصوا من كل عيب » وفي معجم الأدباء ١٦ : ١٦٣ هذا الزبير بن العوام حواري الرسول . وأخطأ صاحب التاج ، وابن سيده في زعمه عن ابن عبيد ان الحواريين سموا بذلك لأنهم كانوا قصّارين (٩ : ١٥٩) ومثلهم الفيومي في المصباح وابن ابي حاتم الذي اخرج عن الضحاك فقال : الحواريون الغسالون بالنبطية وأصله هوارى (كذا) (الاتقان للسيوطي ص ١٣٨)

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

قلنا ان مادة حوّر أي بيّض وما تفرّع منها مما توافقت فيه السريانية والعربية ܚܘܰܪ hwar بيض ܚܶܘܳܪܳܐ héworo ابيض ، وتفسير بعضهم « الحواريين » بخلوصهم من كل عيب ونقاوة قلوبهم وطهارة أثوابهم ، هو اجتهاد في الرأي ، اما انهم كانوا قصّارين او غسّالين ، فلا صحة له أصلاً .

قا ابو القاسم الراغب الاصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » ص ١٣١ « الحواريّون أنصار عيسى قيل كانوا قصّارين وقيل كانوا صيادين وقال بعض العلماء انما سموا حواريين لأنهم كانوا يطهرون نفوس الناس بافادتهم الدين والعلم ... قال وانما قيل كانوا قصارين على التمثيل والتشبيه ، وتُصوّر منه من لم يتخصص بمعرفته الحقائق ، المهنة المتداولة بين العامة . قال وانما كانوا صيادين لاصطيادهم نفوس الناس من الحيرة وقودهم الى الحقّ » .

والفظة ܚܘܳܪ̈ܶܐ héworé بمعنى الحواريين خلا منهـا المعجم القديم ومعجما ابن بهلول والمطران توما اودو ، وأوردها صاحبا الألباب ودليل الراغبين ٠

على ان نولدكي العالم الألماني المتوفى عام ١٩٣٠ م ذهب الى انَّ الكلمة حبشية النجار (حواريا) ومدلولها الرسول ، وتابعه على رأيه كل من بحث بعده فيها [١] ، ونحن نرى في رأي الرجل اصابة وجودة ٠

حَوْك : باذروج ، نبت ܚܰܘܩܳܐ hawqo ٠

الحَوْل ، والحَيْل : القدرة على التصرف والحيل القوة ، لغة في الحول ، سريانية ܚܰܝܠܳܐ ، ܚܝܠ hil , hailo : قوة ، قدرة ، طاقة ، امكانية ، والفعل ܚܰܝܶܠ haïèle قوّى ايَّد ، قال ابو حيّان التوحيدي في كتاب الإمتاع والمؤانسة ص ١٥ « لأن الانسان صغير الجرم ضعيف الحول » ٠

وأما قول الكسائي في « لا حيلَ ولا قوة الا بالله » ، والمعنى ذا الكَيْد والمكر الشديد لأن اصل الحَوْل الحركة والاستطاعة » في ما ذكر صاحب الفائق ص ٣١٧ ، فهو غلط صوابه : لا طاقة ولا قوةَ الا بالله ٠

حِياصة : ܚܨܳܐ ، ܚܘܝܳܨܳܐ houioço , heoço نطاق ، حزام ، وثاق ، والفعل ܚܰܝܶܨ baïece نطّق ، زنّر ، جاء في التاج : الحياصة ٠٠٠ سير في الحزام وقيل سير طويل يشد به حزام السرج وفي التهذيب الدابة (حزام الدابة) قلت هذا هو الأصل وقد استعمل في كل ما يشدّ به الانسان حقوه ، شامية » اهـ ، فالكلمة سريانية وكان يتداول استعمالها اهل الشام ولا تزال معروفة في الموصل [٢] ٠

حَير : حِمىً ، معقل حوله الخندق ، معسكر : وفي مسالك الابصار لابن فضل الله العمري ص ١٣٥ « وأخذ (سليمان) في بناء المسجد فلم يثبت البناء وكان عليه حَيْر بناه داود » اهـ ، وعلّق عليه الطابع : شبه الحظيرة والحمى ٠ والكلمة سريانية النجار ܚܺܝܪܬܳܐ hirtho ٠

---

(١) نستثني الكرملي الذي التبس عليه وجه الصواب فبدا له رأي سقيم تقبّله وتصدّقه ، بزعمه ان الحواري لغة في « الحوالي » نسبة الى الحوالة ، ومعناها المعوّل على الجهلة ليعلمهم الآداب والدين ! (مجلة لغة العرب جزء ٩ : ٦٦٤ » (٢) راجع الآثار الآرامية للجلي ٠

حرف الخاء

خابية : قال الاسكافي : الخابية أعظم من الحُبّ ، وقيل فيها حُبّ ، جرة ضخمة ܚܒܝܬܐ ، ܚܒܝܬܐ habitho , hobitho والجمع خوابي ٠

خَبالية : قال في الجمهرة ص ٢٣٩ واهل اليمن يقولون للرجل اذا رثوا له من عيب فيه : (خباليه من كذا وكذا) اخرجوها مخرج حنانيه وهذاذية وما اشبه ذلك ، وهي سريانية ܚܒܠܘܗܝ hbolaw أسفاً عليه ܚܒܠܝܟ hbolaiq أسفاً عليك ولا تزال جارية على ألسن أهل دمشق ٠

خَبيص : حلواء من سميد وسمن وعسل ، وفي فتوح البلدان للبلاذري ص ٣٣٦ «فذاق الخبيص فقال ان هذا لطيب اثر ، ا كلّ المهاجرين ا كل منه شبعه ٠ وفي ص ٣٤٨ أتى نهر المرأة ٠٠٠٠ فزودته خبيصا فجعل يقول اطعمونا من دقيق المرأة ٠ وهو بالسريانية ܚܒܝܨܐ habiço ٠

خَتَن : صهر الرجل المتزوج بابنته او باخته ، قاله ابن سيدة ٣ : ١٥٢ هو حرف سرياني ܚܬܢܐ hathno والفعل ܚܬܢ hathène خاتن ، صاهر ، والمصدر ܚܬܢܘܬܐ hathnoutho مخاتنة ٠

خَربَق كجعفر : نبت كالسم يغشي على آكله ولا يقتله ، وخربق دواء : ܚܘܪܒܩܢܐ hourbaqno ٠

خَربَق : في التاج : خربق النبتُ اتصل بعضه ببعض ، وخربقَ العمل : افسده ٠ ومثله في أقرب الموارد وبالسريانية ܚܪܒܩ harbèq : عقَل ، شبَك ، ربك ٠

---

(١) خشل : الحليّ عامية في بلاد العراق : ووقعت في كلام كمال الدين ابن الفوطي ، في كتابه « الحوادث الجامعة في المئة السابعة ، طبعة بغداد سنة ١٩٣٢ » ٠ « فدخل جماعة معهم ثياب وخشل » ص ١١٨ واللفظة سريانية ܚܫܠܐ hechlo وأوردها أيضاً ابن العبري في تاريخ مختصر الدول ص ٤٤٦ « وفي سنة ٦٤١ خرّب يساور نوين ملطية وأخذ منها أموالاً عظيمة حتى خشل النساء » .

خرنوب : خرّوب شجر معروف ܚܪܽܘܒܳܐ haroubo وفي انجيل لوقا ١٥ : ١٦ «ان يملأ بطنه من الخرنوب» .

خسّ الحمار : ܚܰܣ ܚܡܳܪܳܐ Hass - hmoro .

خُصّ : بيت من قصب ، وبيت يسقّف بخشبة : ܚܽܘܨܳܐ houço وورد في معجم الأدباء ١١ : ٧٤ في ترجمة الخليل بن احمد «قال النضر بن شُمَيل : أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصّ لا يُشعَر به» وفي معجم البلدان ٧ : ٢٩٧ قال ابن عباس كانت منازل اهل الكوفة قبل ان تُبنى اخصاصاً من قصب . والأخصاص ج خُصّ .

خَصين : قال الاسكافي ص ٨٤ «الخصين فأس ذات خلف واحد» سريانية : ܚܰܨܺܝܢܳܐ hacino معناها : فأس ، فأس صغيرة .

خِلاف : صنف من الصفصاف ܚܶܠܦܳܐ helfo ܚܽܘܠܳܦܳܐ houlofo .

خُناق : بضم الخاء : داء يمتنع معه نفوذ النفَس الى الرئة والقلب . والجمع خوانيق (التاج وأقرب الموارد) وهو بالسريانية ܚܽܘܢܳܩܳܐ bonouqo : داءُ الخُناق .

خِنّوص : ولد الخنزير : ܚܰܢܽܘܨܳܐ hanouço .

خُوذة : المِغْفَر ، معرّب ج خُوَذ (أقرب الموارد) انه معرب من السريانية ܚܽܘܕܳܐ houdho وفي سفر صموئيل الأول ١٧ : ٥ «وعلى رأسه خوذة من نحاس»

خُور اسقف : اسقف الكورة : ܟܽܘܪܶܐܦܺܝܣܩܽܘܦܳܐ Kourepis coufo لفظة مركبة تركيباً مزجياً من (كورا) couro السريانية (واسقف) اليونانية ، وخففت فقيل فيها خوري ، والجمع خوارنة ، وذلك بعد ان تطورت سلطة صاحبها . فليست معربة من اليونانية كما قال صاحب أقرب الموارد ، ويستدرَك عليه أيضاً قوله : الخورية زوجة الخوري اذ هي لفظة عامية تجوّز باستعمالها أهل بلاد الشام . والذي ورد في معجم ابن بهلول عمود ١٥٩٤ «ان زوجة الكاهن أي الكاهنة تسمى ܦܰܦܺܝܰܐ papia وهذا لأجل كرامة الكاهن لتتميز بهذا

اللقب من باقي النساء » اهـ كذا بحروفه نقلاً عن النسختين المطبوعة والخطية .

خُوص : ورق النخل خاصة ܚܘܨܐ houço .

* * *

حرف الدال

الدَّالية : الكرمة جمعها دوالي لفظة سريانية ܕܘܠܝܬܐ dolitho قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ٨٨ الدالية الذي يستخرج الماء من البئر بدلو ونحوه ، واستعمالها للعنب المعرَّش خطأ قاله الزبيدي . وفي القاموس : الدوالي عنب اسود غير حالك ، وفي أقرب الموارد : الدالية شجرة الكرم وهذه مولَّدة . ولم ترد في الأساس والمصباح بهذا المعنى . وجاء في الفائق ص ٤٠٦ « قالت ام المنذر العدَويّة دخل عليٌّ الرسول ومعه عليٌّ ولنا دوالٍ معلقة نقام فأكل ... والدوالي بُسر يعلّق فاذا ارطب أُكل وهي من التدلية » .

دانَ : حكمَ ، وفي الأساس ١ : ٢٩١ : دِنْته بما صنع جزيته : اللفظة سريانية ܕܢ done .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الدِّين : والمصدر الدين : ومنه يوم الدِّين ويوم الدينونة : يوم الحشر : ܕܝܢܐ dino [1] والله الدَّيّان : ܕܝܢܐ daino قال ابو العتاهية من شعر وجّه به الى الرشيد .

الى ديّان يوم الدين نمضي وعند الله تجتمع الخصومُ

وفي حماسة البحتري لعتاهية بن سفيان الكلبي :

فاضحوا احاديثاً لغادٍ ورائحٍ يدينهم بالخير والشر ديّانُ

والديّان القاضي ، ومنه ، وكان عليٌّ ديّانَ هذه الامة بعد نبيّها أي قاضيها . وقال الأعشى للرسول : يا سيّد الناس وديّان العرب (الفائق ٤٢٣) وفي الحديث : مكتوب في الانجيل « كما تدين تُدان » .

---

(١) وورد الدين بمعنى القضاء في اللغة البابلية قال الأب بولس دورم الدومنكي في كتابه « الديانة الاثورية البابلية ص ٨٣ bêldîni معناها سيّد القضاء .

دارس : مدارس قال في الاتقان : دارست معناه قارأت بلغة اليهود ، وفي أساس البلاغة ١ : ٢٦٨ اجتمعت اليهود في مدارسهم ، وهو بيت تُدرس فيه التوراة . والفعل عبري وسرياني : ܕܪ̈ܫܐ drashe وفي العُباب « المدارس الموضع الذي يقرأ فيه القرآن وكذلك مدارس اليهود » .

مِدراش : بالشين المعجمة ، وهو ترنيمة يستعملها السريان في صلواتهم واول من نظمها القديس افرام السرياني المتوفى سنة ٣٧٣ م والجمع مداريش ܡܕܪ̈ܫܐ madrosho ويجب ادخالها في المعاجم .

دبس : عسل العنب ، وفي الأساس ١ : ٢٦٢ ائتدموا بالدبس وهو عصارة الرطب ، سريانية ܕܒܫܐ debcho .

الدباسات : بتخفيف الباء ذكرها الدينوري وفسَّرها بالخلايا الأهلية (التاج) وهي معربة من السريانية ܕܒܫܬܐ ج ܕܒܫ̈ܬܐ dabochotho , dabochto .

دَبُور : زُنبور ، سريانية ܕܒܘܪܐ dobouro جنس حشرات من فصيلة الزنبوريات ورتبة غشائيات الاجنحة (معجم الشهابي ص ٢٨٧ و٣٢١) .

ARCHIVE
http://ArchiveBeta.Sakhrit.com

دُبيرة تصغير دَبْرة قال صاحب الفائق ص ٣٨٤ «سميت بذلك لتدبّرها ونيقتها في عمل العسل» قلنا اللفظة سريانية ܕܒܘܪܬܐ و ܕܒܘܪܝܬܐ débourito , débourto .

دَجّ : افضل الطير البرّي ، من رتبة العصافير ذات المنقار المسنّن من نوع الشحرور ، ومن أحسن طيور الصيد . سرياني : ܕܘܓܐ dougo (الآثار الارامية للجلبي ص ٣٨ و ٣٩) .

دَجّال : الدجّال : الكذّاب المموه (التاج ٣ : ٣٣٨) ولقب المسيح الدجال (اي الضالّيل الكذّاب الذي يظهر في آخر الزمان) وفي الفائق ص ٣٨٦ « ان أبابكر خطب فاطمة فقال الرسول اني وعدتها بعلي ولست بدجّال ، اي خدّاع واصل الدَّجْل ، الخلط وبه سمي مسيح الضلالة لخلطهِ الحق بالباطل »

وفي حديث جس ٣٦٥ لم يسلّط على الدجال الا عيسى بن مريم • وفي كتاب التربيع والتدوير للجاحظ ص ١٩٩ «من ابو جرجم ومن رهط الدجال» وفي كتاب ليس : لم يسمع جمع الدجال من احد الا من مالك بن أنس فقيه المدينة ، فانه قال هؤلاء الدجاجلة كما ورد في معجم الأدباء لياقوت ١٨ : ٨ «فقال له رجل : ان محمد بن اسحق يقول اعرضوا عليَّ علم مالك بن انس فاني انا بيطاره (الخبير به) فقال مالك : انظروا الى دجّال من الدجاجلة • قال ابن ادريس : وما رأيت احداً جمع الدجال قبله» اه •

اللفظة سريانية ܕܓܳܠܳܐ dagolo من فعل ܕܓܰܠ و ܕܰܓܶܠ دجل ، كذب daguèle , dgal والمصدر ܕܰܓܳܠܽܘܬܳܐ dagoloutho : كذب ، خداع •

دَخَس : دخس الشيء في التراب ، دسّه (أقرب الموارد) ܕܟܰܫ dcache وردت في قصة الشهيدين شمونا وكوريا[1] •

درابزون : الدرابزين والدرابزون : قوائم خشب او حديد ، اعجمية (اقرب الموارد) وعندنا انها سريانية ܪܽܘܩܒܳܢܳܐ roucbono وفي سفر الملوك الأول ١٠ : ١٢ وعمل سليمان من خشب الصندل درابزيناً •

دُرّاج : طائر ملوّن الريش يشبه الحجل ܕܪܳܓܳܐ darogho •

دراقن : قال الجواليقي في المعرّب ص ١٤٣ «قال ابن دريد (الجمهرة ٣ : ٥٠٣ و ٣٣٤ و ٣٩٦) وعرب الشام يسمون الخوخ الدراقن وهو معرب ، سرياني او رومي» ومنه نقل صاحب شفاء الغليل ص ٨٣ • وقال السيوطي في المزهر ١ : ١٦٧ (دراقن بالتخفيف : الخوخ لغة شامية لا احسبها عربية) • قلنا هي سريانية ܕܪܽܘܩܺܝܢܳܐ drouqino •

دَرْب : طريق : قال في المصباح ٢٩٣ الدرب المدخل بين جبلين والجمع دروب وليس أصله عربياً ، والعرب تستعمله في معنى الباب فيقال لباب السكة

(١) الفيا ثاوفيلس في صدر المئة الرابعة للميلاد قال ما تفسيره «وادخس كلا من اقدامكم في قفص من حديد» (مقدمة دليل الراغبين ص ٢١ ولعلها من تواتق القلقات) .

درب وللمدخل الضيق درب لأنه كالباب لما يفضي اليه · أورد هذا الأستاذ سليم الجندي في رسالة الطرق (المجلة مج ١٩ : ٣٣٢) وأردف قوله : «وفي اللسان : الدرب باب السكة الواسع او الواسعة والجمع دروب» واعتمد صاحب المصباح على المعرب للجواليقي قال ص ١٥٣ «والدروب : ليس أصلها عربيا ، والعرب تستعملها في معنى الأبواب · ويقال لهذه المداخل الضيقة من بلاد الروم «دروب» لأنها كالأبواب لما تفضي اليه · وقد استعملوا ذلك قديما · قال امرؤ القيس :

بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه وايقن انّا لاحقانِ بقيصرا

وانكر شارح الكتاب على الجواليقي قوله وذكر أن ابن دريد قال «الدرب : الباب عربي معروف» (الجمهرة ١ : ٢٤٣) ·

واللفظة عندنا سريانية ܕܘܪܒܐ : درب طريق · وفيها لغة ثانية ܕܘܪܒܐ dourbo , derbo ·[1]

دَسْكَرة : قال الجواليقي في المعرب ص ١٥٠ «بناء شبه قصر حوله بيوت تكون للملوك والجمع دساكر وهو معرب» وفي النهاية «الدسكرة بناء على هيئة القصر فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية محضة» ومثله في التاج ماعدا العبارة الدالة على أصله · وفي اللسان «الدسكرة بناء كالقصر حوله بيوت الأعاجم يكون فيها الشراب والملاهي قال الأخطل :

في قباب عند دسكرةٍ حولها الزيتونُ قد ينعا

وقيل هذا البيت لأبي دهبل ، وقيل ليزيد وقيل للأحوص · (اسما منتخبة لمسميات حديثة ، للسيد احمد رضا : في المجلة مج ١٦ ص ٢١) وقال : والدسكرة اذا صح انها غير عربية ، فهي معربة في الزمن الأول) ·

(١) الدربخة : الاصغاء الى الشيء ، قال ابن دريد «وهو مما أخذوه من السريانية» اهـ المزهر ١ : ١٦٦ – قلت ليس هذا الحرف في السريانية – ومن هذا وأمثاله ترى ان ابن دريد واضرابه وان تقادم عهدهم ، لا يطبّقون مفاصل الصواب في سائر آرائهم في نجار الألفاظ .

قلنا أوردها دليل الراغبين دون بقية المعاجم ܕܣܩܪܬܐ dasqartho : مدلولها : دسكرة ، قرية عظيمة ، بناء يشبه القصر حواليه بيوت للملوك والعظماء ، صومعة كرح ، جمعها دساكر . وفي نبوة اشعيا ٣٥ : ٢ « متعطى بأحمدِ محاسن لبنان وكمثل حسن الدساكر والرياض » (الدين والدولة ص ٨٥) .

دِفران : عَرعَر ، ابهل ، شجر له رائحة طيبة وثمره كالفسبق ، قال الشهابي صاحب معجم الألفاظ الزراعية ص ٣٠٢ « عرعر الشام genèvrier الدفران ، شامية لم أجدها في كتب اللغة ولا في المفردات وهي سريانية » قلنا ܕܦܪܢܐ بفتح الدال dafrono ويسمى حَبّ العَرعَر ܒܢܬ ܕܦܪܢܐ bnoth dafrono .

دقل : جاء في مجلة لغة العرب ٥ : ٩ ص ٣٢٤ (الدقل جاء عن كثيرين من المؤلفين بمعنى النخل والنخلة ، فالكلمة عربية وعبرية في وقت واحد » كذا . قلنا وسريانية أيضاً ܕܩܠܐ ، ܕܩܠܬܐ ، ܕܩܠܘܢܐ ، deqlo , deqltho deqlouno وفي المزامير ٩٢ : ١٢ « الصدّيق كالنخلة يزهو » وفي ترجمة التوراة السريانية البسيطة وردت لفظة الدقل ، فهو من توافق اللغات .

---

(١) الداشِن معرب الدَّشْن : جاء في اللسان والقاموس والتاج وأقرب الموارد ان مدلولها الثوب الجديد لم يُلبَس والدار الجديدة لم تُسكن ، ومنه اثبت الأخير فعل دشّن الثوب ، والمعبد . وقال فيها اللسان والتاج ان الداشن كلام عراقي وليس من كلام أهل البادية . ونقل عن الجواليقي ص ١٤٥ عن الليث والنضر ابن شميل ان اللفظة معربة . وقال بعض المعاصرين لنا انها فارسية التجار معناها « العطاء والاحسان » ولهذا ورد في القاموس واقرب الموارد ان دشّن معناه أعطى ، وتدشّن أخذ .

وفسر صاحب المعجم السرياني القديم وابن بهلول لفظة ܕܘܫܢܐ doshno وجمعها ܕܘܫܢ̈ܐ doshné بالهدية ، والدشن . والدواشن والصِّلات والهدايا ، أما المعاجم الجديدة فخلت من لفظتي الدشن والدواشن مما يدل على أنهما كانتا متداولتين في القرن العاشر الميلادي . ومنه فعل ܕܫܢ dashéne ومعناه أهدى ، منح ، وهب ، كفعل دَشَّنَ العربي ، فقال المطران ادى شير بفارسيتها او انها من توافق اللغات ، ورجح الدكتور الجلبي آراميتها لاثبات الفعل منها بخلاف الفارسية ، وحجته استعمال عامي عراقي لها بمعنى باكورة الثمر او البقل تُهدى الى الأكابر استدراراً لعطائهم وذلك جمعاً بين معنى الهدية والجديد . (الآثار ص ٤٠) .

ARCHIVE

دكدك : دقّ مراراً ، صيّر شيئاً تراباً ورميا . تدكدكت الجبال تهدّمت ، ودكداك : ارض فيها غلظ : ܕܗܕܗܐ dahdahe ، وفي نبوة اشعيا ٤٠ : ٤ « وتصير الآكام دكداكا » (الدين والدولة ص ٨٥) .

دُلب : قال الشهابي ص ٥٠٤ « الدُّلْب من اصل سامي له اشباه بالآثورية والارامية ، جنس شجر للتزيين » ܕܘܠܒܐ doulbo .

دُمية : شبه ، شكل ، صورة ، لفظة سريانية ܕܡܘܬܐ dmoutho و ܕܘܡܝܐ doumio والفعل ܕܡܐ و ܕܡܝ dami , dmo شابَه ، مثّل ، صوّر . جمعها الدمى : قال في التاج ١٠ : ١٣١ « الدمية الصورة المنقشة من الرخام (عن الليث) وفي الصحاح : الصورة من العاج ونحوه او عامٌ من كل شيء مستحسن في البياض ، او الصورة عامة ، وقال ابن الأثير : هي الصورة المصورة لأنه يتنوّق في صنعها ويُبالغ في تحسينها . قال الأعشى (التاج ٦ : ٣٤٤) وحُورٍ كأمثالِ الدُّمى ومناصفُ ، وقال الأحوص (الأغاني ٤ : ١٤٢) :

كأنّ لُبنى حبيرُ غاديةٍ او دُميةٌ زُيِّنت بها البِيَعُ

وقال عمرو بن أبي ربيعة (الكامل للمبرّد ص ٣٠٧)

دُميةٌ عند راهبٍ ذي اجتهادٍ صوّروها في جانب المحرابِ

(آداب نصارى الجاهلية للأب شيخو ص ٣٥٤) وقد غلط اللغويون في توهمهم أنها عربية الأصل ، وتمحّل بعضهم تعليلاً لها مغلوطاً فيه كقول ابي العلاء الذي عنه نقل التاج « قال سمّيت دُمية لأنها كانت تصوّر بالحمرة فكأنها أُخذت من الدم » ويقرب منه قول الأساس ١ : ٢٨٤ « جارية كدُمية القصر وجوارٍ كالدُّمى وهي الصورة المنقشة وفيها حمرة كالدم » .

الدِّنح : الظهور يراد به عيد الغطاس او العماد ܕܢܚܐ denho لفظة سريانية اسم مصدر من فعل ܕܢܚ dnah شرق ، ظهر ، لاح ، طلع . وتسمى به بعض السريانيين ، ومنهم ابو زكرياء دنحا الذي جرت بين المسعودي وبينه مناظرات

ARCHIVE

كثيرة ببغداد وغيرها[1] قال البيروني ص ٢٩٣ «وفي السادس من كانون الآخر دنحا، وهو عيد الدنح نفسه، ويوم المعمودية الذي صبغ فيه يحيى بن زكريا المسيح وغمسه في ماء المعمودية» وهكذا ابو الفداء في تاريخه ١ : ٩١ قال ابن دريد «لا أحسبها عربية وقد تكلمت بها العرب (المخصص ١٣ : ١٠٢) وجاء في التاج ٢ : ١٣٨ لا أحسبها عربية صحيحة عيد للنصارى وتكلمت به العرب، ثم علق بقوله «الدنح لفظ سرياني واصل معناه الطلوع» اهـ، وقال الجواليقي ص ١٤٤ «ليست عربية محضة وهي معربة».

دُوغ : مخيض حامض أورده الجواليقي في المعرَّب ص ١٥٥ «قال ابو زيد «الدَّوق» اللبن الكثير قال ابو حاتم، لعله فارسي معرب، يريد (الدُّوْغ) وفي القاموس «الدوغ بالضم : المخيض فارسي» وهو بالسريانية ܕܘܓܐ فلعلها من توافق اللغات، dowgho .

الدَّير : المسكن والمنزل الذي يسكن فيه جماعة الرهبان او الرواهب يتعبدون لله جلّ ثناؤه والجمع ديارات وديرة واديار، وهو لفظ سرياني بحت ܕܝܪܐ dairo والفعل ܕܳܪ و ܕܝܰܪ ومعناه حلّ وأقام daïare , dore وهذا الثاني هو المأنوس . وساكن الدير ܕܝܪܝܐ راهب، ناسك، ديراني، ديَّار dairoio ورأس الدير : ܪܝܫܕܝܪܐ richdairo والراهبة ديرانية، وقال فيها بعضهم ديرية : ܕܝܪܝܬܐ، ܕܝܪܢܝܬܐ dairon°itho , dairoito وليس اصله الدار كما زعم الجوهري (معجم البلدان ٤ : ١١٨) قال صاحب الأساس ١ : ٢٩١ «هذا دير الراهب اي صومعته، ومررت بديراني وديَّار وهو الذي يسكن الدير ويعمّره»[2] . وعن الشابشتي عن الفضل بن العباس بن المأمون، انه خرج مع المعتز للصيد ... فسألني الديراني عن المعتز ويونس» (مسالك

(١) اللؤلؤ المنثور للمؤلف ص ٣٥٦ : ٣٥٧ عن التنبيه والاشراف ص ١٥٥ وفيه ورد اسمه مصحفاً ذنحا او دنغا . (٢) راجع أيضاً مسالك الأبصار ١ : ٣٤٠ و ٣٤١ .

الأبصار لابن فضل الله العمري ص ٢٨٣)، وجاء فيه أيضاً ص ٢٦٩ عن اسحق الموصلي قال « ودخلت الدير اطوف فيه فرأيت ديرانية » ووردت الديرانية ، أيضاً في كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٣٢٩ وفي معجم البكري ص ٣٧٧ وقال ابو منصور « صاحب الدير الذي يسكنه ويعمّره : ديراني ودَيّار » معجم البلدان ٤ : ١١٨ ، وجاءت لفظة ديرية بمعنى الراهبة في مسالك الأبصار ١ : ٢٦٠ « عشرين ديرية » ويستدرك على ياقوت في معجمه (٤ : ١١٨) قوله : « الدير بيت يتعبد فيه الرهبان ولا يكاد يكون في المصر الأعظم انما يكون في الصحاري ورؤوس الجبال (فأن كان في المصر كان كنيسة او بيعة) واصوب منه قول المقريزي (الخطط ٣ : ٤٠٩) « الدير عند النصارى يختص بالنساك المقيمين به ، والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة » وينكر على اصحاب اللسان ٥ : ٢٨٧ والتاج والقاموس وابن سيده تعريفهم الدير بانه « خان النصارى » ! وقد دفعهم الى هذا التعسف الظاهر ان معظم الديارات كانت تنزلها القوافل لوقوعها على الطريق فتجد فيها ما تحتاج اليه من مأوى وطعام وعلف ، وخصوصاً أبناء السبيل . قال الخالدي في دير الزعفران الذي هو على جبل مطلّ على نصيبين ودبار ربيعة ... « ولهذا الدير بيوت للضيافة في علوّ الهيكل » (مسالك الأبصار ص ٣٠٥) راجع أيضاً فيه ص ٣٠٧ [1] .

* * *

---

(١) قال الجواليقي ص ١٤٩ (لا دهل) بالنبطية معناها لا تخف . وقد جاء في شعر بشّار : (فقلت له لا دهل من قل بعدما) . قال الأزهري « وليس لأ دهل ولا قل) من كلام العرب ، انما هو كلام النبط يسمون الجمل : قل » قلنا ܕܚܠܐ dehlo مصدر فعل ܕܚܠ خاف dhèle وهو بالحاء لا بالهاء معناه ، لا خوف . والجمل بالسريانية ܓܡܠܐ (كملا) بالجيم المصرية gamlo ولعلهم بها كانوا يلفظون اسم الجمل . وقال أيضاً ص ١٥٥ « الديّوث عن ابي بكر ، كلمة أحسبها عبرانية أو سريانية » قلنا ليست سريانية .

حرف الذال

مَذبَح : المذبح اسم مكان من فعل ذبح الذي توافقت فيه السريانية والعبرية والعربية . جاء في المصباح : «ومذبح الكنيسة كمحراب المسجد والجمع مذابح» وغلط صاحب القاموس بقوله «المذابح المحارب والمقاصير وبيوت كتب النصارى» قال صاحب الفائق ص ٤٢٨ عن مروان : «أُتي برجل ارتدَّ عن الاسلام فقال كعب أُدخلوه المذابحَ وضعوا التوراة وحلّفوه بالله ، قال شَمِر : المذابح : المقاصير ويقال هي المحاريب» . والمذبح في العُرف المسيحي «مائدة مستطيلة الشكل مستوية تكون في صدر البيعة يقرّب عليها القسيس القربان الالهي ، ويطلق أيضاً على البيت الذي في صدر البيعة المشتمل على موائد التقديس ومحلّ الاكليروس في أثناء ذلك» بهذا التعريف يجب تدوينه في دواوين اللغة . واللفظة السريانية ܡܕܒܚܐ madhbho وفي سفر التكوين ٨ : ٢٠ «وبنى نوح مذبحاً للرب» وفي الرسالة الى العبرانيين ١٣ : ١٠ «لنا مذبح لا يحل للذين يخدمون قبّة الزمان أن يأكلوا منه» .

ذَقَن : وذقن : مجتمع اللحيين من اسفلهما (القاموس واقرب الموارد) وفي الشفاء ص ٩٣ (... واستعماله بمعنى اللحية من كلام المولدين كما صرحوا به) وفي ذيل أقرب الموارد ... قال الزمخشري في ربيع الأبرار : «انه اللحية في كلام النبط» عن التاج : كلمة سريانية ܕܩܢ ، ܕܩܢܐ dakno , dkane : ذقن لحية ، والفعل ܕܩܢ dakène التحى ، أرخى لحيته .

ذِكْران : كلمة سريانية ܕܘܟܪܢܐ doukhrono مصدر فعل ܕܟܪ dkhar معناه : ذِكْر بكسر الذال واسكان الكاف ، شهرة ، صيت ، مدح ، تذكار عيد . عم استعمالها المسيحيين من السريان والكلدان والروم قديماً تعريباً من السريانية ، وجمعها ذكارين وذكرانات ، اكثر البيروني من ايرادها في الآثار الباقية ، من ذلك ص ٢٨٨ «في ما يستعمله النصارى الملكائية في الشهور

السريانية : تشرين الأول في اليوم الأول منه ذكران حنين الأسقف الشهيد تلميذ بولس (صوابه معلم بولس) ومن رسومهم في هذه الذكارين انهم يذكرون صاحبه ويدعون له ويثنون عليه ... وربما قسم الذكارين بعضهم على بعض فيقولون فلان صاحب ذكران فلان ، فاذا كان الذكران اجتمعوا عنده فأضافهم واطعمهم . وقال ص ٢٩٤ واذا كانوا صائمين (يريد الصيام الأربعيني) لم يستعملوا من الذكرانات التي نذكرها الا ما وقع منها يوم السبت فانهم يستعملونه فقط » وقال ص ٣٠٠ « وبين اسم الذكران والعيد فرق . فان العيد اجلّ رتبة والذكران ادون » اهـ . وقال الأب الكرملي في لغة العرب ٤ : ٨ ص ١٥٩ والكلمة ارامية معناها يوم العيد المخصص باحد اولياء الله من غير ان ينقطع الناس فيه عن الأشغال المتبعة . لأن اعياد النصارى على قسمين قسم لا يجوز فيه الأشغال المتبعة ، وقسم تجوز فيه تلك الأعمال ، وهذا القسم الأخير هو المعروف بالذكران بضم فاسكان اهـ ، ورواها بالدال المهملة ومرة بالمعجمة ، قلنا والكسر فيها أضبط من الضم . وورد في كتاب الناموس في قوانين ابيفانيوس عد ١٠١ « القداسات التي تقدس في ذكارينهم » وفي قوانين مجمع نيقية الأول : « وكانوا يعملون له الذكارين في كل سنة » وفي كتاب الجدل لماري بن سليمان ص ١٥ « وعملوا له الذكارين لظنهم انه توفي » وقال ابوالفرج الاصبهاني في فتاة قصدت الى بعض الديارات :

ابرزها الذِكرانُ من خدرها تُعظّم الديرَ ورهبانَهُ

(معجم الأدباء ١٣ : ١١٤) وقال القس ابو البركات ابن كبر في « مصباح الظلمة ص ٤٨ « والذكرانات والأفراح والمآتم » .

ذَكيّ : ܕܟܝܐ dakhio وتفسيره طاهر نقي نظيف خالص . والفعل ܕܟܐ ، ܕܟܝ dkho , dkhi طهر نظف : وفي العربية ذكّى الذبيحة ذبحها وكذا بالسريانية ܕܟܝ ، ܕܟܝܬܐ daki , dékhtho قربها . وورد عن

عن عمر بن الخطاب انه أمر العرب الذين غزوا اذربيجان قال : « انكم بارض يخالط طعام اهلها ولباسهم الميتة فلا تأكلوا الا ذكيّاً ولا تلبسوا الا ذكيّاً ، يريد الفراء » اهـ البلاذري ٣٣٥ . وما عنى بذكي الا ما طهر ، وتجد هذا المعنى في زكى . والزكيّ : الطاهر من الذنوب والطيب ومنها : فلينظر ايها ازكى طعاماً ، اي اطيب . وفي قوانين ايفانيوس في كتاب الناموس المذكور آنفاً « لأن يرى به انه في أكله اللحم الذكي لا رجاء له » . وفيه أيضاً « عند التذكية وقت فراغه وتنظيفه » فالكلمة سريانية او هي متوافقة في السريانية والعربية بل والبابلية أيضاً على ما أورد الأب دورم في كتابه المذكور آنفاً ص ٢٩٧ قال « zakû معناها نقي ، طاهر » .

* * *

حرف الراء

رَبّ : ܪܒ ، ܪܒܐ rab , rabo : ربّ ، سيد ، رئيس ، زعيم ، كبير ، عظيم ، كثير ، جليل . والفعل ܪܒ rab : ربأ ، ساد ، كَبُر ، كثر ، ذاع صيته . والمصدر ܪܒܘܬܐ raboutho : ربوبية ، عظمة ، جلالة ، قوة . ومنه ܪܒܐ ، ܪܒܢܐ rabono , rabo : إمام ، معلم ، استاذ ـ مادة سريانية ، وتوافقها العبرية ، ولا أصل لها في العربية ـ وفي التاج : الرب هو الله عزّ وجلّ وهو رب كل شيء أي مالكه . وفي القاموس ١ : ٧٠ الرب باللام لا يطلق لغير الله . والرباني : المتأله العارف بالله ، فالرباني كقولهم الحيّ ونونه كلحياني او هو لفظة سريانية » وفي صحاح اللغة للجوهري : الرباني العالم المعلم والموصوف بعلم الربّ ، او هو لفظة سريانية او عبرانية ، قاله ابن عبيد . وفي مفردات الراغب الاصفهاني ص ١٨٣ « وقيل ربّاني لفظ في الأصل سرياني ، وأخلِق بذلك فقلما يوجد في كلامهم » وفي التاج : الرباني العالم المعلم الذي يغذو الناس بصغار العلوم قبل كبارها ، وقيل هو العالم الراسخ في العلم والدين أو المتأله العارف بالله . وفي القرآن (ولكن

كونوا ربانيين[١]) غلب في العربية على الحبر إمام الشريعة وهو الأستاذ الفقيه . وفي تاريخ مختصر الدول ص ٢٥٠ (وجبريل يخاطبه (حنين) بالتبجيل ويسميه (الربان) اي الأستاذ ܪܒܘܢܐ rabono . وكذا في طبقات الأطباء ١ : ١٨٦ « ويقول له يا ربّن حنين وتفسير ربّن يا معلم » .

وقال الجواليقي ص ١٦١ « والربانيون » قال ابو عبيد : احسب الكلمة ليست بعربية وانما هي عبرانية او سريانية . وذلك ان اباعبيدة زعم ان العرب لا تعرف الربانيين . قال ابو عبيد وانما عرفها الفقهاء واهل العلم . قال وسمعت رجلاً عالماً بالكتب يقول « الربانيّون » العلماء بالحلال والحرام والأمر والنهي » اهـ، واورد السيوطي خلاصته في « الاتقان » وزاد : وجزم القاسم بانها سريانية ص ١٣٩ واضيفت « ربّ » الى البيت والجيش وغيرهما في السريانية والعربية ، قال ابو سفيان بن حرب الحضرمي :

وتنزل بلدةً عزّت قديماً وتأمن ان يناك ربُّ جيش[٢]

الربّانيون : فرقة من اليهود[٣] .

---

(١) سورة آل عمران في الآية ٧٩ ومثلها في سورة المائدة ٤٤ و ٦٣

(٢) علّق ناشر الجواليقي وشارحه على هذه اللفظة شرحاً طويلاً دفعه اليه التمحل وأملته عليه العصبية ، منكراً على قدماء اللغويين رأيهم ، وليته حوى شبه حجة لغوية يؤخذ بها . وكل ما فيه انه استند الى تعليل اجوف مملّ للراغب في المفردات ص١٨٢ ولسيبويه في نسبة الرباني وكفى بهذا التضعيف تنويهاً . وكذا تخريجه للفظة (رُبان السفينة) تعلّقاً برأي واهن لابن دريد .

(٣) الرُبّان (بضم الراء) قال الجواليقي ص ١٥٩ « الرُبّان صاحب سُكان المركب البحري لا أدري ممّ أخذ ، الا انه قد تكلم به ، عن الجمهرة ١ : ٢٧٧ » . وفي اللسان والتاج : رُبّان السفينة الذي يجريها ويُجمع ربابين ، قال ابو منصور (الأزهري) واظنه دخيلا ، وكذا في شفاء الغليل ص ٩٤ وغلط الزمخشري بقوله انه سُكان السفينة « وقعد على رُبّان السفينة وهو سكانها : ذنبها » الأساس ١ : ٣١٣ وصوابه صاحب السكان . قلنا ولا يبعد ما ذهب اليه الجلبي (الآثار ص ٤٦) ان الكلمة ܪܒ السريانية والعبرية ، فقد جاء في كنز اللغة السريانية ص ٤٧٥ ܪܒ ܡܠܚܐ rab - malohé وتفسيره رئيس الملاّحين فقالوا فيه الرُبّان .

رُبَّة : الرُبَّة الجماعة من الناس (القاموس) الجماعة الكثيرة او عشرة آلاف . قال ابو حاتم : قلت للاصمعي الربّة الجماعة من الناس ؟ فلم يقل شيئاً وأوهمني انه تركه لأن في القرآن : سورة آل عمران ١٤٦ (ربيون) اي جماعة منسوبة الى الربّة ، ولم يذكر الاصمعي في الأساطير شيئاً (المزهر ٢ : ٢٠٥) هي كلمة سريانية ܪܶܒܘ ، ܪܶܒܘܬܐ : rébou , rébouthо مدلولها : ربوة عشرة آلاف او مئة الف . وفي القرآن « وكأيّن من نبيّ قاتل معه رِبّيون كثير » اي الألوف والجماعة الكثيرة . وجاء في الاتقان ص ١٣٩ « وذكر ابو حاتم احمد بن حمدان اللغوي في كتاب الزينة ان ربّيون (سريانية) [1] .

الرِجْز : الغضب ، السَخط : كلمة سريانية ܪܘܓܙܐ roughzo من فعل ܪܓܶܙ rghèse غضب ، رجز : جاء في المزامير بحسب نسخة كتاب الدين والدولة ص ٧٧ « وهو يكسر في يوم رِجزه الملوك » وفي اشعيا « ودُستُ الأمم برِجزي » ص ١٠٠ . وفي صفنيا « لأصُبّ عليهم رِجزي واليم سَخَطي » ص ١٠٤ ، وفي نبوة ارميا « وأُنزل عليهم البلاء والرجز الأليم » ص ١٠٧ . وفي القرآن « وربّك فكبّر وقلبك فطهّر والرُجزَ (بضم الراء) فاهجُر » قال السيوطي في الاتقان فسّروه بالصنم ! والصواب ما قلناه آنفاً ، ويزيدك دليلاً قوله « كشفنا عنهم الرِجْز » اي السَخَط . وقال الراغب في المفردات ص ١٨٦ « وقوله : فالرُجز فاهجُر قيل هو صنم ، وقيل هو كناية عن الذنب فسماه بالمآل . وقوله : عذاب من رِجز أليم : فالرجز ههنا كالزلزلة » .

رَحمان : ܪܚܡܢܐ rahmono من صفات الله تعالى : وفي نبوة اشعيا ٤٩ « لأن رحمانهم معهم » (الدين والدولة ص ٩٧) وورد أيضاً في كتاب الشهداء الحميريين السرياني ص ١٣ و ٢٨ وفي القرآن ، وجاء في الاتقان ص ١٣٩ ذهب المبرد وثعلب الى انه عبراني واصله بالخاء المعجمة . وقال سلامة بن جندل :

(١) وفي كتاب دورم ص ٢٠٢ وردت rabûte بمعنى كبير في اللغة البابلية .

عجلتم علينـا حجتين عليكم   وما يشأِ الرحمانُ يعقِد ويُطلِق

وهو لفظ سرياني ، قال الصغاني في التكملة « سئل ابو العباس عن « الرحمن الرحيم » لم جمعَ بينهما ، قال لأن الرحمن سرياني ، والرحيم عربي » .

بل ان الأب بولس دورم الدومنكي ذكر في كتابه « الديانة الاثورية البابلية » ص ١٩٦ ان اللفظة كانت مستعملة في اللغة البابلية rimênû : رحمان .

رخل : صغير الضأن ، ورخلة صغيرة الضأن . ܪܚܠܐ ، ܪܚܠܬܐ rahltho , rahlo وردت في الكلدانية القديمة ، وفي نبوة اشعيا ٦٠ : ٧ « وتسير اليك اغنام قيذار كلها وتخدمك رخالات نباوت » (الدين والدولة ٩٥) ومنها اسم راحيل .

وانكر الحريري في درة الغواص ص ٥٩ رخلة ، وصوابها في الفصحى رَخِل او رِخْل بفتح الراء وكسر الخاء او بكسر الراء واسكان الخاء ، ولكن الخفاجي اجازها .

رسامة : مصدر رسم الأسقف القسيس اعني منحه وقلده درجة القسيسية ، كلة سريانية والفعل ܪܫܡ بالشين المعجمة rshame ومنه الراسم والمرسوم ، وهي الفاظ مسيحية (انظر سيامة) وردت في كتاب الجوهرة لابن سباع القبطي ص ١٤٦ « يرسمه » .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

رَصَد : رَقَب ܪܨܕ rsade لفظة كلدانية قديمة (الدليل ص ٧٥٢) ولعلها من توافق اللغات .

رَقّ : جلد رقيق يكتب عليه ، جمعه رقوق ، وكان له معامل تصنعه في بعض البلاد ويجوّده السريانيون ومنها مدينة ملطية ܪܩ ، ܪܩܐ raqo , raq .

رقاق : صحصاح ، ارض مستوية ليّنة التراب تحته صلابة ، أو نضبت منها المياه : ܪܩܘܩܐ rqoqo وردت في كتاب علة كل العلل .

رقان : رندج ، مِصقل النجار ، معرب من السريانية ܪܩܢܐ ، ܪܩܘܢܐ rqono , raqno . (معجم ابن بهلول ، ومقدمة دليل الراغبين ص ٢١) .

رَكَس : شدّ ، خطم البعير بالركاس ، قمع ، اذلّ : سريانية ܪܟܫ rcache وقعت في شعر الامام اسحق الانطاكي المتوفى نحو سنة ٤٩١ م

(مقدمة الدليل ص ٢٠) ولعلها مما توافقت فيه السريانية والعربية [١] .

روح القدس : تعبير سرياني ظاهر : ܪܘܚܩܘܕܫܐ rouh - koudcho .

روحاني : مافيه روح ، وكذلك النسبة الى الملائكة والشياطين . والنسبة فيه سريانية ܪܘܚܢܝܐ ، ܪܘܚܢܐ rouhonoio , rouhono . ومثله في هذه النسبة : البراني والجسماني ، والنفساني ، والنوراني ، والهيولاني . وليس كذلك الفوقاني والتحتاني والشهواني .

رَشَم : ختم بيدر الحنطة بالروشم (المزهر ١ : ٣٤) وجاء في فقه اللغة للثعالبي : الرشم على الحنطة والشعير . وفي أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للبشاري ص ٦٥ « فاذا بلغ الزرع ودُرس وجُمع ذرّوه وعرّموه وتركوه ، حتى اذا لم تبقَ غلة لأحد الا وقد عُرّمت ورُشمت ، خرج صاحب السلطان » وهو الروشم [١] . مادة سريانية ، الفعل ܪܫܡ rshame والآلة ܪܫܡܐ rashmo السِمة الرُوشم . وقال فيه الاسكافي ص ٣٤ : الروسم بالسين المهملة : الوسم . ومنه :

المُرشِم : والمِنقَط من أدوات الخباز ، قاله ايليا ابن الشيّ ܡܪܫܡܢܐ mrashmono وسماه الاسكافي (المرشمة) قال ص ٦٤ « والذي ينقّط به الخبز : المِنكتة والمِرشمة والمِنقطة والمِبخَزة » وقال فيه صاحب الدليل : راسوم ، راشوم ، روسم [٢] .

رَهط : جِلد يشقّق سيوراً ܪܗܛܐ : rahto (الدليل ص ٧٢٦) [٣] .

(يتبع) مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) وفي الجاسوس على القاموس لأحمد فارس الشدياق ص ١٥٤ الرشم مثل الوشم كما في التهذيب ، ونحوه الرسم والوسم وفي ص ١٥٨ رشم رسم والروشم الروسم .

(٢) رشمة : جاء في التاج : بالفتح ما يوضع على فم الفرس عامية هي سريانية ܪܫܡܐ rashmo رسن الدابة .

(٣) قال ابوالقاسم في قول القرآن : « واترك البحر رَهْواً » أي سهلاً دمثاً بلغة النبط ، وقال الواسطي أي ساكنا بالسريانية ، وكذا السيوطي في الاتقان . قلنا ليس هذا في السريانية ولعله من (رحب) العبرية ؟

كنوز الأجداد

- ٩ -

ابن دريد

ابو بكر محمد بن الحسن

(٣٢١)

يتصل نسبه بيعرب بن قحطان . ودُرَيْد تصغير ادرد الذي ليس في فيه سن . وهو من الأزد والازد سكنوا مأرب ولما تفرقوا نزل بعضهم لمان ومنهم بعض أجداده . ولد ابن دريد في البصرة سنة ثلاث وعشرين ومائتين وعاش ثماني وتسعين سنة .

نشأ في عُمان والبصرة وفي هذه قرأ على ابي عثمان الأشناندانى وكفله عمه وعليه قرأ مبادئ العلم . ومن أساتذته ابو حاتم السجستاني والرياشي والتوزي والزيادي وغيرهم من أجلة العصر . كان اماماً في اللغة والنسب والشعر آية في الحفظ حفظ كثيراً من دواوين العرب وقيل انه أملى كتاب الجمهرة من حفظه وهو ابن اربع وسبعين سنة . ورحل ابن دريد الى الأهواز يؤدب اسماعيل بن ميكال وكان ابوه عبد الله تولاها وبقي مع الأب والابن مدة ولاية الأب عليها وقلده عبد الله ديوان فارس فكانت تصدر كتبها عن رأيه . وسكن بغداد كما سكن عمان وطاف في ارجاء الجزيرة جزيرة ابن عمر واتصل في بغداد بالخليفة المقتدر فأحله منه أجمل محل وأجرى عليه خمسين ديناراً ، وما كان ابن دريد مقتراً عليه طول حياته وكان أهله في سعة من العيش فأفاد منهم وممن اتصل بهم من الأمراء والخلفاء . كان سخياً سرياً جميل العشرة غير ضنين بعلمه . والغالب

انه كان شافعي المذهب وان كان سكان عمان وما اليها في أيامه على مذهب الخوارج . وكان يرجع اليه في اللغة ويفتى بقوله ، تصدر في العلم ستين سنة وقالوا ان العلم والشعر ما ازدحما في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد . وقالوا انه كان في شعره طوراً يجزل وطوراً يرق ، وقد نظم في كثير من أغراض الشعر وأجمل ما نظمه حكمه ومنها مقصورته وفيها مثال من حكمته وتبحره في اللغة مدح بها الأمير ابا العباس اسماعيل بن ميكال رئيس نيسابور ومقدمها . وقدم له كتاب الجمهرة قال ابو العباس ان ابن دريد أملى عليه كتاب الجمهرة من أوله الى آخره حفظاً وما استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب الا في باب الهمزة والألف فانه طالع له بعض الكتب ، ومن مشهور كتبه كتاب الاشتقاق وله غير ذلك منها ما طبع ومنها ما لم يطبع . وقد « رُمي بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وادخال ما ليس من كلام العرب في كلامها » وهذا مما نستبعده والذي حصل والله أعلم انه نقل ألفاظاً غير مألوفة أدمجها في شعره وعند ظنه أنه خدم بها اللغة مثل قوله مثلاً :

أماطت لثاماً عن اقاح الدمائث ... بمثل اساريع الحقوف العثاعث
ونصت عن الغصن الرطيب سوالفاً ... يَشُب سناها لون احوى جثاجث
ولاثت تُثَنّي مِرطها دعص رملة ... سقاها مجاج الطلّ ِعَبّ الدثائث

وبعض هذه الألفاظ مما يحتاج في فهمه ان يرجع الى مثل الأصمعي وابي زيد لأنها من عويص اللغة تورث الصدر انقباضاً لمن أراد تفهمها ، وبعض من لم يعرف يقتصر الطريق ويقول ان ابن دريد يأتي بما ليس له أصل في اللغة من الكلمات بل ان الأصمعي قال في عدة مواقع وقد عرض عليه الكلام العويص انه لم يفهم . أنشدوه مرة بيتاً لامرئ القيس :

وسنّ كسُنّيق سناء وسُنّما ... ذعرت بمدلاج الهجير نهوض

قال الأصمعي : لا أدري ما السن ولا السنيق ولا السُّنّم .

ARCHIVE http://Archive...

وقوله : عصافير وذبان ودود واجرأ من مجلجلة الذباب

وزاد في تقبيح ذلك وقوعه في أبيات منها :

فقد طوفت في الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

وكل مكارم الأخلاق سارت اليه همتي وبما اكتسابي

وقد استعمل ابن دريد الشعر في تقرير بعض المفردات وجعله سلماً الى تفسير أمور صعبة تدخل في قواعد الألفاظ مثل ما يذكر من الأعضاء ولا يؤنث وما يؤنث ولا يذكر وما يذكر ويؤنث .

ومن شعره العذب :

لو ان قلباً ذاب من كمد ما كان بين ضلوعه قلب

لو كنت صباً اونسرُ هوىً لعلمت ما يتجرع الصب

يهوى اقترابك وهو قاتله فشفاؤه وسقامه القرب

ومنه :

وليلة سامرتْ عيني كواكبها نادمت فيها الصبا والنوم مطرودُ

تستنبط الراح ما تخفي النفوس وقد جادت بما منعته الكاعب الرود

والراح تفتر عن درٍّ وعن ذهب فالتبر منسبك والدر معقود

يا ليل لا تُبح الاصباح حوزتنا وليحم جانبَه أعطافك السود

وكتب الى ابي الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح الوزير :

أبا حسن ، والمرء يُخلق صورة تُخبّر عما ضمّنته الغرائز

اذا كنت لا تُرجى لنفع معجل وأمرك بين الشرق والغرب جائز

ولم تكُ يوم الحشر فينا مشفعاً فرأي الذي يرجوك للنفع عاجز

عليّ بن عيسى خير يوميك ان تُرى وفضلك مأمول ووعدك ناجز

واني لأخشى بعد هذا بان تُرى وبين الذي تهوى وبينك حاجز

وقال : وما أحد من ألسن الناس سالماً ولو انه ذاكَ النبي المطهر

فان كان مقداماً يقولون اهوج ... وان كان مفضالاً يقولون مُبذر
وان كان سكيتاً يقولون ابكم ... وان كان منطيقاً يقولون مِهذر
وان كان صواماً وبالليل قائماً ... يقولون زرّاف يرائي ويَمكر
فلا تحتفل في الناس بالذم والثنا ... ولا تخشَ غير الله فالله اكبر

ومن مليح شعره :

غراء لو جلت الخدور شعاعها ... للشمس عند طلوعها لم تشرق
غصن على دِعص تأود فوقه ... قمرٌ تألق تحت ليل مطبق
لو قيل للحُسن احتكم لم يَعْدُها ... او قيل خاطب غيرها لم يَنطق
وكأننا من فرعها في مغرب ... وكأننا من وجهها في مشرق
تبدو فيهتف للعيون ضياؤها ... الويل حل بمقلة لم تُطبق

وقال وهو مشهور متداول على الألسن :

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق قبل مزاجها ... فلما مزجناها حكت خدّ عاشق

وقال في أخلاق الناس :

ارى الناس قد أغروا ببغي وريبة ... وغَيّ اذا ما ميز الناسَ عاقل
وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم ... الى نحو ما عاب الخليقةَ مائل
اذا ما رأوا خيراً رموه بظنّة ... وان عاينوا شراً فكلٌ مناضل
وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ... ولا فيهم عن زَلة متغافل
وان عاينوا حبراً أديباً مهذباً ... حسيباً يقولوا انه لمخاتل
وان كان ذا ذهن رموه ببدعة ... وسموه زنديقاً وفيه يُحاول
وان كان ذا دين يُسمّوه نعجة ... وليس له عقل ولا فيه طائل
وان كان ذا صمت يقولون صورةٌ ... ممثلة بالعيّ بل هو جاهل
وان كان ذا شر فويل لأمه ... لما عنه يحكي من تضمّ المحافل

وان كان ذا أصل يقولون انما ... يفاخر بالموتى وما هو زائل
وان كان مجهولاً فذلك عندهم ... كبيض رمال ليس يعرف عامل
وان كان ذا مال يقولون ماله ... من السحت قدرابى وبئس المآكل
وان كان ذا فقر فقد ذلّ بينهم ... حقيراً مهيناً تزدريه الأراذل
وان قنع المسكين قالوا لقلة ... وشحة نفس قد حوتها الأنامل
وان هو لم يقنع يقولون انما ... يطالب من لم يعطه ويقاتل
وان يكتسب مالاً يقولوا بهيمة ... أتاها من المقدور حظ ونائل
وان جاد قالوا مسرف ومبذر ... وان لم يجُد قالوا شحيح وباخل
وان صاحب الغلمان قالوا لريبة ... وان اجملوا في اللفظ قالوا مباذل
وان هويَ النسوان سمّوه فاجراً ... وان عفّ قالوا ذاك خنثى وباطل
وان تاب قالوا لم يتب منه عادة ... ولكن لافلاس وما ثمّ حاصل
وان حج قالوا ليس لله حجه ... وذاك وبال أنتجته المحافل
وان كان بالشطرنج والنرد لاعباً ... ولاعب ذا الآداب قالوا مُداخل
وان كان في كل المذاهب نايزاً ... وكان خفيف الروح قالوا مثاقل
وان كان معزاماً يقولون أهوج ... وان كان ذا ثبت يقولون باطل
وان يعتلل يوماً يقولوا عقوبةً ... لشر الذي يأتي وما هو فاعل
وان مات قالوا لم يمت حتف انفه ... لما هو من شر المآكل آكل
وما الناس الا جاحد ومعاند ... وذو حسدٍ قد بان فيه التخاتل
فلا تتركن حقاً لخيفة قائلٍ ... فان الذي تخشى وتحذر حاصل

هذا شعر ابن دريد وهذه حكمه وقد جاء منها في مقصورته الشيء الكثير حتى كاد يكون في حكم الأمثال ولم نطلع فيما اطلعنا عليه من مؤلفاته على شيء من نثره ولا شك ان له منه طائفة خصوصاً وقد تقلد الدواوين وكان الحاكم يصدر عن آرائه فبالشعر لا تتم هذه المقاصد ، ومن العادة ان يغفل النثر ويتهالك على جمع القريض ولو كان من السقط الذي يجب ان يرذل ٠

الباقلاني

القاضي محمد بن الطيب بن محمد أبو بكر

(٤٠٣)

الباقلاني نسبة الى الباقلا وبيعه من كبار المتكلمين الأشاعرة ومن زعماء مذهب مالك ولد في البصرة على أصح الأقوال وسكن بغداد وتولى القضاء «وكان حسن الفقه عظيم الجدل وكانت له ببغداد حلقة عظيمة» وصفوه بانه «سيف أهل السنة في زمانه وامام متكلمي اهل الحق» «كان أعرف الناس بعلم الكلام وأحسنهم فيه خاطراً، وأجودهم لساناً، وأوضحهم بياناً، وأصحهم عبارة» وقالوا «كل مصنف ببغداد انما ينقل من كتب الناس الا القاضي ابا بكر فان صدره يحوي علمه وعلم الناس» وقالوا «لو أوصى رجل بثلث ماله لأفصح الناس لوجب أن يدفع الى ابي بكر الأشعري» وكان من المكثرين من التأليف والمجودين فيه يكتب كل ليلة خمساً وثلاثين ورقة تصنيفاً من حفظه «فاذا صلى الفجر دفع الى بعض أصحابه ما صنفه ليلته وأمره بقراءته عليه وأملى عليه الزيادات فيه» و «حسبت تواليف القاضي وإملاآته وقسمت على أيام عمره من مولده الى موته فوجد انه يقع لكل يوم منها عشر ورقات أو نحوها» .

واشتهر القاضي بمناظراته فكان في العراق وفارس يناظر المعتزلة ولما شاع ذكره، وهو ما يرح في سن الشباب، استدعاه عضد الدولة فناخسرو لمناظرة المعتزلة في شيراز وكان عضد الدولة قال في مجلس له ان هذا المجلس عامر بالعلماء الا اني لا أرى أحداً من أهل السنة والاثبات ينصر مذهبه فقال له قاضي القضاة وكان معتزلياً ان أهل السنة والاثبات عامةٌ رعاعٌ اصحاب تقليد وأخبار وروايات يروون الخبر وضده ويعتقدونها وواحدهما ناسخ للثاني أو متأول . فجاءوا بالباقلاني وناظر

المعتزلة فقيل انه غلبهم وحظي عند عضد الدولة البويهي وهذا من الشيعة وقد ندبه عنه في جواب رسالة الى الروم فناظر علماءهم في القسطنطينية وقالوا انه كان أبداً الظافر في مناظراته . وله أكثر من خمسين مؤلفاً ولم يطبع له منها الا اعجاز القرآن والتمهيد ، وألف هذا الكتاب لابن عضد الدولة وقد أسلمه أبوه اليه ليعلمه مذهب أهل السنة ، وهو في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة وفي حرص عضد الدولة على تعليم ابنه مذهب السنة دليل تسامحه وبعد نظره فانه رأى كثرة الأمة من أهل السنة وأكثر رعيته منهم فأحب ان يتخرج ابنه في مذهبهم حتى يكون ملكاً على رأي الأكثرية بعد أبيه .

كان الباقلاني الى الاعتدال في محاجة المخالفين معتدلاً أكثر من غيره ممن يشتمون ويهزأون ولا يستنكفون من المبادرة الى تكفير خصمهم . وقد عقد فصلاً ممتعاً في آخر كتابه التمهيد عرض فيه لامامة ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ورد على من نالوا منهم وقالوا ان خلافتهم موضع نظر رداً دل على علو كعبه في التاريخ وعلى صحة استخراجه ومعرفته بنقض ما يرده العقل

كتب كل ذلك من السهل الممتنع بدون سجع ولا تزيد في الألفاظ واسلوبه هذا كما ظهر من اعجاز القرآن والتمهيد لم يحد عنه ولذلك حاز القبول وما رأينا له أسجاعاً الا في مقدمة كتابيه وهي اسجاع لطيفة لا تكلف فيها .

والباقلاني كان على ما يظهر على فرط اعتداله في المناظرات ورد كلام خصومه عارفاً بسياسة العلم وسياسة الخلق ذكياً مفرط الذكاء عنده لكل ضيق مخرج . وفي سفارته عن الملك البويهي الى ملك الروم قال ان هذا أخبر بمقدمنا فأرسل الينا من يلقانا وقال لا تدخلوا على الملك بعمائمكم حتى تنزعوها الا ان تكون مناديل وحتى تنزعوا أخفافكم فقلت : لا أفعل ولا أدخل الا بما انا عليه من الزي واللباس فان رضيتم والا فخذوا الكتب تقرأونها وأرسلوا بجوابها وأعود بها . فأخبر الملك بذلك فقال : أريد معرفة سبب هذا وامتناعه مما مضى عليه رسمي

مع الرسل . فسئل القاضي عن ذلك فقال : انا رجل من المسلمين وما تحبونه مني ذل وصَغار والله تعالى قد رفعنا بالاسلام وأعزنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأيضاً فان من شأن الملوك اذا بعثوا رسلهم الى ملك آخر رفع أقدارهم ولا يتعمد اذلالهم سيما اذا كان الرسول من أهل العلم ووضع قدره انهدام جانبه عند الله تعالى وعند المسلمين . فرضي الملك ان يدخل ومن معه كما يشاؤون . وفي رواية ان الملك رضي أن يدخل عليه الباقلاني كما جرى رسم الرعية ان يقبل الأرض بين يدي ملوكها فرأى أن يضع سريره من وراء باب لطيف لا يمكن ان يدخل أحد منه الا راكعاً فدخل القاضي من هذا الباب وأحنى رأسه راكعاً ودخل من الباب مستقبلاً الملك بدبره حتى صار بين يديه ثم رفع رأسه ونصب ظهره ثم أدار وجهه الى الملك فعجب الملك من فطنته ووقعت له الهيبة في قلبه . وكانت هذه السفارة سنة ٣٧١

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ولما اجتمع الى أحد الرهبان في حضرة ملك الروم سأله الباقلاني عن أهله وأولاده فتعجب الملك من سؤاله وقال انا ننزه هؤلاء عن الأهل والأولاد فأجاب : انتم لا تنزهون الله سبحانه عن الأهل والولد فكأن هؤلاء عندكم أقدس وأجل من الله تعالى ؟ ولما سأله الملك عن قصة عائشة وما قيل فيها قال هما اثنتان قيل فيهما ما قيل : زوج نبينا ومريم بنت عمران فأما زوج نبينا فلم تلد وأما مريم فجاءت بولد تحمله على كتفها وقد برأها الله مما رميت به فانقطع الملك ولم يحر جواباً .

رزق الباقلاني حظاً عظيماً من البديهة أعانته على التفرد بمناظراته ففيه سرعة الخاطر وفيه الحافظة، وبديهته نفعته في مناظراته الدينية ومواقفه السياسية وقلَّ ظهور أمثاله في العلماء المشهورين وكثرت تآليفه لأنه كان كابن تيمية لا يرجع الى الكتب فيما يؤلف بقدر ما يرجع الى صدره ويغترف من محفوظه .

ابن زيدون

ابو الوليد احمد بن عبد الله بن زيدون

(٤٦٣)

هو من قبيلة مخزوم النازلة في الأندلس وأهله من صدورها المعروفين بالحكم والقضاء . ولد في قرطبة سنة ٣٩٤ (١٠٠٣) ومات ابوه فأسلمه أوصياؤه الى أعاظم من علماء عصره فتأدب بأدبهم وظهرت عليه أمارات النجابة وهو في سن العشرين واستفاضت شهرته في الأدب والحكمة ومعاناة السياسة ولما يبلغ الخامسة والعشرين .

ولما حاول دعاة بني أمية أن يعيدوا الملك فيهم وثار أهل قرطبة لطرد البربر عن ديارهم اضطر ابن زيدون بحكم مكانة بيته الى خوض تلك المعركة السياسية ، فكان في جملة رجال ابي الحزم بن جهور صاحب قرطبة بعد جلاء البربر عن تلك الأصقاع .

وأحب ابن زيدون ولادة بنت المستكفي بالله فما عتم ان نازعه حبها ابن عبدوس وزير ابن جهور فهجاه ابن زيدون وهزأ به فأضمر له الحقد وما زال يشي به عند الملك حتى اتهمه بانه يدعو للدولة الأموية فاعتقله ثم رق له ابنه الوليد بن جهور فأطلقه من اعتقاله ولكن كانت ولادة قد خرجت عن حكم ابن زيدون . وتشرد في الأقطار مدة ثم رجع الى قرطبة يخدم الوليد بن جهور بعد وفاة أبيه فوضع ثقته به ، وسفر عنه الى ملوك الأطراف ثم غضب عليه ففر وكان يقيم تارة في دانية وأخرى في باجة وطوراً في اشبيلية الى ان اتصل بالمعتضد أمير اشبيلية فجعله أمين سره ثم ولاه أعظم وزاراته وظل بعد وفاة المعتضد على خدمه ابنه المعتمد فأعانه على فتح قرطبة وجعل منها عاصمة ملكه ، وكان منافسه في بلاط المعتمد الوزير ابن عمار زج بابن زيدون في فتنة نشبت بسبب اليهود فهلك فحزنت عليه عشيرته في قرطبة حزناً شديداً .

ترجم له صاحب الذخيرة بقوله : كان ابو الوليد صاحب منثور ومنظوم ، وخاتمة شعراء بني مخزوم ، أحدّ من جرّ الأيام جراً ، وفات الانام طرآً ، وصرّف السلطان نفعاً وضراً ، ووسع البيان نظماً ونثرا ، الى أدب ليس للبحر تدفقه ، ولا للبدر تألقه ، وشعر ليس للسحر بيانه ، ولا للنجوم الزُهر اقترانه ، وحظ من النثر غريب المباني ، شعريّ الألفاظ والمعاني .

ووصفه صاحب القلائد بقوله : زعيم الفئة القرطبية ، ونشأة الدولة الجهورية ، الذي بهر بنظامه ، وظهر كالبدر ليلة تمامه ، فجاء من القول بسحر ، وقلده أبهى نحر ، لم يصرفه الا بين ريحان وراح ، ولم يطلعه الا في سماء مؤانسات وأفراح ، ولا تعدى به الرؤساء والملوك ، ولا تردّى منه الا حظوة كالشمس عند الدلوك ، فشرف بضائعه ، وأرهف بدائعه وروائعه ، وكلفت به تلك الدولة حتى صار ملهج لسانها ، وحلّ من عينها مكان انسانها .

أطلقوا على ابن زيدون لقب « بحتري المغرب » لسلاسة شعره وجزالة رصفه وذكر العارفون بعلو طبقة الشعر ان ابا بكر بن عمار وابا الوليد بن زيدون كانا في حسن الشعر فرسي رهان ورضيعي لبان وقال أكثر الأدباء بالأندلس انهما أشعر أهل عصرهما . والمعقول ان بذهب كل شاعر بمزية لا يشاركه فيها غيره فابن هاني لا تنحط طبقته عن طبقة ابن زيدون وهكذا اذا أردنا المقارنة بين كبراء شعراء الأندلس .

واذا أجمع أرباب المعرفة على تفرد ابن زيدون في الشعر فان منهم من أشار الى أن نثره شعر أيضاً اي انه نازل عن طبقته بين الكتاب ففي شعره كل معاني الاحسان اما نثره فتحسُّ فيه روحاً شعرياً وهذا لا يستحب كل حين . والطبيعة على ما علمنا لا تجود على كل انسان باتقان الصناعتين ولا بد ان تمتاز الملكة في الأولى عن الأخرى . كان هوى ابن زيدون بالشعر ليله ونهاره ، ونثره عارض يستخدمه عند الحاجة ويجيد ولكن لا كالشعر الذي أخذ من روحه وقلبه .

وكما كان آية فيما يكتب كان كذلك فيما يخطب ، غزير البيان ، متدفق الطبع ، فصيح اللسان ، حاضر البديهة · قال أحد وزراء اشبيلية وفيه دليل على سعة بيانه : لعهدي بابي الوليد قائماً على جنازة بعض حُرَمه ، والناس يعزونه على اختلاف طبقاتهم ، فما سمع يجيب أحداً بمثل ما أجاب به غيره ، لسعة ميدانه وحضور جنانه · وذكروا ان أقلَّ ما كان في تلك الجنازة وهو وزير الف رئيس ممن يتعين عليه أن يتشكر له فيحتاج في هذا المقام الى الف عبارة مضمونها الشكر ، وهذا كثير الى الغاية لا سيما من محزون فقد قطعة من كبده

ولكنه صوب العقول اذا انبرت   سحائب منه أعقبت بسحاب

ترى هل يدين ابن زيدون بشهرته لأدبه وشعره ، ووزاراته وسفاراته ام ان لغرامه بولادة دخلاً كبيراً فيما كان له من عظمة · قد يهيم أعظم منه بأعظم من محبوبته ولا يدري جمهرة الناس بها ، وغرام ابن زيدون عظم في العيون لأنه كان في حسناء تقول الشعر وتعرف أدب الملوك ، فهي كانت تدرك كل الادراك ما عند عشيقها من صفات تليق ببنات الملوك ، وهو موقن انه لا يجد في بنات السوقة أمثالها بجمالها وكمالها وكان من ذلك ذاك الشعر الذي كله روح وحسن ·

وصف ابن زيدون أول اتصاله بحبيبته بقوله :

كنت في أيام الشباب ، وغمرة التصاب ، هائماً بغادة ، تدعى ولادة ، فلما قدر اللقاء ، وساعد القضاء ، كتبت اليَّ :

ترقب اذا جنَّ الظلام زيارتي   فاني رأيت الليل أكتم للسر

وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا   وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يَسْرِ

فلما طوى النهار كافوره ، ونشر الليل عنبره ، أقبلت بقد كالقضيب ، وردف كالكثيب ، وقد أطبقت نرجس المقل ، على ورد الخجل ، فملت الى روض مدبَّج ، وظل مسجسج ، وقد قامت رايات أشجاره ، وفاضت سلاسل أنهاره ، ودر الطل منثور ، وجيب الراح مزرور ، فلما شببنا نارها ، وأدركت فينا ثارها ، باح كل منا بحبه ،

وشكا اليم ما بقلبه ، وبتنا بليلة نجني اقحوان الثغور ، ونقطف رمان الصدور ، فلما انفصلت عنها صباحاً ، أنشدتها ارتياحا :

ودّع الصبرَ محبٌّ ودّعكْ ذائع من سره ما استودعك
يقرع السن على ان لم يكن زادَ في تلك الخُطى اذ شيعك
يا أخا البدر سناءً وسناً حفظ الله زماناً أطلعك
ان يطل بعدك ليلي فلكم بت أشكو قصر الليل معك

ويذهب الفكر الى ان هذه العبارة ليست لابن زيدون بل صاغها غيره والمعنى له أو هكذا وقع غرام ولادة في قلب ابن زيدون وهو يعذر على ما بدا من هيامه لأنها استوفت على ما يظهر جميع صفات المعشوقات .

اشتهر في الآفاق شعره بسبب هذه الصبابة النادرة في العاشقين وما كان الغرام نفسه السبب الأكبر في شهرته بل لأنه غرام كان على غير مثال .

ومن أشهر قصائده فيها القصيدة التي اشتهرت كل الاشتهار :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً اليكم ولا جفت مآقينا
يكاد حين تناجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت سوداً وكانت بكم بيضاً لياليناً
اذ جانب العيش طلق من تألفنا ومورد اللهو صاف من تصافينا

ومنها : لم نعتقد بعدكم الا الوفاء لكم رأياً ولم نتقلد غيره دينا
لا تحسبوا نأيكم عنا يغيرنا ان طال ما غير النأي المحبينا
والله ما طلبت أهواؤنا بدلاً منكم ولا انصرفت عنكم أمانينا
ولا استفدنا خليلاً منك يشغلنا ولا اتخذنا بديلاً منك يسلينا الخ

وله في ولادة :

يا نازحاً وضمير القلب مثواه أنستك دنياك عبداً أنت مولاه

ألهتك عنه فكاهات تلذّ بها فليس يجري ببال منك ذكراه
علَّ الليالي تبقيني الى أمل الدهر يعلم والأيام معناه

وله يتشوّق اليها :

اني ذكرتك بالزهراء مشتاقا والأفق طلق ووجه الأرض قد راقا
وللنسيم اعتلال في أصائله كأنما رقّ لي فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضي مبتسم كما حللت عن اللبات أطواقا
يوم كأيام لذات لنا انصرمت بتنا لها حين نام الدهر سراقا
نلهو بما يستميل العين من زهر جال الندى فيه حتى مال اعناقا
كأن أعينه اذ عاينت أرقي بكت لما بي فجال الدمع رقراقا الخ

وله يتشوق اليها أيضاً :

غريب بأقصى الشرق يشكر للصَّبا تحمُّلها منه السلامَ الى الغرب
وما ضرّ أنفاس الصبا في احتمالها سلامٌ فتى يُهديه جسم الى قلب

ولا يبعد أن يكون ما قاله في ولادة أكثر مما روى الرواة في ديوانه امتنعوا من نقله كما امتنع صاحب الذخيرة من نقل شعر ولادة لأن فيه هجاء . وكما أجاد كل الاجادة في التغزل بولادة أجاد أيضاً في مدح ابن جهور والمعتمد والمعتضد ولا سيما فيما قدم له من النسيب من قصائد مدحهم ومدح غيرهم . فشعره في الملوك والوزراء والأصحاب شعر دنياه ومناصبه ، وشعره في الغزل والنسيب وتغزله بولادة شعر لذاته ونعيمه : .

وما أحلى قوله :

سأحب أعدائي لأنك منهم يا من يُصح بمقلتيه ويسقم
أصبحت تُسخطني فأمنحك الرضا محضاً وتظلمني فلا أتظلم
يا من تألف ليله ونهاره فالحسن بينهما مضيء مظلم
قد كان في شكوى الصبابة راحة لو انني أشكو الى من يرحم .

وله وقد قال صاحب الذخيرة إنه كتب بها من بطليوس أيام تكدره عليها وهي من غرر نظامه ودرر كلامه :

يادمع صبّ ما شئت ان تصوبا   ويا فؤادي آن أن تذوبا
ان الرزايا أصبحت ضروبا   لم أر لي في أهلها ضريبا
قد ملأ الشوق الحشا نُدوبا   في الغرب ان رحت به غريبا
عليل دهر سامني تعذيبا   أضنى الضنا اذ ابعد الطبيبا
ليت القبول احدثت هبوبا   ريح يروح عهدها قريبا
بالأفق المهدي الينا طيبا   تعطرت منه الصبا جنوبا
يبرد حرّ الكبد المشبوبا   يا متبعاً إسآده التأويبا
مشرقاً قد سئم التغريبا   أما سمعت المثل المضروبا
ارسل حكيماً واستشر لبيبا   الخ

ARCHIVE

وقال من أخرى :

أنت معنى الضنى وسر الضلوع   وسبيل الهوى وقصد الدموع
أنت والشمس ضَرَّتان ولكن   لك عند الغروب فضل الطلوع
ليس بالمؤيسي تكلفك العتـ   ـب دلالاً من الرضا المطبوع
انما أنت ، والحسود مُعنّى   كوكب يستقيم بعد الرجوع

وقال :

ما جال بعدك لحظي في سنا القمر   الا ذكرتك ذكر العين بالأثر
ولا استطلت زمام الليل من أسف   الا على ليلة مرت مع القصر
يا ليت ذاك السواد الجون متصل   قد استعار سواد القلب والبصر
جمت معنى الهوى في لحظ طرفك لي   ان الحوار لمفهوم من الحور

هذه نماذج قليلة من شعره المرقص المطرب أما نثره فألطف ما وصفوه به أنه أقرب الى الشعر وليس معنى هذا الا أن فيه ما يعاب وهو على كل أحط

من شعره وفيه التكلف مائل أحياناً . وقد ملأ بعض رسائله بمسائل تاريخية واشارات أدبية ومنازع هزلية وجدية ، شرحها الشراح ودلوا على ما فيها من لمع أدبية وغيرها .

وهذه رسالته كتب بها الى رئيسه ابي الوليد بن جهور من ملوك الطوائف بالأندلس (٤٤٣) يستعطفه لما كان في اعتقاله :

ياَمولاي وسيدي الذي ودادي له واعتمادي عليه واعتدادي به ومن أبقاه الله ماضي حد العزم ، واري زند الأمل ، ثابت عهد النعمة .

اذا سلبتني أعزك الله لباس انعامك ، وعطلتني من حلي ايناسك ، واظمأتني الى برود اسعافك ، ونفضت بي كف حياطتك ، وغضضت عني طرف حمايتك ، بعد أن نظر الأعمى الى تأميلي لك ، وسمع الأصم ثنائي عليك ، وأحس الجماد باستنادي اليك ، فلا غرو فقد يغص الماء شاربه ، ويقتل الدواء المستشفي به ، ويؤتى الحذر من مأمنه ، وتكون منية المتمني في أمنيته ، « والحين قد يسبق جهد الحريص » .

كل المصائب قد تمر على الفتى وتهون غير شماتة الحساد

واني لأتجلد وأري الشامتين « اني لريب الدهر لا أتضعضع » فأقول : هل أنا الا يد أدماها سوارها ، وجبين عض به اكليله ، ومشرفي الصقه بالأرض صاقله ، وسمهري عرضه على النار مثقفه ، وعبد ذهب به سيده مذهب الذي يقول :

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

هذا العتب محمود عواقبه ، وهذه النبوة غمرة ثم تنجلي ، وهذه النكبة « سحابة صيف عن قليل تقشع » .

ولن يريبني من سيدي ان أبطأ سحابه ، أو تأخر غير ضنين غناؤه ، فأبطأ الدلاء فيضاً أملؤها ، وأثقل السحاب مشياً احفلها ، وأنفع الحيا ما صادف جدباً ، وألذ الشراب ما أصاب غليلاً ، ومع اليوم غد ، ولكل أجل كتاب . له الحمد على اهتباله ، ولا عتب عليه في اغفاله .

وان يكن الفعل الذي ساء واحداً فأفعاله اللاتي سررن ألوف

وأعود فأقول : ما هذا الذنب الذي لم يسعه عفوك ، والجهل الذي لم يأت من ورائه حلمك ، والتطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتمالك . لا أخلو من أن أكون بريئاً فأين عدلك ، أو مسيئاً فأين فضلك .

الا يكن ذنب فعدلك واسع أو كان لي ذنب ففضلك أوسع

حنانيك قد بلغ السيل الزبى ، ونالني ما حسبي به وكفى ، وما أراني الا لو أمرت بالسجود لآدم فأبيت واستكبرت ، وقال لي نوح اركب معنا فقلت : سآوي الى جبل يعصمني من الماء ، وأمرت ببناء صرح لعلي اطلع الى اله موسى ، وعكفت على العجل ، واعتديت في السبت ، وتعاطيت فعقرت ، وشربت من النهر الذي ابتلى به جيوش طالوت ، وقدت الفيل لأبرهة ، وعاهدت قريشاً على ما في الصحيفة ، وتأولت في بيعة العقبة ، ونفرت الى العير ببدر ، وانخذلت بثلث الناس يوم أحد ، وتخلفت عن صلاة العصر في بني قريظة ، وجئت بالأفك على عائشة الصديقة ، وأنفت من امارة أسامة ، وزعمت ان خلافة ابي بكر كانت فلتة ، وروّيت رمحي من كتيبة خالد ، ومزقت الأديم الذي باركت يد الله عليه ، وضحيت بالأشمط الذي عنوان المسجود به وبذلت لقطام

ثلاثة آلاف وعبد وقينة وضرب علي بالحسام المصمم

. . . والله ما غششتك بعد النصيحة ، ولا انحرفت عنك بعد الصاغية ، ولا نصبت لك بعد التشيع فيك ، ولا أزمعت يأساً منك مع ضمان تكفلت به الثقة عنك ، وعهد أخذه حسن الظن بك ، ففيم عبث الجفاء بأزمتي ، وعاث العقوق في مواتي ، وتمكن الضياع من رسائلي ، ولم ضاقت منه اهبتي ، وأكدت مطالبي ، وعلام رضيت من المركب بالتعليق بل من الغنيمة بالاياب ، واني غلبني المغلب ، وفخر عليّ العاجز الضعيف ، ولطمتني غير ذات سوار ، ومالك لم تمنع مني قبل ان افترس ، وتدركني ولما أمزق ، أم كيف لا تتضرم جوانح الاكفاء حسداً

لي على الخصوص بك وتنقطع أنفاس النظراء منافسة في الكرامة عليك ، وقد زانني اسم خدمتك ، وزهاني رسم نعمتك ، وأبليت البلاء الجميل في سماطك ، وقمت المقام المحمود في بساطك .

والرسالة مطولة اكتفينا منها بهذا دلالة على أسلوب ابن زيدون في النثر .

وله رسالة خاطب بها أبا مروان بن حيّان مؤرخ الأندلس وقد أهداه احمالاً من الزيت والبُرّ في سنة ممحلة قال في فصل منها : والذي اسكن اليه من حسن قبولك وجميل تأويلك ، أقابل بالحقير وأواجه بالتافه اليسير ويعلم الله تعالى اني لو ناصفتك عمري ما رأيت ان ذلك كفوء بقدرك ولا وفاء ببرك فكيف ما دونه ، فلك المنزلة التي لا تسامى ، والجلالة التي لا توازى ، وما شيء وان جلّ الا محتقر لك مستصغر عند محلك . ويصل مع موصل كتابي هذا ما ثبت ذكره في المدرجة طيه وأنت بمعاليك تتفضل بقبوله وتصل أجمل صلة بالتغاضي عن رتاحته (؟) والاستجازة لنزارته ، مقتضياً بذلك شكري وحمدي ، ومستبداً منها بجميع ما عندي .

قد يسأل من تلا هذه النموذجات القليلة من نظم ابن زيدون ونثره واطلع على جانب من حياته السياسية هل كان اشتهاره بشعره النادر أم كان بما ساس من أمور الملك وتنقل بين صاحبي قرطبة واشبيلية يجالس الملوك في خلواتهم ويصيرونه في خواصهم وصحابتهم ويسفر لهم في مهماتهم ثم يغضبون عليه ويعتقلونه أو يصبح طريداً شريداً . الأرجح ان استفاضة شهرته أتت من حبه ولادة والأرجح ان غرامه بها زاد في طلاوة أدبه ومتى أدرك الكاتب والشاعر ان كلامه سيتلوه من يعجب به يتأنق فيه الى التي ليس بعدها ويمده الله بمدد لا يدرك سره .

قالوا ان عبث الأغنياء وموت الفقراء لا يحس بهما ، وعبث ابي الوليد اشتهر وذاع وملأ القلوب والأسماع فكان في ذلك سعادته بأدبه حياً وميتاً وكذلك كان شأن عمر بن أبي ربيعة ، سبحانه خص من شاء بما شاء .

لسان الدين ابن الخطيب

ابو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني

(٧١٣)

أصله من لوشة على مرحلة من غرناطة ، كان له بها سلف معروفون في وزارتها ونشأ لسان الدين بغرناطة وقرأ وتأدب على مشيختها واختص بصحبة الحكيم يحيى بن هذيل وأخذ عنه العلوم الفلسفية ، وبرز في الطب وانتحل الأدب ، وامتدح السلطان ابا الحجاج من ملوك بني الأحمر فرقّاه الى خدمته وأثبته في ديوان الكتاب ببابه ، مرؤوساً بابن الجباب شيخ العُدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الأدبية . ولما هلك ابن الجباب ولى السلطان محمد بن الخطيب رياسة الكتاب ببابه وثناه بالوزارة ولقبه بها فاستقل بذلك وصدرت عنه غرائب من الترسيل في مكاتبات جيرانهم من ملوك العدوة ، وسفر عن سلطانه الى ملك بني مرين بالعدوة معزياً بأبيه فجلّى في أغراض سفارته .

ثم هلك السلطان ابو الحجاج وبويع ابنه محمد بالأمر لوقته فأقر ابن الخطيب بوزارته كما كان لأبيه واتخذ لكتابته غيره وجعل ابن الخطيب رديفاً له في أمره وتشاركا في الاستبداد معاً ثم بعثوا الوزير ابن الخطيب سفيراً الى ملك بني مرين مستمدين له على عدوهم الطاغية على عادتهم مع سلفه ، فلما قدم على السلطان ومثل بين يديه تقدم الوفد الذي معه من وزراء الأندلس وفقهائها استأذنه في انشاء شيء من الشعر يقدّمه بين يدي نجواه فأذن له وأنشد وهو قائم أبياتاً اهتز السلطان لها فأذن له في الجلوس ، وقال له قبل ان يجلس : ما ترجع اليهم الا بجميع عطائهم . ثم أثقل كاهلهم بالاحسان وردهم بجميع مطالبهم . قال القاضي ابو القاسم الشريف : لم يُسمع بسفير قضى سفارته قبل ان يسلم على السلطان الا هذا .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد ذلك اعتقل الرئيس القائم بالدولة هذا الوزير ابن الخطيب وضيق عليه في محبسه الى ان شفع فيه ثم سار في ركاب السلطان الى وادي آش قادمين على السلطان ابي سالم فأرغد هذا عيش ابن الخطيب في الجراية والاقطاع ثم استأذن السلطان في التحول الى جهات مراكش والوفود على آثار الملك بها فأذن وكتب الى العمال باتحافه فبادروا في ذلك وحصل منه على حظ . وعندما مر بسلا في قفوله من سفره دخل مقبرة الملوك بسالة ووقف على قبر السلطان ابي الحسن وأنشد قصيدته على روي الراء الموصولة يرثيه ويستثير به استرجاع ضياعه بغرناطة مطلعها :

ان بان منزله وشطت داره   قامت مقام عيانه أخباره
قسّم زمانك عبرة أو غبرة   هذا ثراه وهذه آثاره

فكتب السلطان ابو سالم في ذلك الى أهل الأندلس بالشفاعة فشفعوه واستقر هو بسلا متبذاً عن سلطانه طول مقامه بالعدوة . ثم عاد السلطان المخلوع الى ملكه بالأندلس فاستقدم ابن الخطيب من سلا ورده الى منزلته كما كان وبعد ذلك فصل من الوزارة ثم أعيد الى مكانه من الدولة من علو يده وقبول اشارته . وأدركته الغيرة من عثمان بن يحيى مقدم القوم في الدولة فأنكر على السلطان الاستكفاء به والتخوف من هؤلاء الأعياص على ملكه لحذره السلطان وأخذ في التدبير عليه حتى نكبه وأباه واخوته وأودعهم المطبق ثم غربهم بعد ذلك وخلا لابن الخطيب الجو وغلب على هوى السلطان ودفع اليه تدبير المملكة وخلط بينه وبين ندمائه وأهل خلوته وانفرد ابن الخطيب بالحلّ والعقد، وانصرفت اليه الوجوه، وعلقت عليه الآمال، وغشي بابه الخاصة والكافة وغصت به بطانة السلطان وحاشيته فتوافقوا على السعاية فيه وقد صمّ السلطان عن قبولها .

وفي خلال ذلك استحكمت نفرة ابن الخطيب لما بلغه عن البطانة من القدح فيه والسعاية وربما خُيل اليه ان السلطان مال الى قبولها وانهم قد احفظوه عليه

فأجمع التحول عن الأندلس الى المغرب فسار اليها في ثلة من فرسانه ومعه ابنه عليّ الذي كان من خالصة السلطان فأجاز الى سبتة وتلقاه السلطان بأنواع التكرمة فاهتزت له الدولة واركب السلطان خاصته لتلقيه وأحلّه بمجلسه بمحل الأمن والغبطة ، ومن دولته بمكان الشرف والعزة ، وطلب الى صاحب الأندلس أهله وولده فجاء بهم على اكمل الحالات من الأمن والتكرمة . ثم لغط المنافسون له في شأنه ، وأغروا سلطانه بتتبع عثراته ، وشاع على السنة أعدائه كلمات منسوبة الى الزندقة أحصوها عليه ونسبوها اليه ، ورفعت الى قاضي الحضرة فاسترعاها وسجل عليه بالزندقة ، وراجع صاحب الأندلس رأيه فيه وبعث القاضي الى ملك العدوة في الانتقام منه وامضاء حكم الله فيه فصمّ لذلك ، وأنف لذمته ان تخفر ولجواره ان يردى ، وقال لهم : هلا انتقمتم وهو عندكم وانتم عالمون بما كان عليه ، وأما انا فلا يخلص اليه بذلك أحد ما كان في جواري . ثم وفر الجراية والاقطاع له ولبنيه ولمن جاء من فرسان الأندلس في جملته .

فلما هلك سلطان العدوة سار هو في ركاب الوزير ابي بكر بن غازي القائم بالدولة فنزل فاس واستكثر من شراء الضياع وتأنق في بناء المساكن واغتراس الجنات وحفظ له القائم بالدولة الرسوم التي رسمها له السلطان المتوفى . ولما استولى السلطان ابو العباس على البلد الجديد دار ملكه قبض على ابن الخطيب وأودعوه السجن وطيروا بالخبر الى السلطان ابن الأحمر فبعث كاتبه ووزيره بعد ابن الخطيب ابن زمرك فقدم على السلطان ابي العباس وأحضر ابن الخطيب بالمشورة في مجلس الخاصة وأهل الشورى وعرض عليه بعض كلمات وقعت له في كتابه فعظم عليه النكير فيها فوبخ ونكل وامتحن بالعذاب بمشهد ذلك الملاء ثم تلّ الى محبسه واشتوروا في قتله بموجب تلك المقالات المسجلة عليه وأفتى بعض الفقهاء فيه . ودس سليمان بن داود رديف وزير السلطان لبعض الأوغاد من حاشيته بقتله فطرقوا السجن ليلاً ومعهم زعانفة جاءوا في لفيف الخدم مع سفراء السلطان ابن الأحمر

وقتلوه خنقاً في محبسه وأخرجوا شلوه من الغد فدفن ثم أصبح من الغد على شأفة قبره طريحاً وقد جمعت له أعواد وأضرمت عليه نار فاحترق شعره واسود بشره وأعيد الى حفرته وكان في ذلك انتهاء محنته . هذا ما قاله ابن خلدون وأتبعه بأن الناس عجبوا من هذه السفاهة التي جاء بها سليمان واعتدوها من هناته وعظم النكير فيها عليه وعلى قومه وأهل دولته . وكان ايام امتحانه بالسجن يتوقع مصيبة الموت فتجيش هواتفه بالشعر يبكي نفسه ومما قال في ذلك :

بعدنا وان جاورتنا البيوت   وجئنا بوعظ ونحن صموت
وانفاسنا سكنت دفعة   كجهر الصلاة تلاه القنوت
وكنا عظاماً فصرنا عظاماً   وكنا نقوت فها نحن قوت
وكنا شموس سماء العلا   غربن فناحت عليها البيوت
فكم جدَّلت ذا الحسام الظبا   وذو البخت كم جدلته البخوت
وكم سيق للقبر في خرقة   فتىً ملئت من كساه التخوت
فقل للعدا ذهب ابن الخطيـ   ـب وفات ومن الذي لا يفوت
فمن كان يفرح منكم له   فقل يفرح اليوم من لا يموت

وترجم لسان الدين نفسه ووصف كيف قلده السلطان الوزارة والقيادة أي أصبح ذا الوزارتين وزير السيف والقلم واستعمله في السفارة الى الملوك واستنابه بدار ملكه ورمى الى يده بخاتمه وسيفه وائتمنه على صوان حضرته وأعلى مجلسه ، وقصر المشورة على نصحه الى ان كانت الكائنة وحمله أهل الشحناء من أعوان ثورته على القبض عليه بعد ان كبست المنازل والدور واستكثر من الحرس واستؤصلت نعمته ، ولم تكن بالأندلس من ذوات النظائر ولا ربات الأمثال ، ولما رد على السلطان ابي عبد الله ملكه عمل في القدوم عليه وجنح لسان الدين الى الانفصال لبيت الله الحرام فأراه السلطان أن مؤازرته أكبر القرب فعدل عن الحج فرمى اليه بمقاليد رأيه قال ولم أعدم الاستهداف للشرور والاستعراض للمحذور والنظر الشزر المنبعث من خزر العيون شيمة من ابتلاه الله بسياسة

الدهماء ورعاية سخطة أرزاق السماء ، وقتلة الأنبياء ، وعبدة الأهواء ، ممن لا يجعل لله تعالى ارادة نافذة ولا مشيئة سابقة ولا يقبل معذرة ولا يجمل في الطلب ولا يتلبس مع الله بأدب .

هذا مجمل حال حسنة الأندلس مع الملوك وكانوا معجبين به لما فُطر عليه من صفات لا نظير لها في رجالهم ورجال عصرهم وهذا حاله مع الوزراء ومن والاهم وما حاكوه من دسائس ليطرحوه أرضاً ويستأثروا دونه بهذا المقام فلم يروا أقرب من اثبات الزندقة عليه وقتلوه على هذه الصورة الفاجعة فبكت العيون عظيماً تضن القرون بظهور مثله .

واذا جئنا نعرض لأدبه وعلمه فبنفح الطيب للمقري الذي كسره على وصفه وخصه باحواله ونقل أخباره ومنظومه ومنثوره يكفينا المؤونة وهناك تآليفه وهي تبلغ الستين مصنفاً منها ذو المجلدات ومنها المجلد الصغير لم يبق منها الا ثلثها كما قال العلامة زيبولد وأهمها في نظره الاحاطة في أخبار غرناطة وقد طبع ثلثاه فقط ولم يجدوا منه نسخة تامة صحيحة . وفي هذا الكتاب تجلى لنا أسلوب لسان الدين في الترجمة للرجال وعرفنا جمال نثره وجمال شعره فما استطعنا ان نقول انه شاعر ولا انه كاتب بل حكمنا له بالملكتين الكتابة والشعر وفي كتابته نسقط على تعابير والفاظ قل ان وقع لأحد من كتاب الأندلس استعمال مثلها ولا سيما المعاني المبتكرة والتراكيب البارعة .

أما دعوى الالحاد على لسان الدين فهي من الدعاوي التي طالما وجهت الى العظماء من العلماء ، وتاريخ المسلمين غاص بمن قتلتهم السياسة ، والزندقة حجة في قتلهم . لا جرم ان لسان الدين اعتاد الانطلاق في الفكر وهو صريح الى أبعد غايات الصراحة ولعلهم جمعوا له جملاً وقعت في بعض كلامه وأولوها على هواهم حتى صحت لهم دعوى الالحاد اليه . وفي كتابه الاحاطة نموذجات ظاهرة من هذا القبيل .

وصف الحاكم باديس وهو من الملوك الجبابرة قائل الرأي خليع الرسن فقال : وقد أدال اعتقاد الخليقة في باديس بعد وفاته وقدم العهد بتعرف أخبار جبروته وعتوه على الله سبحانه لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام والانصياع للأضاليل فعلى حفرته اليوم من الازدحام لطلاب الحوائج والشفاء من الاسقام حتى اولو الدواب الوجيعة ما ليس على قبر معروف الكرخي وابي يزيد البسطامي . ووصف جعفر بن احمد الخزاعي الغرناطي من مشايخ الطرق ورقص جماعته في الذكر فقال « وربما استدعاهم السلطان الى معصره محمضاً لطائف نعيمه باخشيشانهم مبدياً التبرك بهم » . قال والطرق الى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق . وهذه معان لا يرضاها العامة وبخاصة من استهواهم مثل هؤلاء المشايخ .

واليكم الآن جملاً قليلة جاءت في مقدمة كتابه الاحاطة في وصف غرناطة : ويردها لذلك من المنقب الشتوي شديد وتجمد بسببه الأدهان والمائعات ويتراكم بساحاتها الثلج في بعض السنين ، فجسوم أهلها بصحة الهواء صلبة ، وسحناتهم خشنة ، وهضومهم قوية ، ونفوسهم لمكان الحر الغريزي جريئة . وهي دار منعة ، وكرسي ملك ، ومقام حصانة . وكان ابن غانية يقول للمرابطين في مرمونة وقد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم « الأندلس درقة وغرناطة قبضتها فاذا تجشمتم يا معشر المرابطين القبضة لم تخرج الدرقة من أيديكم » ومن أبدع ما قيل في الاعتذار عن شدة بردها مما هو غريب في معناه قول القاضي ابو بكر بن شبرين :

رعى الله من غرناطة متبوأً يسرّ كئيباً او يجير طريداً
تبرم منها صاحبي عند ما رأى مسارحها بالبرد عدن جليدا
هي الثغر صان الله من أهلت به وما خير ثغر لا يكون برودا

وذكر ان جند دمشق نزلوا كورة البيرة أشرف الكور وخصها لا يشبه بشيء من بقاع الأرض طيباً ولا شرفاً الا بالغوطة غوطة دمشق . وحقيقة هي

كما قال رأيتها الا ان غوطة دمشق شجراء وغوطة غرناطة جرداء وكانت ايام حكم العرب كغوطتنا بأشجارها الملتفة ·

ووصف أخلاق الأندلسيين وعاداتهم فقال : فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة قال وعادة أهل هذه المدينة الانتقال الى حلل العصير اوان ادراكه بما تشتمل عليه دورهم ، والبروز الى الفحوص بأولادهم وعيالهم ، معولين في ذلك على شهامتهم واسلحتهم على أكتاد دوابهم واتصال امصارهم بحدود ارضه ، وحليهم في القلائد والدمالج والشنوف والخلاخل من الذهب الخالص الى هذا العهد في اولي الجدة ، واللجين في كثير من آلة الرجلين فيمن عداهم · والأحجار النفيسة من الياقوت والزبرجد والزمرد النفيس الجوهر كثير ممن ترتفع طبقاتهم المستندة الى ظل الدولة او أصالة معروفة موفرة · وحريمهم حريم جميل موصوف بالحسن وتنعم الجسوم ، واسترسال الشعور ، ونقاء الثغور ، وطيب النشر ، وخفة الحركات ، ونبل الكلام ، وحسن المحاورة ، الا ان الطول يندر فيهن ، وقد يبلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد والمظاهرة بين المصبغات ، والتنافس بالذهبيات والديباجيات ، والتاجن في أشكال الحلي الى غاية نسأل الله ان يغض عنهن فيها عين الدهر ، ويكفّ كف الغدر ، ولا يجعلها من قبيل الابتلاء والفتنة ، وان يعامل جميع من بها بستره ، ولا يسلبهم خفي لطفه بعزته وقدرته ·

هذه لمة من سيرة ذي الوزارتين لقبه بذلك السلاطين في زمنه أحط أزمان الأندلس وقد استولى العدو على معظم قواعدها مثل اشبيلية وقرطبة ومرسية وجيان والمرية · ولقبه الناس بذي العمرين لأنه كان مبتلىً بالأرق يسهر الليل الا أقله ، ويصرف هذه الليالي في التأليف والتأمل ، فكأنه كان يعمل ليله ونهاره ·

عبد اللطيف البغدادي

ولد في بغداد سنة (٥٥٧) وتوفي فيها سنة (٦٢٩)

هذا عالم ندر ان يتسع صدر رجل ما اتسع له صدره من ضروب العلم والآداب قال العلامة هوتسما انه كان يعرف جميع العلوم المعروفة في عصره • والسبب في تفننه في العلم نصيحة صدرت له من رجل مغربي نزل بغداد كان كما قال هو عنه يجلب القلوب بصورته ومنطقه وايهامه فملأ قلبه شوقاً الى العلوم كلها • عدّ له ابن ابي أصيبعة زهاء مئة وخمسين كتاباً ومقالة ورسالة ومنها ما وقع في مجلدات مثل كتاب أخبار مصر الكبير وكتاب الجامع الكبير في المنطق والطبيعي والالهي زهاء عشر مجلدات وكتاب القياس يدخل في اربع مجلدات والسماع الطبيعي مجلدان • ومنها ردود على بعض الفلاسفة مثل ابن سينا والرازي وابن الهيثم، ولم يطبع من جميع كتبه فيما علمنا سوى كتاب المشاهدة والاعتبار في أخبار مصر وفيه ترجمته بقلمه وفي هذا الكتاب الصغير حوادث مهمة وقعت في أيامه في مصر والشام وصفها وصف عيان • فنحن اذاً لا نعلم شيئاً من تصانيفه يسوغ لنا به اصدار حكم عادل عليه •

قال ابن ابي أصيبعة كان كثير الاشتغال لا يخلي وقتاً من أوقاته من النظر في الكتب والتصنيف والكتابة والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة وكذلك أيضاً كتب كتباً كثيرة من تصانيف القدماء وقال وكان حسن الكلام لكثرة ما يرى في نفسه ويستنقص فضلاء زمانه وكثيراً من المتقدمين وكان يكثر الوقوع في علماء العجم ومصنفاتهم وخصوصاً الشيخ الرئيس ابن سينا ونظرائه •

ولما استوفى حظه من الأخذ عن علماء بغداد جاء الموصل فلم تعجبه واجتمع بكمال الدين بن يونس وكان ممن يقول بالكيمياء وعبد اللطيف يخالفه في ذلك فرحل عنها ونزل دمشق وفيها الف كتباً كثيرة •

ثم توجه الى زيارة القدس ثم قصد الى صلاح الدين بظاهر عكا فاجتمع بيهاء الدين بن شداد قاضي العسكر يومئذ قال : وكان قد اتصل به شهرتي بالموصل فانبسط الي وأقبل علي وقال نجتمع بعماد الدين الكاتب فقمنا اليه وخيمته الى خيمة بهاء الدين فوجدته يكتب كتاباً الى الديوان العزيز بقلم الثلث من غير مسودة وقال هذا كتاب الى بلدكم وذكرني في مسائل من علم الكلام وقال قوموا بنا الى القاضي الفاضل فدخلنا عليه فرأيت شيخاً ضئيلاً كله رأس وقلب وهو يكتب ويملي على اثنين ووجهه وشفتاه تلعب الوان الحركات لقوة حرصه في اخراج الكلام وكأنه يكتب بجملة أعضائه وسألني القاضي الفاضل عن قوله سبحانه وتعالى : « حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها » أين جواب اذا وأين جواب لو في قوله تعالى : « ولو ان قرآناً سيرت به الجبال » وعن مسائل كثيرة ، ومع هذا فلا يقطع الكتابة والاملاء . وقال لي ترجع الى دمشق وتجري عليك الجرايات فقلت : أريد مصر فقال : السلطان مشغول القلب بأخذ الفرنج عكا وقتل المسلمين بها ، فقلت لا بد لي من مصر فكتب لي ورقة صغيرة الى وكيله بها ، فلما دخلت القاهرة جاءني وكيله وهو ابن سناء الملك ، وكان شيخاً جليل القدر نافذ الأمر ، فأنزلني داراً قد أزيحت عللها وجاءني بدنانير وغلة ، ثم مضى الى أرباب الدولة وقال هذا ضيف القاضي الفاضل فدرت الهدايا والصلات من كل جانب وكان كل عشرة أيام او نحوها تصل تذكرة القاضي الفاضل الى ديوان مصر بمهات الدولة وفيها فصل يؤكد الوصية في حقي . وكان قصدي في مصر ثلاثة أنفس ياسين السيميائي والرئيس موسى بن ميمون اليهودي وابو القاسم الشارعي وكلهم جاءوني أما ياسين فوجدته محاليا كذاباً مشعبذاً يشهد للشاقاني بالكيمياء ويشهد له الشاقاني بالسيمياء ويقول عنه انه يعمل أعمالاً يعجز موسى بن عمران عنها وانه يحضر الذهب المضروب متى شاء ، وباي مقدار شاء ، وبأي سكة شاء ، وأنه يجعل ماء النيل خيمة ويجلس فيه وأصحابه

تحتها • وكان ضعيف الحال وجاءني مومى فوجدته فاضلاً لا في الغاية قد غلب عليه حب الرياسة وخدمة أرباب الدنيا • قال وكنت ذات يوم بالمسجد وعندي جمع كثير فدخل شيخ رث الثياب نير الطلعة مقبول الصورة فهابه الجمع ورفعوه فوقهم وأخذت في اتمام كلامي فلما تصرم المجلس جاءني امام المسجد وقال أتعرف هذا الشيخ هذا ابو القاسم الشارعي فاعتنقته وقلت اياك أطلب فأخذته الى منزلي وأكلنا الطعام وتفاوضنا الحديث فوجدته كما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين قال وكنا اذا تفاوضنا الحديث أغلبه بقوة الجدل وفضل اللسن، ويغلبني بقوة الحجة وظهور المحجة • وانا لا تلين قناتي لغمزه، ولا أحيد عن جادة الهوى والتعصب برمزه، فصار يحضر في شيئاً بعد شيء من كتب ابي نصر والاسكندر وثامسطيوس بؤنس بذلك نفاري، ويلين عريكة شماسي، حتى عطفت عليه •

وشاع ان صلاح الدين هادن الفرنج وعاد الى القدس فقادت الضرورة الى التوجه اليه فأخذ من كتب القدماء ما امكنه، وتوجه الى القدس قال: فرأيت ملكاً عظيماً يملأ العين روعة، والقلوب محبة، قريباً بعيداً، سهلاً محبباً، وأصحابه يتشبهون به، يتسابقون الى المعروف كما قال تعالى: «ونزعنا ما في صدورهم من غل» وأول ليل حضرته وجدت مجلساً حفلاً بأهل العلم يتذاكرون في أصناف العلوم وهو يحسن الاجتماع والمشاركة، ويأخذ في كيفية بناء الأسوار وحفر الخنادق ويتفقه في ذلك ويأتي بكل معنى بديع • وكان مهتماً في بناء سور القدس وحفر خندقه، يتولى ذلك بنفسه وينقل الحجارة على عاتقه، ويتأسى به جميع الناس الفقراء والأغنياء والأقوياء والضعفاء حتى العماد الكاتب والقاضي الفاضل •

قال وكتب لي صلاح الدين بثلاثين ديناراً في كل شهر على ديوان الجامع بدمشق وأطلق اولاده رواتب حتى تقرر لي في كل شهر مائة دينار ورجعت الى دمشق وأكببت على الاشتغال واقراء الناس بالجامع • وبعد وفاة صلاح الدين

عاد المترجم به الى مصر مع ابنه الملك العزيز . وكان في تلك المدة يقرئ الناس بالجامع الأزهر من أول النهار الى نحو الساعة الرابعة ووسط النهار يأتي من يقرأ الطب وغيره وآخر النهار يرجع الى الجامع الأزهر فيقرأ قوم آخرون . وأقام في القاهرة الى ان ملك الملك العادل ابو بكر بن أيوب الديار المصرية وأكثر الشام والشرق وتفرقت اولاد اخيه الملك الناصر صلاح الدين فتوجه الى القدس وأقام بها مدة ثم عاد الى دمشق ومكث بها زمناً ينتفع الناس بعلمه ثم سافر الى حلب وقصد بلاد الروم وأقام بها سنين كثيرة وكان في خدمة الملك علاء الدين داود بن بهرام صاحب ارزنجان وكان مكيناً عنده عظيم المنزلة وله منه الجامكية الوافرة والافتقادات الكثيرة ثم توجه الى ارزن الروم ورجع الى ارزنجان فكاخ فدبركي فماطية فحلب وأقام بحلب يشتغل عليه الناس وكان له من شهاب الدين طغريل الخادم أتابك حلب جار حسن ثم خطر له ان يحج ويجعل طريقه على بغداد وان يقدم بها للخليفة المستنصر بالله أشياء من تصانيفه ولما وصل بغداد مرض وتوفي بها بعد ان غاب عنها خمساً واربعين سنة .

ومن كلامه : ينبغي ان تحاسب نفسك كل ليلة اذا اويت الى منامك وتنظر ما اكتسبت في يومك من حسنة فتشكر الله عليها وما اكتسبت من سيئة فتستغفر الله منها وتقلع عنها وترتب في نفسك مما تعمله في غدك من الحسنات وتسأل الله الاعانة على ذلك . وقال أوصيك ان لا تأخذ العلوم من الكتب وان وثقت من نفسك بقوة الفهم وعليك بالأستاذين في كل علم تطلب اكتسابه ولو كان الأستاذ ناقصاً فخذ عنه ما عنده حتى تجد أكمل منه وعليك بتعظيمه وترجيبه وان قدرت ان تفيده من دنياك فافعل والا فبلسانك وثنائك . واذا قرأت كتاباً فاحرص كل الحرص على أن تستظهره وتملك معناه وتوهم ان الكتاب قد عدم وانك مستغن عنه لا تحزن لفقده واذا كنت مكباً على دراسة كتاب وتفهمه فاياك ان تشتغل بآخر معه واصرف الزمان الذي تريد صرفه في غيره اليه .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

واياك ان تشتغل بعلمين دفعة واحدة وواظب على العلم الواحد سنة او سنتين او ما شاء الله فاذا قضيت منه وطرك فانتقل الى علم آخر ولا تظن انك اذا حصلت علماً فقد اكتفيت بل تحتاج الى مراعاته لينمى ولا ينقص ومراعاته تكون بالمذاكرة والتفكر واشتغال المبتدئ بالتحفظ والتعلم ومباحثة الاقران واشتغال العالم بالتعليم والتصنيف واذا تصديت لتعليم علم او للمناظرة فيه فلا تمزج به غيره من العلوم فان كل علم مكتف بنفسه مستغن عن غيره فان استعانتك في علم بعلم عجز عن استيفاء أقسامه كمن يستعين بلغة في لغة أخرى اذا ضاقت عليه او جهل بعضها • قال وينبغي للانسان ان يقرأ التواريخ وان يطلع على السير وتجارب الأمم فيصير بذلك كأنه في عمره القصير قد أدرك الأمم الخالية وعاصرهم وعاشرهم وعرف خيرهم وشرهم • قال وينبغي ان تكون سيرتك سيرة الصدر الأول فاقرأ سيرة النبي عليه الصلاة والسلام وتتبع افعاله واحواله واقتف آثاره وتشبه به ما أمكنك وبقدر طاقتك واذا وقفت على سيرته في مطعمه ومشربه وملبسه ومنامه ويقظته وتمرضه وتطببه وتمتعه وتطيبه ومعاملته مع ربه ومع ازواجه واصحابه واعدائه وفعلت اليسير من ذلك فأنت السعيد كل السعيد •

قال وينبغي ان تكثر ايهامك لنفسك ولا تحسن الظن بها وتعرض خواطرك على العلماء وعلى تصانيفهم ، وتثبت ولا تعجل ولا تعجب فمع العجب العثار ومع الاستبداد الزلل ، ومن لم يعرق جبينه الى أبواب العلماء لم يعرق في الفضيلة ، ومن لم يخجلوه لم يبجله الناس ومن لم يبكتوه لم يسوّد ، ومن لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم ومن لم يكدح لم يفلح • واذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بذكر الله وبتسابيحه وخاصة عند النوم فيتشربه لبك ويتعجن في خيالك وتتكلم به في منامك واذا حدث لك فرح وسرور ببعض أمور الدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال وأصناف المنغصات ، واذا حزبك امر فاسترجع ، واذا

اعترتك غفلة فاستغفر ، واجعل الموت نصب عينك والعلم والتقى زادك في الآخرة . واذا أردت ان تعصي الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه واعلم ان الناس عيون الله على العبد يريهم خيره وان أخفاه ، وشره وان ستره فباطنه مكشوف لله ، والله يكشفه لعباده فعليك ان تجعل باطنك خيراً من ظاهرك وسرك أصح من علانيتك ولا تتألم اذا أعرضت عنك الدنيا فلو عرضت لك لشغلتك عن كسب الفضائل وقلما يتعمق في العلم ذو الثروة الا ان يكون شريف الهمة جداً او ان يثري بعد تحصيل العلم . واني لا أقول ان الدنيا تعرض عن طالب العلم بل هو الذي يعرض عنها لأن همته مصروفة الى العلم فلا يبقى له التفات الى الدنيا والدنيا انما تحصل بحرص وفكر في وجوهها فاذا غفل عن أسبابها لم تأته وأيضاً فان طالب العلم تشرف نفسه عن الصنائع الرذلة والمكاسب الدنية وعن اصناف التجارات وعن التذلل لأرباب الدنيا والوقوف على أبوابهم ولبعض اخواننا بيت شعر :

من جد في طلب العلوم أفاته شرف العلوم دناءة التحصيل

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجميع طرق مكاسب الدنيا تحتاج الى فراغ لها وحذق فيها وصرف الزمان اليها ، والمشتغل بالعلم لا يسعه شيء من ذلك وانما ينتظر ان تأتيه الدنيا بلا سبب وتطلبه من غير ان يطلبها طلب مثلها وهذا ظلم منه وعدوان ولكن اذا تمكن الرجل في العلم وشهر به خطب من كل جهة وعرضت عليه المناصب وجاءته الدنيا صاغرة وأخذها وماء وجهه موفور وعرضه ودينه مصون . واعلم ان للعلم عبقة وعرفاً ينادي على صاحبه ونوراً وضياء يشرق عليه ويدل عليه كتاجر المسك لا يخفى مكانه ولا تجهل بضاعته وكمن يمشي بمشعل في ليل مدلهم ، والعالم مع هذا محبوب اينما كان وكيفما كان لا يجد الا من يميل اليه ويؤثر قربه ويأنس به ويرتاح بمداناته واعلم ن العلوم تغور ثم تفور ، تغور في زمان وتفور في زمان بمنزلة النبات أو عيون المياه وتنتقل من قوم الى قوم ومن صقع الى صقع .

عالم عظيم استجمع شروط العلم في ذاته ، وانقطع الا عما شغل قلبه من صغره به من الدرس والتدريس والتأليف والتصنيف ، فطم نفسه عن المظاهر التي لا تأتي المغرم بها الا من طريق الدولة والسلطان ولا يتصدر في المجالس الا بقوة الملوك وما يفضلون به عليه من المراتب . عظم موقعه من نفوس ملوك عصره وكانوا يغتبطون اذا رأى نزول ساحتهم وقبول اعطياتهم يستميلون قلبه بما يرضيه ، ليتركوا له وقته يصرفه كما يجب في بث العلم في الناس .

في العادة أن تعظم شهرة العالم بعد وفاته وهذا على ما رأينا ضوءلت شهرته عما كانت عليه في حياته . وكان الباعث على ذلك فقدان كتبه الا جزءاً صغيراً من كتاب ، وما صنفه من الأسفار غير قليل ، وما كتب له البقاء منها أقل من القليل . دثرت كتبه لأنها في موضوعات فلسفية لا يحبها الفقهاء والمحدثون ، والحكماء في ملتنا أفراد يعدون على الأصابع في عصور يمينها يعانونها في سر ويكتمون عن الدهماء امرهم فسبحان من له هذا السر في خلقه .

محمد كرد علي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

درعيات المعري

طور ممهد للزوميات

في شعر المعري – كما في شعر كل شاعر آخر – غوامض تحتاج الى جلاء . من تلك الغوامض مقطّعات وقصائد تعرف بالدِرْعيّات اثبتها المعري أو اثبتها جامعو ديوان المعري في آخر الديوان مجموعة في مكان واحد . هذه الدرعيات التي اكتسبت اسمها من ان الشاعر يصف فيها انواع الدروع ووجوه فائدتها ، تبلغ احدى وثلاثين في العدد ، اطولها الدرعية السادسة [1] :

صُنتُ درعي إذ رمى الموتُ صَرْعيٌّ (م) بما يترك الغنيَّ فقيرا

فانها اثنان وستون بيتاً . أما أقصرهن فهي الدرعية الخامسة والعشرون :

عبٌّ بسنان الرمح في مثل النَهِرْ

وهي خمسة أشطر من الرجز .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبعد هذه الدرعيات في ترتيب الديوان تأتي ثماني مقطعات لا يصف فيها المعري الدرع ، ولكنه يتناول عدداً من الأغراض التي تناولها في الدرعيات . ثم ان الدرعيات والمقطعات الثانية التي تليها – مثل سائر قصائد سقط الزند – ليست مرتبة على أحرف الروي (على القوافي) ، وان كنا حتى الآن لا نستطيع الجزم بمدى ترتيبها التاريخي .

*

لقد خطر لي – كما خطر لغيري بلا ريب – سؤال صحيح : ما الدرعيات في ديوان المعري وما سبب نظمها ؟ ولقد طارحت نفراً أجلّهم حول موضوع

---

(١) ديوان سقط الزند ، طبعة امين هندية ، مصر ١٩٠١ م = ١٣١٩ ه الصفحة ١٤

الدرعيات فرأيت ان الدرعيات قد أثارت تساؤلهم ولكنها لم تستهوهم استهواء يحملهم على محاولة الجواب .

وبما انني في هذه الأيام أعد الطبعة الثانية من كتابي «حكيم المعرة» فقد أحببت ان أرجِع البصرَ في هذا الموضوع فعدت الى قراءة الدرعيات ونصبْ عينيّ ذلك السؤال القديم . ولقد تبين لي ببعض القرائن ان هذه الدرعيات هي في الحقيقة دور وسط بين ديوان «سقط الزند» الذي سار المعري في أكثره على خطى المتنبي فتعرض للناس فيه بالمديح وبالرثاء وبين «اللزوميات» حيث ينصرف حكيم المعرة عن البشر مرة واحدة ليهتم بالافصاح عن رأيه هو في الحياة والناس .

ثم تبين لي عرضاً ان المقطعات الثماني التي تلي الدرعيات في ترتيب الديوان الحالي تمثل دوراً قصيراً أراد المعري فيه ان يحل نفسه من التقيد بموضوع واحد ، هو موضوع «الدرع» ليطلق لعقله العنان في تناول جميع وجوه الانتقاد .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

*

أما الأدلة التي حملتني على هذا الاعتقاد فهي موجزة في ما يلي :

أ — يلوح لي ان المعري نظم الدرعيات في مدّى واحد من الزمن وانه نظمها بعد رجوعه من بغداد في الأغلب . نلاحظ ذلك من أشياء عدة أقلها انه اخذ يستمد شيئاً من استعاراته وتشابيهه من العراق والرحلة الى العراق :

وما رقدت عَذْبيء ولكن سما لها ـ طروقاً ، فأعداها ـ سنىً متناعس
كلمع الشنوف المسجديات او كما أشارت بأخفى سورهن العرائس
جُوازك ناب ان ضربت به السُرى ورحلك ليلاً فوق ناب تواعس
فرتك أواذيُّ الفرات صبابة وابلستَ لما اعرضت لك بالس [1]

وكذلك نلاحظ ان المعري يذكر في الدرعيات شيبه وتهدم جسمه ، فقد قال في الدرعية الأولى (ص ١٣٥) :

(١) سقط الزند ١٦٢ — ١٦٣ ، راجع ١٥٨ : دجلة ودجيل ،

واخلقتُ الشباب وكان يُردي ؛ وفارقت الحُسام وكان حنني ٠
أعاذل ، طالما اتلفت مالي ، ولكن الحوادث أتلفتني

ثم قال في موضعين آخرين (١٣٦ و ١٥٣) :

وإني لا يُغيّرُ لي قتيراً خضاب كالمدام بلا مزاج
منعت الشيب من كَتَم التراقي ولم أمنعه من خطر العجاج[1]
غدا فَوْدي كالفودَيْنِ ثقلا وأضحى الشيب بينهما عِلاوه[2]

أما الدليل الحاسم على ان الدرعيات ترجع الى ما بعد رجوع الشاعر من بغداد فذكره فيها انه «سجن نفسه ليبتعد عن الناس» ، وهذا «السَّجْن» هو الميزة الكبرى لاتجاه المعري في لزومياته نفسها . قال (سقط الزند، ١٤٧، البيت الأخير) :

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها من الإنس، ما إخلاءُ رَبْعٍ بإخلال!

وهكذا يبدو بوضوح ان المعري اراد ان يتخذ من الحوم حول وصف الدرع وسيلة الى طرق موضوعات تتعلق بتفضيل المجاهد على القاعد ، وبالتالي بتفضيل الذي ينظر الى الدنيا بعين الجد على الذي يراها لهواً بالنساء خاصة . ثم تطرق من هذا الى التأمل في أوجه كثيرة من أوجه الحياة .

ب — وبقراءة الدرعيات بانعام نظر يتبين ان المعري أراد ان يجريها من حيث القوافي مجرى لزوم ما لا يلزم ، ولكن لم يتأت له ذلك على الوجه الأكمل لقرب عهده بممارسة هذا النوع من النظم . على ان له درعية هي لزومية تامة (الدرعية الحادية عشرة، الصفحة ١٥٢) :

ما أنا بالوغْبِ ولا بابْنِ الوغْبْ يا ثغبَ وادينا سلمت من ثغْبْ
حمله فوق بريء من تَغْبْ طِرْفٍ مُعَدٍّ للطعان والشغْبْ
فلم يبـال باللُّوام واللَّغَبْ تسمع للشعلب فيه كالضغبْ

(١) منعت رأسي الخضاب بالكتم (بالحناء) لاخفي شيبه ، ولكن لم امنعه من أن يعلوه غبار الحرب فيزيد في لون مشيبه . (٢) الفود : الشعر على جانب الوجه قرب الأذن . والفود أيضاً : العدل ، الكيس الكبير .

اردى ظباء السُمْر همت بالنغْبْ ورد سَغبان السيوف بالسغْبْ
لا تَلْهُ عن جلاته ولا تغْبْ [1]

ومثل ذلك الدرعية الخامسة والعشرون (ص ١٦٣) فانها من الرجز أيضاً وقوافيها الخمس في أشطرها الخمسة : النَهْرْ - القهر - مَهر - الشهر - الدهر .

وهنالك مقطعات لم يتم فيها للمعري التزام ما لا يلزم كالدرعية الخامسة عشرة مثلاً فانها تسعة عشر بيتاً التزم الشاعر اللام والواو والكاف في سبعة أبيات منها : هلُوك - ألوك - الصعلوك - ملوك - هلوك (وهذه الخمسة كلها متوالية في مطلع الدرعية) - المألوك - دلوك (ص ١٥٥ - ١٥٦) .

على ان من أغرب ما يلفت النظر في هذا الباب الدرعية الثلاثون ، فان المعري بناها على الرويّ « أى » ولكنه التزم في كل قافية حرفاً سابقاً على «أ» غير مكرر في المقطوعة كلها . ولو اننا رتبنا قوافي هذه الدرعية حسب نسق الأحرف الهجائية (لسهولة الاحاطة بها) لوجدناها كما يلي (ص ١٦٩ - ١٧٠) :

نَأْى - دَأْى - ذأى - شأى - صأى - فأى - لأى - مأى -
وأى - نأى - نأي [2] .

ج - وتتفق الدرعيات مع اللزوميات من حيث الغرض ان الزهد بارز فيها وان ذمه للدنيا فيها كثير (سقط ١٤٧ - ١٤٨) :

وحرّمتْ شرب الراح لاخوف سائط [3] ولكنها ترمي العقولَ بعُقّال
ومن مسره ثوب يعز بلبسه فلا تجر منه ام دَفْرٍ [4] على بال
هَلوك [5] تهني المستهام بحبها وتلقى الرجال المبغضين بإقبال

(١) الوغب : الأحمق اللئيم النغب : الماء في بطن الوادي ، الذبح والطعن . النغب : الريبة.الطرف : الحصان.الضغب : صوت الذئب والأرنب . السمر : الرماح. النغب :الشرب القليل.
(٢) كذا في الأصل ، وصوابها : تأى بالتاء المثناة من فوقها بمعنى : سبق .
(٣) السائط الذي يضرب بالسوط ، يقصد خوفاً من الحد (العقاب على شرب الخمر بالضرب).
(٤) الدنيا . (٥) المرأة المتهالكة على الرجال .

لذاك سجنت النفس حتى أرحتها ... من الإنس، ما إخلاء ربع بإخلال
اذا ما حللت الجدب فرداً بلا أذى ... فسقياً له من روضة غير محلال

د – الحملة على المرأة . وفي الدرعيات حملة ظاهرة على المرأة ، بل ان المقصود من الدرعيات كلها التنفير من النساء . قال المعري في الدرعية التاسعة والعشرين على لسان أيم عجوز تنصح ابناً لها بلبس الدرع للجهاد والمعالي وبالعزوف عن الزواج ولو عرضت عليه خير النساء ، فانها لن تكون الا شر الخلق (ص ١٦٧ — ١٦٩) :

عليك السابغات فإنهنه ... يدافعن الصوارم والاسنه
ومن شهد الوغى وعليه درع ... تلقاها بنفس مطمئنه
ولم يترك أبوك سوى قناة ... وسيف آزر فرساً وجنه (١)
فحن الى المكارم والمعالي ... ولا تثقل مطاك بعبء حنه (٢)
فإني قد كبرت وما كعاب ... ملائمة عجوزاً مقسئنه (٣)
فلا تطع الدوالف مرسلات ... فكم أوقعن في أرض مجنه (٤)
يقلن : فلانة ابنة خير قوم ... شفاء للعيون إذا شفنه (٥)
أولئك ما أتين بنصح خل ... ولا دين المليك ولا يدنه
ولو طاوعتهن لجئن يوماً ... باخت الغول والنصف الضفنه (٦)

هـ – وفي الدرعيات تبدأ شكوك المعري بالظهور ويبدأ عنده انكار المغيبات على ما نعرف في اللزوميات تماماً ، قال (ص ١٥٩) :

والدهر إعدام ويسر وإبـ ... رام ونقض ونهار وليل
يفني ولا يفنى ويبلي ولا ... يبلى ويأتي برخاء وويل

وهذا بلا ريب نظير قوله في اللزوميات :

---

(١) آزر : أبيض . (٢) مطاك : ظهرك . حنة : زوجة . (٣) مقسئنة : كبيرة . (٤) مجنة : لعلها : فيها جن . (٥) شفن : نظر نظرة اعجاب .
(٦) النصف : المرأة التي ذهب نصف عمرها (أي أطيبه). الضفنة : الحمقاء، الكبيرة الجسم.

نزول كما زال آباؤنا ويبقى الزمان على ما ترى :
نهارٌ يضيء وليل يجيء ونجم يغور ونجم يُرى .

و من القطع التي ليست من الدرعيات ولكنها ملحقة بها على ما رأينا في مطلع هذا المقال من حيث الزمنُ وتشابهُ الأغراض قطعة يحن المعري فيها الى النوم الطويل (الموت) ، ويرى انه الراحة من عناء الحياة . وهذا شيء نعرفه في اللزوميات ، قال (ص ١٧٢) :

ما بعد ذَيْن سوى الحمام ، وإنني لإخالُ أن الهجر فيه طويل
وفضيلةُ النوم الخروجُ بأهله من عالَم هو بالأذى مجبول

لاحظ هنا أيضاً قوله : من عالم هو « بالأذى مجبول » مما يطالعك كثيراً في اللزوميات .

*

وهنالك خصائص أخرى تجعل الدرعيات طوراً سابقاً على اللزوميات . ويبدو ان المعري بعد ان رجع من بغداد واعتزل الناس اراد ان يطلع على الناس بآرائه وشرط على نفسه ان يلتزم القافية والفن ، فاتخذ موضوع « الدرع » . ولو ان المعري جرى الى آخر الشوط هذا المجرى لكانت « درعياته » مملة لضيق مجال الشعر فيها . ولقد أحسن المعري حينما حل نفسه من التزام « الفن » فترك الدرعيات وطلع علينا باللزوميات التي قيد فيها نفسه بالقافية وحدها .

*

انني أعتقد انني كشفت عن ناحية كانت غامضة في سقط الزند راجياً أن أكون قد أصبت النظر وأحسنت التعبير . ولعل في الدارسين من يسددني في ما أخطأت ويستدرك علي ما غفلت عنه .

الدكتور عمر فروخ

تحقيقات معجمية

تمهيد

كل متفرغ للمعجميات ، ولا سيما للتقصّي عن أصول الألفاظ ، واشتقاقها ، وتطوّر معانيها ، كما نصنع نحن ، يتحقق مثلنا أي جهد يقتضي بذله ، وأي عناء يلزم تكبده ، لفك مغاليق هذه المعميات التي يبقى بعضها ، أحياناً ، من الأسرار الغامضة ، الى ما شاء الله . ويا ليت جميع الأسلاف ، من لغويين ومعجميين ، بذلوا ما في وسعهم ، فتمكنوا من صنع مثل هذا الصنع ، لكانوا بذلك كفونا ، غالب الأوقات ، مؤونة الجهد في التقصّي والتنقيب ، مما يعرض لنا ، مراراً ، الرجوع عنه غير مطمئنين ، ان لم نقل خائبين .

مع ذلك كله يتحتم علينا ، نحن العصريين ، الاقرار بعميم افضال الأقدمين ، لما أدّوه من الخدم الجلّى في سبيل اللغة الجليلة ، بسعيهم الحثيث في جمع شتات مفرداتها ، وتنسيق قواعدها ، وغير خليق بنا الانحاء عليهم باللائمة ، لما يظهر لنا من الخلل في بعض النواحي من اساليبهم وتقصياتهم . فلهم العذر في ذلك . اذ لدرس العربية ، كما لدرس جميع اللغات ، أوجه مختلفة . فقد انصبّ القدماء على البحث فيها من ناحية خاصة ، وهي منفردة ، منقطعة عن غيرها ، لعدم تضلعهم الاّ من معرفتها . أما اليوم فمن جملة طرائق التقصي فيها طريقة مقارنتها باخواتها السامية وسواها ، وطبقاً للوسائل العلمية التي لم تكن في زمانهم على ما وصلت اليه ، في عصرنا ، من التوافر والرقي الذي هو سنة البشرية في عامة أحوالها . اذن ليس من غرابة اذا ما اسفرت الأبحاث العصرية عن نتائج مغايرة لما سبقها قديماً ، بيد انها عائدة ، في كل حال ، بجزيل الفوائد على لساننا الوطني . وهكذا يتسنى لكل عصر خدمة اللغة بما يتهيأ له من الذرائع والطرائق الملائمة الفعالة .

غير خاف عنا انه ، بجانب فريق العلماء المحبذين والمقدّرين لهذه الأبحاث ، هناك فريق آخر ليس بين جمهرة المثقفين وحسب ، بل بين اللغويين اهل التخصص ذاتهم ، لا تلذ لهم هذه الدروس ولا تروق في عيونهم ، لمجرّد كون أساليبها ونظرياتها مختلفة عما ألفوه من الأساليب القديمة المأثورة . لذا ، نجاهر ، في هذه المناسبة ، باحترامنا آراء غيرنا من أهل المقامات العلمية ، وباقرارنا بفضل وجهود أئمة اللغة في المجامع اللغوية ، وخارجاً عنها . وأما مارشقنا به من مثل هذه السهام : « انت من الخارجين على سلطة اللغويين الأقدمين والمعاصرين ؟ انت مقوّض اركان المعاجم التي ورثناها عن السلف الصالح ؟ انت قالب نظام اللغة رأساً على عقب ؟ انت اذاً عدوّ العربية ! ! » فما لنا ، رداً على هذا الطعن ، سوى ترك اصحابه وشأنهم ، فان فيهم يثبت المثل القائل : « ان الانسان عدو ما جهل » .

وها نحن أولاء نثابر ، دون ملل ، على السير في الطريق الشاقة التي آلينا على نفسنا السلوك فيها ، مهما كلفنا الأمر من تعب ونصب ، لأنها في نظرنا — كما في نظر اللغويين المحققين — من انجع الوسائل لخدمة لساننا ، في هذا العصر ، عصر النهضة والتقدم بمجاراة مقتضيات الحضارة الحقة ، والعلوم الحديثة الصحيحة .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ان « تجديد المعجمية العربية ، طبقاً لهذه الأساليب لما يتطلب مساعي حثيثة ، وجهوداً مشتركة ، ضمن لجنة من ارباب الاختصاص في اللغويات ، واهل الاطلاع على بقية اللغات السامية ، وعلم مقارنتها ، برعاية ندوة تشرف على اعمالها وتقوم بنفقاتها .

الاّ ان هذا لا يمنعنا عن مواصلة السعي سعياً شخصياً ، حسب الظروف الملائمة ، وبما لدينا من المعارف والوسائل . عسانا بذلك نتوصل الى المؤازرة ، ولو على انفراد وعن بعد ، في تشييد هذا البناء الجديد ، بناء معجم اشتقاقيّ ، معنويّ ، منطقيّ ، عصريّ ، لائق بلغةٍ جيلةٍ ، جليلةٍ ، غنيةٍ ، كلغتنا العزيزة ، التي لم نزل ، ولن ننفكّ عن خدمتها ، بلذة وانبساط ، وبغيرة ونشاط . فان مَن خدم لغته ، خدم وطنه وأمته .

* * *

ا : برّ

العربية :

برَّ الرجلُ : صدق ؛ برّت يمينه : صدقت ؛ برّ الله عبادَه : رحمهم ؛ برّ فلانٌ ربَّه : اطاعه ؛ برّت سلعةُ الرجل : نفقت ؛ بر والدَه : وصله محسناً اليه واطاعه ؛ برّ في يمينه : صدق ؛ برّ حجُّه قُبِل ؛ برَّ اللهُ حجَّه : قبله ؛ برّ الغنمَ : ساقها ؛ بر الرجلَ : قهره بقول أو فعل ؛ برّ عملُه : صلُح ؛ برّ السائلَ : وصله . — بررّه : نسبه الى البِرّ وزكّاه ؛ أبرّ يمينه : امضاها ؛ أبر على أصحابه : علاهم ؛ أبرّ الرجلُ : كثر ولدُه ؛ أبرّ القومُ : كثروا ؛ أبرّ عليهم : قهرهم وغلبهم ، أبرّ الرجلُ : اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . بارّه : لاطفه ، وأحسن اليه . تبرّر خالقَه : اطاعه ؛ تبرّر : عرّج ، جانب الاثم ، انفصل عنه . ابترّ : انتصب منفرداً عن اصحابه .

البَرّ : من الاسماء الحسنى ؛ البارّ : الصادق ، الكثير البِرّ ، الصالح ، المطيع .

البَرّ : نقيض الكِنّ ، الارض اليابسة .

البِرّ : الخير ، الصدق ، الطاعة ، العدل ، الصلة ، الحجّ ، سوق الغنم .

البُرّ : الحنطة ، واحدته البُرّة .

البَرّيّ والبرّيّة : نسبة الى البرّ . المبرور من الحجّ : ما لا يخالطه شيء من المآثم ، والمبرور من المبيع : ما لا شبهة فيه ، ولا كذب ، ولا خيانة [١] .

السريانية :

Bar : بَرّ ، صدق ، سذج ، بله ، غبي ، تفه .

Brîrâ : وديع ، ساذج ، أبله .

Barrâ : برّ ، قفر ، خارج [٢] .

---

(١) التاج ٣ : ٣٦ ي ي ، القاموس ١ : ٣٧٠ ي .

(٢) معجم المطران منّا (سرياني - عربي) ص ٧٨ ، معجم المطران أودو (بالسريانية) ١ - ٩٦ ي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

العبرية :

Bârar : نظّف ، طهر ، فصل ، قسم ، اختار ، صقل ، فحص .

Baraèr : لمع ، أوضح ، أثبت ، اختار ، نقّى .

Bar : نظيف ، نقي ، خالص ، فارغ ، واضح ، وحش .

Bar : بُرّ ، حنطة ، قمح .

Bôr : نظافة ، نقاء ، طهارة .

Bâr : برّ ، حقل ، بريّة ، خارج [1] .

الحبشية :

Barara : كان نقياً ، نظف ، طهر ، كان باراً ، صادقاً .
نفذ ، خرق .

Barbir : حُفرة ، بئر ، صهريج .

Barbara : سرق ، سلب ، نزع ، فصل .

Berûr : فضة ، نقود فضية [2] .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأكديّة :

Barâru : أضاء ، لمع ، تلألأ .

Ubtarrir : فحص ، استفهم ، لاحظ ، ترصّد .

Barru : لامعٌ ، فضة .

Barîru : ضوء ، لمعان .

Barrûru : مُضيء ، لامع .

Barârîtu : طلوع النجوم ، الهجيع الأول من الليل [3] .

---

(١) معجم Robinson (عبري – انكليزي) ص ١٤٠ ي . معجم El - Maleh (عبري – فرنسي) ص ١٩٠ ي . (٢) معجم Dillmann (حبشي – لاتيني) ٥٠١

(٣) معجم Bezold (اكدي – ألماني) ١٩٤ .

تنسيق وتعليل

(١) الفكرة الأولية الحسية المتضمنة في الثنائي «بَرّ» ، كما في مجانسه «فَرّ» هي فكرة الشق ، والقطع ، والفصل ، والابعاد . وهي كامنة او ظاهرة في بقية المعاني على اختلافها في العربية واخواتها السامية . بيد انها متجلية كل التجلي في العبرية .

(٢) من القطع والفصل جاءت مداليل التنظيف والتطهير والتنقية . ومن جملة وسائل التنظيف الصقل ؛ ومن الصقل يجيء الرواء واللمعان ، ومن ثمّ الوضوح .

(٣) فكرة الفصل كامنة في فكرة الاختيار والانتقاء ؛ لان اختيار الشيء يتطلب فصله عن غيره . وهذا جارٍ أيضاً في عمل الفحص والاستفهام والملاحظة والترصّد .

(٤) نجد الفصل في معاني الفراغ ؛ لأن الفارغ هو المنفصل عنه ما كان يملؤه .

(٥) كذلك نرى فكرة الانفصال في معنى التوحش . لأن هذه الحالة متوقفة على ابتعاد المرء عن المجتمع ، والتمادي في عيشه الاعتزال .

(٦) أحد معاني «بَرّ» في السريانية هو «التفاهة» اي فراغ الشيء من الملح والذوق الطيب . وكذلك «البلاهة» فهي حرمان الانسان من العقل وفي ذلك فكرة الانفصال .

(٧) في الحبشية يعني Barara الخرق والحفر ، اي القطع والفصل . من ذلك Barbīr : حفرة ، بئر ، صهريج . و Barbara الحبشية هذه يراد بها أيضاً النزع والسلب والسرقة . وفي النزع فكرة الانفصال . و Barru الاكدية ، و Barûr الحبشية مما يطلق على الفضة ، وذلك لمعانها الناجم عن نقائها وخلوها من الدرن .

(٨) من النقاوة المادية ، اي الانفصال عن الدنس ، انتقلت هذه الفكرة الى النقاوة الأدبية والروحية . من ذلك تولّدت المعاني الدالة على هذا في مختلف الألسنة السامية ، ولا سيما في العربية ، وهي معاني البرارة وما ينجم عنها من الفضائل كالصدق ، والعدل ، والطاعة ، والاحسان ، والعبادة ، والخير من باب الاطلاق .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

(٩) تظهر فكرة الانفصال في العربية في المزيد : ابترّ : انتصب منفرداً ، أي منفصلاً عن أصحابه ؛ ثم في تبرّر : تحرّج : جانَبَ الشرَّ ، اي انفصل عنه . وتتجلى فكرة الخير في القول : أبرّ الرجلُ : كثُرَ وُلدُه ، وأبرّ القومُ : كثُروا . والكثرة في العدد خير . ثم في أبرّ على القوم : علاهم وغلبهم وقهرهم . والتفوّق خير لصاحبه .

(١٠) يحدّد أرباب الاشتقاق « البِرّ » بان اصل معناه « السعة » . وجاء في البصائر : « مادة ب ر ر موضوعة للبحر ، وتُصوِّر منه التوسع ، فاشتق منه البِرّ ، اي التوسع في عمل الخير [١] » . بيد أنّ هذا التعليل لا ينطبق على أصل الكلمة الدال على القطع والفصل ، أولاً بالتنظيف المادي ، ثم بالتنقية الأدبية ، الناجم عنها الصلاح ، اي الانفصال عن كل شرّ ؛ وهذا هو البِرّ من باب الاطلاق . من ذلك الحج المبرور الذي لا يخالطه شيء من المآثم . وكذلك المبيع المبرور : الخالص من الكذب والخيانة .

(١١) « البَرّ » بمعنى القفر ، اي المنفصل عن الأماكن المسكونة من قرى ومدن . وهو أيضاً الأرض اليابسة الخالية من الأشجار والسكان . من ذلك يقال : أبرّ الرجلُ ، اذا ركب البَرّ مسافراً فيه . ومنه ايضاً قولهم : أفصح العرب أبرّهم ، اي أبعدهم في البَرّ والبدو داراً .

(١٢) « البُرّ » القمح او الحنطة . وتسميته بذلك ليس « لكونه أوسع ما يحتاج اليه في الغذاء » ، كما ورد في المعاجم . بل لأن فيه مفهوم الانفصال ، انفصاله عن التبن ، اي كونه حنطة مذرّاة ، خالصة ، معدّة لتُخزن في الأهراء [٢] .

(١٣) « البِرّ » : سوق الغنم ، كما جاء الهِرّ دعاء لها . وهو حكاية صوت .

(١٤) في اللهجة الدثينية جاء « بَرّ » بمعنى ظهر ، لمع . وهو موافق لمدلوله في

(١) التاج ٣ - ٣٧ .
(٢) التاج ٣ : ٣٨ . معجم Gesenius (عبري - لاتيني) ١ - ٢٤٥ .

الاكدية والحبشية . من ذلك : « القمر بارْ على الدنيا » اي لامع ، مشرق ، منتشر . واللمعان نتيجة الصقل ، والصقل فعل مكمِّل لعمل التنظيف والتنقية من الأوساخ

(١٥) في اللهجة المهريّة والقُطريّة وارد ايضاً الثنائي « بَرْ » بمعنى قد ، وقطّ ، وابداً . وقد زعم بعض المستشرقين المستسيمين ان اصل الحرف من كلمة « عبَر » (بقطع العين من أوله) . بيد أنّ الصواب كونه من الثنائي « بَرْ » وهو مستعمل في المهريّة ، كاستعمال « قَدْ » في الفصحى ، لتأكيد الفعل الماضي ، أي انفصاله وابتعاده عن الزمن الحاضر [1] .

ب : برأ

العربية :

برأ : خلق ؛ برِئ من العيوب والديون : تخلّص وسلِمَ ؛ و — من المرض : نقه وتعافى . برّأه : رفع عنه الشبهة . بارأ شريكه : فارقه وفاصله . تبرّأ منه : تخلّص . تبارأا : تفاصلا وافترقا . استبرأ : طلب الابراء ، أي التخلّص من الدين والذنب . البَراءة : السلامة من الذنب والعيب . البريء : المتقصي عن القبائح ، المتنحي عن الباطل والكذب ، النقي القلب من الشرك .

البراءة : قترة الصائد التي يكمن فيها ، اي يعتزل .

برى السهم : نحته . والبُراية : النُحاتة . برى السَفَرُ الانسانَ والحيوان : هزله وأذهب لحمه . من البري اي القطع . البري : التراب ، لأنه مسحوق ومنحوت . برى له وانبرى : عرض له . وباراه : عارضه . تباريا : اذا صنع كل واحد منهما ماصنع غيره . المتباريان : المتعارضان بفعلها ليعجز أحدهما الآخر بصنيعه ، اي ليقطعه عن العمل . وفي كل هذه المداليل الفحوى الأصلي ، وهو القطع والفصل [2] .

(١) المعجم الدثيني تأليف de Landberg ، ١ — ١٤٤ .

(٢) التاج ١ : ٤٤ ي ، اللسان ١ : ٢٢ ي ، معجم Lane (عربي — انكليزي) ١٧٨ و ١٩٧ .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

السريانية : Brâ : برأ ، خلق ، صنع ، اخترع .

Abri : أخرج ، أبعد ، نزّ ، نزع ، جرّد ، برز ، طهّر .

Brîtâ : خليقة ، بريّة ، مسكونة ، جنس البشر .

Bar , Brâ (ج) Bnâyâ : ابن (بنون) ، مثيل ، صاحب ، أهل ، ذو .

Bartâ (ج) Bnâtâ : بنت (بنات) ، مثيلة ، صاحبة ، ذات .

Brônâ : بنيّ ، كبيّس .

Abar : تبنّى ، كثّر ، أنمى [1] .

العبرية :

(بالألف) Bârâ : برأ ، أوجد ، خلق ، سمن .

Bari 'ah : خلقة ، خليقة ، تأسيس ، تصنيف .

Bârê : قطع ، جذم ، اصطلم ، حدّ ، شحذ .

Habrê : قوت ، سمّن ، سلم ، ضخم .

Bari : سمين [2] .

(بالهاء) Barah : أكل ، تخبّر ، فصل ، عزل .

Biryah , Barut : طعام ، قوت .

Berit : عهد ، ميثاق ، محالفة ، اتفاق [3] .

الاكدية : Barû : صنع ، خلق ، أوثق ، أخذ عهداً .

Biritu : قيد ، وثاق ـ عهد [4] .

الفينيقية : هبرا : قاطع ، باتر ـ صناعة متطلبة القطع .

السبئية : برا : ضبك ، بنى ، شيّد [5] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

---

(١) معجم منّا ، ص ٧٩ ي ، معجم أودو ١ ـ ٩٧ ، معجم Payne - smith (سرياني-لاتيني) ٥٧٨ ي.

(٢) معجم Robinson ١٣٥ ، معجم El - Maleh ١٨٢ .

(٣) Robinson ١٣٦ ، El - Maleh ١٨٣

(٤) معجم Bezold ٨٥ .

(٥) Robinson ١٣٥ .

تنسيق وتعليل

(١) هذا الفعل الناقص مختلف اللام في العربية واخواتها . ففي العربية برى ، برأ ، برىٔ . وفي السريانية ينتهي بالألف . وفي العبرية تكون لامه تارة هاء وطوراً الفاً . وفي الاكدية ، لا يوجد لا ألف ولا هاء ولا همزة . فيقوم عوض ذلك اشباع حركة العين .

(٢) على ان كل هذا مشتق من الثنائي السابق وهو « بَرْ » ودلالته الأصلية ، كما ظهر في المادة المتقدمة ، هي القطع والفصل . وهذه الفكرة قد توسعت في مشتقاتها ، في الفعل الذي يدعوه الصرفيون ناقصاً ، أو مهموز اللام .

(٣) أول توسع لهذا الأصل الثاني لم يجرِ بزيادة حرفٍ ، لكن بمد حركة العين . فجاء من ذلك « برَى » والألف هنا ليست بالحقيقة حرفاً ، بل هي حرف علامة لاشباع الحركة السابقة ، اي الفتحة . والدليل ان الاكدية المدوّنة بالكتابة المقطعية لا وجود فيها لحرف في الآخر ، بل ان صائتة المقطع الثاني طويلة لا غير [1] . أما السريانية فالاشباع يجري فيها بالألف وحدها . وأما العبرية فيتم فيها المدّ تارة بالهاء ، وتارة بالألف . لأن هذين الحرفين يقومان بوظيفة اشباع الفتح [2] . على ان العربية يحصل فيها نبرة الحركة الثانية فتصبح همزة . مما تولد منه مهموز اللام .

(٤) اذا تقرّر ذلك اي ان الأصل هو الثنائي « بَرْ » الدال على القطع والفصل والنحت والتشكيل ، هان علينا تبيان الاشتقاق . فبَرَى ، في العربية ، يعني قطّ القلم ، ونحت السهم . وفي ذلك فكرة القطع . في « برىٔ » من المرض يوجد فكرة الانفصال عن السقم والعودة الى الصحة . أما « برأ » بمعنى خلق ،

(١) Grammaire accadienne , par G . Ryckmans , P. 82

(٢) Grammaire hébraique , par Touzard P . 78 s

فدلالته الأصلية هي الصنع بالقطع والنحت ، ثم خصص بفعل صنع الله الخلائق من العدم ، ومن الصنع نشأ معنى التأسيس والتأليف ، وكذا الأمر في جميع مزيدات «برأ أو برى» ، اذ في سائرها سائدة فكرة القطع والفصل الأصلية في الثنائي .

(٥) من معنى الفصل تولّد مدلول التخيُّر ، والاخراج ، والابعاد ، والنزع ، والتجريد ، والتطهير والتبرير .

(٦) في العبرية ، من معاني Bara : الأكل ، ثم الاقاتة ، ثم السمن والتضخّم . فهذه كلها سهلة الادراك ، ومتساوقة الاشتقاق . لأن الأصل هو القطع . وما عمل الأكل الا تقطيع المأكولات بالأسنان ، قبل ابتلاعها . ومن الأكل تنشأ الصحة . ومن نتائج الصحة السمن ؛ ومن فرط السمن التضخّم .

(٧) في العبرية والاكدية ، يدل فعل Bara و Barû على الميثاق والعهد ، وهو Berit و Biritu . بيد ان هذا المدلول عينه ناجم عن القطع والفصل . لأن من عادات الأقدمين ، في حفلات عقد المحالفات ، والارتباط بالعهود ، انهم كانوا يذبحون الذبائح ويأكلون منها . فسمي العمل الاجتماعي باسم الفعل المادي ، اي نحر الأنعام التي كانت تجزر في تلك الفرص [1] . كما ان أصل «القسَم» بمعنى اليمين ، صادر عن مثل ذلك . لأنه وقت ابرام الحلفان كانت تجزر الجزور وتقسَّم اشلاؤها على المتحالفين الذين كانوا عند «ابرازهم القسَم» يغمسون ايديهم في دمائها [2] .

(٨) هناك كلمتا «ابن وبنت» في العربية ، ثم لفظة Bar في السريانية والعبرية ؛ و Beu في العبرية . ففي هذا الصدد يقتضي ان نعرف ان الباء

---

(١) سفر يشوع ٩ : ٦ ي ، سفر القضاة ٣ : ٢ ، ١ صموئيل ١٨ : ٣ ، ٢٣ : ١٨ . معجم Gesenius ١ — ٢٣٨ .
(٢) اللسان ٨ : ٣٦ ، التاج ٤ — ٢٠٣ .

والنون تتعاقبان في اللغات السامية . وعليه يتفق هذا الأصلان في الدلالة . فلفظة Bar التي في السريانية ، والعبرية ، تدل على الابن ، هي من Bara و Bra بمعنى صنع ، خلق ، أولد . لأن الايلاد نوع من الصنع والخلق . وأما « ابن » العربية فهي آتية من « بنى » المبدلة من Bara ولها مقابل في الأكدية التي نجد فيها Banû بدلالة « بنى » العربية ، ودلالة « أولد » . لأن البناء ضرب من التكوين والانشاء والايجاد ، ومنه الايلاد [1] . والدليل على ابدال الراء من النون هو انه حتى في الارمية نشاهد ان جمع Bar بمعنى « ابن » أو مولود ، هو Bnaya حيث تظهر النون [2] . وكل هذا متضمن في الثنائي « بَرْ » (ومبدل بَنْ » الدال على الانفصال والاشتقاق عن الاصل ، أي الصدور والتولّد .

(يتبع) الأب مرمرجي الدومنكي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

(١) معجم Muss - arnolt (اشوري - بابلي - انكليزي - الماني) ١ - ١٧٣ ، معجم Bezold ص ٩٠ .

(٢) منا ، ٧٩ ي ، معجم Payne - smith ١ - ٥٧٨ .

كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب

في مكتبة المدرسة العثمانية بحلب كتاب بهذا العنوان ذكر في فهرس المكتبة بين كتب فن الطب والتشريح برقم ١١٨٣ • اطلعت عليه فوجدت مكتوباً في صدره : كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب تأليف الشيخ الامام العلامة ابن الأثير تغمده الله برحمته بمنه وكرمه • وهناك ختم مربع مستطيل عليه اسم عثمان باشا بن عبد الرحمن باشا الديوركلي باني الجامع وواقف الكتاب •

أنقل من الكتاب ، للتعريف به ، ما يلي بحرفه :

بسم الله الرحمن الرحيم • رب يسر يا كريم •

المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن وتشتمل على ثلثة أبواب وفصول •

الباب الأول في المعادن • المعادن هي أجسام متولدة من الأبخرة والأدخنة تحت الأرض اذا اختلطت على ضروب من الاختلاطات مختلفة اللون والكيف • وهي اما قوية التركيب واما ان تكون منطرقة او لم تكن منطرقة • فهي الاجساد السبعة وهي الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والخارصيني والاسرب • وان كانت غير منطرقة فاما ان تكون في غاية اللين كالزئبق ، واما ان تكون في غاية الصلابة ، فاما ان تنحل بماء الرطوبات وهي الاجسام الملحية كالزاج والنوشاذر • واما ان تتحلل وهي الأجسام الدهنية كالزرنيخ والكبريت • فاما الأجسام السبعة فتتولد من أخلاط الزئبق والكبريت على اختلاف في الكم والكيف ••• الخ

وقال في الباب الثاني ، وهو في النبات : قال المسعودي ان آدم عليه السلام لما هبط من الجنة خرج ومعه اربعون قضيباً مودعة أصناف الثمر • منها عشرة

لها قشر . وهي الجوز واللوز والجلوز والفستق والبلوط والشاهبلوط والصنوبر والنارنج والرمان والخشخاش . ومنها عشرة ثمرها نوى ... الخ .

الباب الثالث في أصناف الحيوانات وعجايبها . النوع الأول في حقيقة الانسان ... الخ . يأتي بعد هذا الباب فصل في حيوانات عجيبة الأشكال . وقد قسم الفصل الى ثلاثة اقسام . جاء في القسم الثالث ذكر حيوانات غريبة الأمر ، جاء فيه قوله : منها ما أخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد وهم جبل يسكنون بعض بلاد الموصل انساناً طوله تسعة اذرع وهو صبي ما بلغ الحلم . وكان يأخذ بيد الرجل القوي ويرميه خلف ظهره . اراد صاحب الموصل ان يستخدمه فذكروا ان في عقله خبلاً لا يصلح لذلك .

وجاء في آخر الكتاب : ما ذكره ابو الريحان الخوارزمي ان والي سيبجاب أهدى الى نوح بن منصور الساماني فرساً له قرنان ظاهران وثعلباً له جناحان من ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما ، واذا بعد الصقهما بالجنب . ثم قال ربما يتعجب الناس من الثعلب الطيار ، فان الثعالب كانت طيارة في عهد الكيانيين . ومنها دجاجة برأسين ودجاجة بأربعة ارجل . والله أعلم .

الكتاب غفل من التاريخ وفيه أغلاط من النساخ لا تخفى على القارئ . وفي الصفحة الأخيرة جاءت كلمة الكيانيين مهملة . وليس في آخر الكتاب اسم الناسخ .

ان قول المؤلف في أول الكتاب : « المقالة الأولى في الأجسام المتولدة من المعادن » يتبادر منها الى الذهن ان الكتاب يتركب من جزئين او اكثر وان المجلدة الحلبية ليست الا الجزء الأول منه ، لأنه لم يرد فيها ذكر لمقالة ثانية . ويعظم هذا الوهم عند النظر في كشف الظنون فاننا نجد ان الحاج خليفة قال عن هذا الكتاب : « تحفة العجايب وطرفة الغرايب لابن اثير الجزري . جمعها من كتب عديدة . اولها الحمد لله رب الأرباب ومنشئ السحاب الخ ورتب على اربع مقالات » . من هنا حصل عندي الظن بان الكتاب الذي اطلعت

عليه في جامع العثمانية بحلب لم يكن سوى الجزء الأول من التحفة وأني لم ألاحظ ذلك وان حافظ الكتب لم ينبهني، لضيق الوقت، الى ان الكتاب له اجزاء اخرى. فكتبت الى صديقي المحترم الشيخ محمد راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي وبينت له الأمر ورجوت منه ان يراجع الكتاب ويكتب لي عن حقيقة الحال. فجاءني منه الجواب يقول فيه: لا يوجد في المكتبة سوى الجزء الذي رأيته وهو جميع الكتاب. والدليل على ذلك قول المؤلف في ورقة قبل نهايته «فصل في حيوانات عجيبة الأشكال وبه نختم الكتاب ان شاء الله تعالى».

وعلمت بوجود نسخة من هذا الكتاب في خزانة كتب الأزهر بالقاهرة، فرجوت من صديقي السيد برهان الدين الداغستاني ان يطلع عليه ويخبرني باسم مؤلفه. فكتب لي يقول: بعد بحث طويل شاق في فهارس قديمة غير منظمة ولا مرتبة عثرت على قطعة من الكتاب في ٦٨ ورقة مكتوبة بخط رديء جداً ناقصة من الاخر وليس عليها اسم المؤلف لا على ظهرها ولا في أولها. لكن كاتب الفهارس كتب في باب الملاحظات مقابل اسم هذه القطعة هذه العبارة «في كشف الظنون انه لابن الأثير الجزري».

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ثم اني بعد التحري علمت من الفهرس الذي نظمه دي سلان بوجود نسخة من تحفة العجايب في خزانة الكتب الأهلية بباريس تحت الرقم ٢١٧٢ في الفهرس المذكور. وفهمت من الشرح المذكور هناك ان الكتاب مرتب على اربع مقالات كما قال الحاج خليفة، وان المقالة الأولى تبحث عن السماء والأرض، والثانية عن عجايب الدنيا والزمان والليالي والأنهار، والثالثة عن عجايب البحار والأنهر والعيون والجبال، والرابعة عن المعادن والنبات والحيوان. فتكون مخطوطة حلب المقالة الرابعة من الكتاب فقط.

نأتي الآن الى البحث عن مؤلف الكتاب:

ان النسخة الحلبية لم تذكر اسم المؤلف ولا نسبته الى بلد، بل اكتفت

بتسميته بالشيخ الامام العلامة ابن الأثير . ومخطوطة الأزهر لاشيء فيها عن المؤلف . وفي كشف الظنون ان الكتاب لابن الأثير الجزري . ومثله في نسخة باريس . وانفرد جورجي زيدان فصرح في كتابه تاريخ الآداب العربية بأنه لعز الدين ابن الأثير .

من المعلوم ان ابناء الأثير المشهورين ثلاثة . مجد الدين ابو السعادات المبارك المحدث المتوفى سنة ٦٠٦ ، وعز الدين ابو الحسن علي المؤرخ المتوفى سنة ٦٣٠ ، وضياء الدين ابو الفتح نصر الله اللغوي الاديب ، وزير الملك الأفضل الأيوبي ، المتوفى سنة ٦٣٧ . فمن هو مؤلف الكتاب من أبناء الأثير هؤلاء ان صح ان احدهم قد ألفه ؟

توفي ابن خلكان سنة ٦٨١ عن ٧٣ سنة . فقد ولد بعد وفاة مجد الدين بسنتين فكان زمانه قريباً جداً من زمانه وعاصر اخويه عز الدين وضياء الدين . وهو الذي يقول في ترجمة ضياء الدين : « ولقد ترددت الى الموصل من اربل اكثر من عشر مرات » . وقال في ترجمة عز الدين : « لما وصلت حلب في أواخر سنة ٦٢٦ كان عز الدين المذكور مقيماً بها في صورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم .. وكان كثير الاقبال عليه ... فاجتمعت به فوجدته رجلاً مكملاً في الفضايل .. فلازمت التردد اليه ... ثم عاد الى حلب في أثناء سنة ٦٢٨ فجريت معه على عادة التردد والملازمة ... » فلو كانت تحفة العجايب وطرفة الغرايب لعز الدين أو لأحد اخويه لما فاته ذكرها .

نشأ ابناء الأثير الشيبانيون في جزيرة ابن عمر وانتقلوا الى الموصل وتربوا فيها وسكنوها ، فهم أدرى الناس بهذين البلدين وبما جاورهما من البلاد والاكراد . فلا ينتظر ان يأتي واحد منهم بالعبارة التي نقلناها آنفاً وهي : (منها ما اخبر بعض الفقهاء بالموصل انه شاهد في الأكراد ، وهم جيل يسكنون بعض بلاد الموصل ، انساناً طوله تسعة اذرع ... اراد صاحب الموصل ان يستخدمه . الخ) .

فهذا كلام رجل لم ير الموصل ولا عرف شيئاً عنها ولا عن الأكراد ومواطنهم ولا اسم صاحب الموصل يومذاك ولا اسم الفقيه الذي شاهد الكردي المفرط الطول ولا عيّن موطن الكردي بالتحديد ٠

عندي ان نسبة الحاج خليفة هذا الكتاب لابن الأثير الجزري ناشئة من شهرة أبناء الأثير الجزريين ، ونسبة جورجي زيدان اياه الى عز الدين ناشئة من اشتهار عز الدين اكثر من اخويه بكتابه الكامل في التاريخ ٠ وكل ذلك تعسف من غير دليل ٠

هذا وان من عرفوا بابن الأثير كثيرون ٠ منهم :

مجد الدين محمد بن الأثير ٠ ورد ذكره كراراً في كتاب الحوادث الجامعة لابن الفوطي في ص ٣٣٣ فما بعدها ٠ وجاء ذكر قتله فيه في ص ٤٤٨ ٠

وجاء في ص ٤٩٠ في الكتاب المذكور اعلاه في حوادث سنة ٦٩٥ ذكر وفاة اثير الدين التبتري (؟) مشرف العراق ، وقيل هناك انه ابن عم مجد الدين بن الأثير السالف الذكر ٠

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وورد في كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك لتقي الدين احمد بن علي المقريزي المطبوع سنة ١٩٣٩م ذكر عدة رجال سموا بابن الأثير ٠

فقد جاء في حوادث سنة ٦٨٤ قوله : بعث السلطان [قلاوون] الى سنقر الأشقر بتاج الدين احمد بن سعيد بن الأثير يلومه على مكاتبة التتار والاستنجاد بهم ويدعوه الى الحضور ٠ فوبخه تاج الدين ولامه حتى اناب ووعده بارسال ولده ٠ (ج ١ — ص ٧٢٨) ٠

وجاء ذكر احمد هذا في حوادث سنة ٦٩١ أيضاً حيث قيل : اقر السلطان في ديوان الانشاء تاج الدين احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي عوضاً عن ابن عبد الظاهر (١ — ٧٧٩) لاحظ قوله التنوخي الحلبي ، وانت تعلم ان أبناء الأثير الجزريين كانوا شيبانيين ٠

وجاء في حوادث السنة عينها : ولي ديوان الانشاء عماد الدين اسماعيل بن احمد ابن سعيد بن محمد بن الأثير بعد وفاة والده ، فان والده لم يقم في كتابة السر الا نحو شهر ومات بغزة عند عوده من دمشق (١ — ٧٨١) . اني ارجح بل لا أشك في ان عماد الدين ابن الأثير الذي جاء ذكره بين شراح قصيدة ابن زيدون هو اسماعيل بن احمد هذا . ذكره جورجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية فقال : هناك ابن اثير رابع اسمه عماد الدين توفي سنة ٦٩٩

وفي حوادث سنة ٦٩٩ : رحل غازان في يوم الجمعة ثاني عشر جمادى الأولى وترك على دمشق نائبه قطلوشاه نازلاً بالقصر واخذ وزيره من أعيان دمشق ... وشرف الدين محمد بن شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير . (ص ٨٩٥) . وذكر شرف الدين هذا في حوادث سنة ٧٠١ حيث قيل : وفيها قدم البريد بحضور علاء الدين بن شرف الدين محمد القلانسي الى دمشق وصحبته شرف الدين ... بن الأثير في تاسع عشر جمادى الأولى من بلاد الططر ، وكانا قد اخذا لما دخل الططر الى بلاد الشام ، ففرا ولقيا مشقة زائدة في طريقهما (السلوك أيضاً ٩٢٢) .

ARCHIVE http://Archive.alsharekh.com

وفي حوادث سنة ٧٠١ ذكر موت شمس الدين سعيد بن محمد بن سعيد بن الأثير بدمشق وكان يكتب الانشاء بها (ص ٩٢٧) . (وهو والد شرف الدين محمد المذكور أعلاه) .

وجاء في ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي تأليف تلميذه الحافظ ابن ابي المحاسن الحسيني الدمشقي ص ١٥ قوله : ومات بمصر الواعظ شمس الدين حسن بن اسد ابن مبارك بن الأثير . سمع الحافظ المنذري والنجيب .

فمن هو مؤلف هذا الكتاب من جميع هؤلاء الذين عرف كل واحد منهم بابن الأثير ؟

اني بعد ان وجدت ابن خلكان لم يذكر هذا الكتاب في تراجم ابناء الأثير الجزريين وكان أعرف الناس بهم وبتآليفهم وفندت نسبة الكتاب لعز الدين ، أكاد أجزم بان مؤلف كتاب تحفة العجايب وطرفة الغرايب موضوع البحث هو عماد الدين اسماعيل بن احمد بن سعيد بن محمد بن الأثير التنوخي الحلبي شارح قصيدة ابن زيدون المذكور آنفاً لاشتغاله بالتأليف ولكوني لم أجد الى الآن تأليفاً لأحد من أفراد اسرته او غيرهم ممن سموا بابن الأثير . وأرى ان عدم ذكر اسمه في مخطوطة حلب سببه شهرة له كانت عظيمة يومذاك في القطر الشامي فكان يكفي ان يقال ان الكتاب لابن الأثير خاصةً بعد توليه ديوان الانشاء .

ومن المحتمل جداً ان يكون في متن الكتاب ما يستدل به على صحة ما ذهبت اليه من نسبة التأليف الى عماد الدين اسماعيل .

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كنز من كنوز الجاحظ

أربع رسائل من رسائله

— ٤ —

الرسالة الثالثة من رسائله الأربع (١)

عنوان هذه الرسالة (الجدّ والهزل) وقد مُنيت من الأغلاط والتحاريف بما لم تُمنَ به أخواتها . وبذلك فاتنا الخير الكثير من مقاصد الجاحظ ، وجمال تفاكيره ، وحسن ابتكاراته ، التي حلّى بها جيد تلك الرسالة . ولم تُصَب الثقافة العربية الأدبية ومخطوطاتها بفتنةٍ أسوأ من فتنة سوء نسخ النساخ لها ، ولا سيما آثار الجاحظ ومخطوطات كتبه . ولو وصلت الينا تلك الآثار مصححةً سالمة من الغلط والتحريف لنالنا خيرٌ كثير من العلم ، ولكانت لنا ثروة لا تثمن من فصيح الألفاظ ، وبديع الأساليب ، وجميل المعاني .

جعل الجاحظ رسالته هذه في الجِدّ والهزل ، ولكنه لم يتكلم عليهما ، ولم يشرح معناهما من حيث اللغة وعلم الأخلاق ، ولا من حيث حسن الجِدّ وقبح الهزل أدباً وشرعاً ، ولم يسرد ما ورد من النصوص وأقوال الحكماء في ذلك ، كما هو دأب المؤلفين في الادب ومكارم الأخلاق . وإنما هو يخاطب فيهـا صديقه (الوزير محمد بن عبد الملك الزيات) ويفتَنُّ في معاتبته ولومه على بعض ما كان منه أيّ افتنان ، مفرغاً ذلك كله في أساليب الجِدّ تارة ، ومعارض الهزل والتهكم تارة أخرى . ومهّد للكلام بمقدمة أطال فيها بما لا يظهر أن له علاقة بالجد

(١) مر الكلام على الرسالة الأولى (المعاد والمعاش) في المجلد (٢١) ص ٥٣٠ والمجلد ٢٢ ص ٤٨ كما مر الكلام على الرسالة الثانية (كتمان السر وحفظ اللسان) في المجلد ٢٢ص١٣٠ . وقلنا ثَمّ ان ناشر هذه الرسائل هو المستشرق (باول كراوس) في القاهرة سنة ١٩٤٣

ولا بالهزل ، كما هي عادته في ما يكتبه أو يترسل به . وهو في توجيهه العتاب الى صديقه (الزيات) يظن القارئ لأول وهله أنه إنما يعاتبه في أمرٍ عظيم ، أو من أجل إخلاله بالصداقة وطعنه لها في الصميم . واذا هو يعتب عليه ، وينقم منه ، حقده وموجدته وتسرّعه في الانتقام ، وحب العقوبة ، — في أمرٍ تافه حقير — افتتح به الرسالة فقال : (جعلتُ فداك : ليس من أجل اختياري النخلَ على الزرع أقصيتَني ، ولا على ميلي الى الصَّدَقة دون إعطائي الخراج عاقبتَني ، ولا لبغضي دفع الإتاوة والرضا بالجزية حرمتَني ، ولستُ أدري لِمَ كرهت قربي ، وهَوِيت بُعدي واستثقلتَ روحي ونفسي) الخ . ثمّ عاد بعد نحو عشر صفحات فقال : (وبعدُ : متى صار اختيار النخل على الزرع يُحقِد الاخوان ؟ ومتى صار تفضيل الحبّ وتقريظ التمر يورث الهجران ؟ ومتى ومتى الخ ...) .

وهو في رسالته هذه يستطرد الى وصف الذنوب وأنواعها واسبابها ومصادرها ومواردها ، والعفو عنها ، والعقوبة عليها . ثم يأمر بالتغافل عنها والتماس الأعذار لصاحبها ، ما لم تكن تلك الذنوب خبيثة مستعصية ، كالذنب الذي لا سبب له الا البغضة . فهذا (لو لم ترض لصاحبه بعقاب دون قعر جهنم لعَذَرك كثير من العقلاء ، ولصوّب رأيك عالَم من الأشراف) . وقوله (عالَم) الظاهر أنه بفتح اللام مريداً به الطائفة ، كما يُراد بكلمة (أمة) أحياناً (ولما وَرَدَ ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون) .

وقد يكون السبب في الذنب أنه طبيعة في المذنب ، وخُلُق غالب عليه : فالجاحظ ينصح فيه بقوله (اقتُله قتلَ العقارب ، وادمغه دمغ رؤوس الحيات) ومعنى دمغه شجّه حتى يبلغ دماغه ، ثمّ استُعمل الدمغ في معنى القهر كما استعمله الجاحظ . قال : واذا أساء اليك مسيء لالشيء (إلا لتُعطيه على الخوف ، وتمنع عرضك من جهة التقيّة ، فهذا امنعه جميل رفدك ، واحتلْ في منعه من قبل غيرك ، فانك ان أعطيتَه على هذه الشريطة فقد شاركته في سبّ نفسك ، واستدعيت الألسنة البذيئة الى عِرضك ، وكنت عوناً لهم عليك .. الخ) .

ينصح الجاحظ بأن لا يُعطى ذلك الذي يَسُبُّ الناس ويهددهم بهتك أعراضهم، ونبش أسرارهم، فان الخوفَ منهم، واسكاتهم بالعطاء، يزيدهم جرأة وتمادياً، بل يجرّئ غيرهم على مثل صنيعهم. وهذا ما يسميه الافرنج (شانتاج): أعطني والاّ فضحتك!!! وأشهر من اتّسم بهذه الخصلة الملعونة من شعراء العرب (الحُطيئة)، وعرف ذلك من دأب بعض الشعراء في العصر العباسي، عصر الجاحظ، بل قلّما يخلو عصر من وجود أمثال هؤلاء الذين كان ارتأى (الاب انستاس) أن يطلق عليهم اسم المشنِّعين (بالحاء) اي المشنِّعين. فيكون التشنيع في رأيه هو الـ chantage عند الافرنج. ومن أصرح ما قيل في التشنيع قول ذلك الشاعر:

(قُل للرؤوس ومن تُرجى نوافلهم ومن يؤمّل فيه الخير والعمَلُ)
(إن تسعفونا بأعمالٍ نصيّرها شُغلاً والاّ ففي أعراضكم شُغُلُ)

أما المذنب اليك إذا كان حسوداً، فقد قال الجاحظ (إن من العدل المحض، والانصاف الصحيح، أن تحط عنه نصف عقابه، وأن تقصر من العقاب على بعض مقداره، لأنّ ألَم حسده لك قد كفاك مؤونةَ شطرِ غيظك عليه).

لا جرم أنك اذا فكّرت في ما يكابد حسودك من الألم، قلّ غيظك عليه الى النصف، فليكن عقابك له الى النصف أيضاً. كذا حكَم الجاحظ.

ويعود الجاحظ فيستنكر أشد الاستنكار معاملة صديقه (الزيات) له بالجفوة، والعدوان عليه بالعقوبة، ويهوّل في الوصف حسب عادته فيقول: (والله لو كنتُ فعلتُ كذا وكذا ... ونقضتُ الشروط بأمرها، وأفسدتُ تاجك، وقتلتُ كل شطرنجي لك .. وكنت جُذام المُردان. وبِرسام الأولاد. ومسختُ جميع الجواري في صورة أبي رملة. ورددتُ شَطاط خَلقكَ الى جُعودة أبي حَنّة، وكنتُ أول من سنّ بيع الرجال في النخاسين، وحوّلتُ اليك عقل أبي دينار. وأحييت صالح بن حنين، وأحوجتُك الى حاتم الريش ... لكان ما تركَبُني

به سَرَفاً ، ولكنت في هذا العقاب متعدّياً) أي إن ما ذكر من فظيع الذنوب هو الذي يستحق أن يعاقبه عليه ، لا أن يعاقبه على تفضيل النخل على الزرع مثلاً . والجاحظ في مصنفاته لا يأنف أن يتمثّل بأشخاص من عامّة زمانه ، لا قيمة لهم سوى شهرتهم بالخصال المذمومة ، فيجعلهم (أبطالا) لرواياته وأقاصيصه ، كما تمثّل هنا بأبي رملة وابي حثّة وغيرهما . وقد يقع تحريف في أسماء هؤلاء الأشخاص فيصعب الاهتداء الى معرفتهم في كتب التراجم ، هذا إن كان مؤلفوها يأبهون لهم ، أو يهتمون بذكرهم . وبعض هؤلاء المؤلفين المتزمّتين لا يرون للجاحظ نفسه قيمةً ، فضلاً عمن يحفل بهم من مثل من ذكرنا . ويفهم من السياق أن (أبا رملة) كان نهايةً في الدمامة والقبح ، كما كان (ابو حثة) غايةً في القماءة والقصَر وتداخل الجسم . فلم يكن ذا (شَطاط في الخَلْق) وهو حُسن الطول ، وامتداد القوام . وقوله (ما تركبني به) بدل السياق على انه يريد ما تعاملني به من السوء والأذى . وفي الأساس (ركبه بالمكروه وارتكبه) . أما (صالح بن حنين) فثقيل بغيض ، لا يمكن ان يحب ، ومن أحبه كان أثقل منه . ولذا تبرّأ الجاحظ منه ، ومن حبه . ولقد ظفرنا بشيء من أخبار (حاتم الريش) الذي تعوّذ الجاحظ من الاتكال عليه ، أو ان يحوج صديقه الوزير ابن الزيات اليه ، فقد جاء ذكره في الأغاني (جزء (٦) ص ١٩٤ و ١٩٥ من طبعة الساسي) في أخبار (الحسين بن الضحاك) . قال ما ملخصه : (لما جاء المعتصم بغداد سأل عن (ندماء صالح بن الرشيد) فأدخلوا عليه ، وفيهم الحسين ، وقُتَيْنة ، وحاتم الريش ، وراوي الخبر كثير بن اسماعيل ، قال كثير : ولشؤمي كُتبتْ بين عينيَّ هذه الجملة (سيّدي هَب لي شيئاً) فلم يستملحه المعتصم ، فدعا بأصحابي من غد ، ولم يدعُني . فاستشفعتُ ببيتين نظمهما لي الحسين بن الضحاك وهما :

(قل لدنيا أصبحت تلعبُ بي سلّط الله عليك الآخره)
(إن أكن أبردَ من قُتَيْنةٍ ومن الريش فأمي فاجره)

فضحك المعتصم ، وأمر لي بجائزة . ثم ذكر صاحب الاغاني قصة ورد فيها ذكر (حاتم) هذا ، وأنه كان قبيحاً ، كثير الحُباق ، يحبق في المجالس ولا يستحي حتى لُقب بالحَبّاق . فقول الجاحظ للوزير ابن الزيات (واحوجتك الى حاتم الريش) غاية في استحقاقه للعقوبة ، مذ اضطر الوزير أن يلجأ في بعض حالاته الى حاتم الريش ، وهو من القبح والثقالة وسوء الأدب بحيث وصفوه ولقبوه . و (ابودينار) ذكره الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين) وعدّه في جملة الموسوسين والسخفاء ، كما عدّ (صالح بن حنين) في كتابه (البخلاء) في جملة البُغضاء . وقد اشتهر بين الناس بذلك ، حتى لو نُسب اليه نادرةٌ حارةٌ لما استملحها الناس واستبردوها ، بينا تراهم إذا سمعوا النادرة الباردة عن (مُزَبّد) الفكاهي المشهور تقبّلوها واستملحوها .

ومن طريف ماذكره الجاحظ في هذه الرسالة عن سبب غيظ صديقه منه ، وعتبه عليه أنه — أي الجاحظ — مُهْمِلٌ لقماطره ، غير منظّم ولا مرتب لدفاتره ، وقراطيس مكتبته ، وكراريس علمه ، وقد تركها من دون ربطٍ ولا خرزٍ ولا حزمٍ (على أن الدفتر اذا انقطعت حزامته ، وانحل شداده ، وتخرّمت ربطه ، ولم يكن دونه وقاية ولا جُنّة ، تفرق ورقه ، واشتد[1] جمعه ، وعسر نظمه ، وامتنع تأليفه ، وربما ضاع اكثره ، والدفتان أجمع ، وضمّ الجلود لها أصون ، والحزْم لها أصلح) .. الى آخر ما قال ، مما فيه عظة لمديري دور الكتب وزوارها ، وارشادٌ الى أشياء لا تخطر الا ببال عبقريّ عجيب ، كشيخنا الجاحظ (راجعها في ص ٧٢ و ٧٣ و ٧٤) . و (شداد) الدفتر ما يُشدّ به ، ولم أره في المعاجم ، فهو من أوضاع الجاحظ التي اعتمد فيها على القياس : مذ وجد أهل اللسان يقولون : رباطُ الاضبارة ، وحزامها ، وسحاؤها ، فلماذا لا يصح أن يقول هو شِدادها ؟

(١) اشتدّ من الشِدّة أي صعُب جمعُه .

وقد استطرد الجاحظ بهذه المناسبة (في ص ٧٤ و ٧٥ و ٧٦ و ٧٧) الى كيف يجب أن تكون قراءة الكتب ، والأضواء التي يُستعان بها على المطالعة ، وكيف يحسن أن يطالعها المطالع ؟ أيطالعها مستلقياً أم جالساً ؟ وقد فضّل الاستلقاء على الجلوس واختار ذلك لنفسه ، مذ قال : (واذا نظرتُ فيها وأنا جالس سَدِرتْ عيني ، وتقوّس ظهري ، واجتمع الدم في وجهي ، وأكرهت بصري على غير جهته ، وأجريتُ شعاع ناظري في غير مجراه ... ومن كان على مقطع جبلٍ ، أو على شُرُفات قصرٍ ، فأراد رؤية السماء على بعدها ، وجَدَ ذلك على العين سهلاً خفيفاً ، وان أراد أن يرى الأرض على قربها ، وجد ذلك على العين عِبئاً ثقيلاً) . وكذلك حال مطالع الكتب وهو جالس ، فانه يشعر بتعب عينيه إذا حنا رأسه اليها وهي في حَجْره . ولكن لا ندري إذا كان أطباء العيون اليوم يجوّزون ما جوّزه الجاحظ من تفضيل مطالعة الاستلقاء : فانهم على ما نعلم يأمرون بالمطالعة جلوساً ، مع المحافظة على انتصاب القامة ، ورفع الهامة .

ثم أوغل الجاحظ في إعمال المقارنة بين المطالعة جلوساً ، والمطالعة استلقاء ، وانتهى أخيراً الى تقبيح الجلوس ، حتى تعرّض الى ضرر الاستعانة بعبده أو أَمَته ، في مناولة كتب المطالعة ، وعدّ ذلك من شؤم الجلوس وشقائه فلا مندوحة إذن عن استلقائه . ولم ينس الجاحظ ان يعيب العبد والأمة بجهلها قيمة الكتب ، وأنه اذا استعان بأحدهما فهو إنما يستعين (بأخرق الناس كفاً ، وأقلّهم وَفقاً ، وأكثرهم التفاتاً ، وأحضرهم نعاساً) الى آخر ما نعتهم به من ارتعاش اليد والضجر والفرار من الكتب ، وان كل ذلك يحمله على ترك الاستعانة بعبده وأمته ، وأن يتعاطى ذلك بنفسه ، على ما فيه من إرهاق وشقاء في المطالعة ، ولكن كيف يتركها ، ومن فوائدها كيت وكيت ؟ ثم ختم الكلام على بحث الكتب ومطالعتها بالرجوع الى صديقه الذي عاقبه على إضاعة كتبه ، وإهمالها ، والسرف في ترك العناية بها وإغفالها ، قائلاً : (فحسبك الآن من شيءٍ من بأسوك ،

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن قتل من يُقتل فيك) يعني أن الجاحظ يريد حياةَ صديقه (الوزير) وصديقه يريد قتله . وعندي أن صديقه إن كان غلا في عقابه ، فقد كان هو أشد غلواً في لومه وعتابه .

وللشطرنج نصيب كبير في أدب الجاحظ وكتاباته : فقد مرَّ قوله (حتى كأني قتلتُ كل شطرنجيٍّ لك) في صدد التعجب من صديقه المتجنّي عليه . وانه لا يستحق كل هذا العقاب ، ثم عاد الى الصدد نفسه ص ٧٦ ومثّل بالشطرنج فقال (حتى كأني علّمت عليك « شاه مات ») يريد ان يقول : تعاقبني حتى كأني غلبتُك في لعبة الشطرنج ، قائلاً الجملة التقليدية في إعلان الغلب وهي قولهم : (شاه مات) . وكما ان (شاه مات) جملة متوارثة ، كذلك قول الجاحظ (علّمت عليك) أي غلبتُك لكن عهدي بقولهم (علّم عليه) أنه لا يُستعمل اليوم بين الشطرنجيّين وانما يستعمله اللاعبون بالسيف والترس وما يشبهه من ألعاب الفروسية . وقد تمثل الجاحظ بالشطرنج أيضاً في هذه الرسالة ص ٨٢ و ٨٩ .

ومن أغرب إيغال الجاحظ في الوصف ، ومعاتبة صديقه له في التفريط بكتبه ، وأمر مطالعتها ، زعمه أن صديقه إنما يكيد له فيحمله على مطالعتها ليلاً على ضوء النار ولهبها ، فيسخن جسمه ، فيصاب بمرض المثانة ، وهو شيخ هرم ، معرّض للأمراض ، فقد قال يخاطب صديقه (وقلت اذا سخَن بدنُه سُجن بوله ، واذا سُجن بوله جرّح مثانته ، وأحرق كليته ، وطبخ فضولَ غذائه ، وجفّف ما فضل عن استمرائه ، فأحاله حصا قاتلاً ، وصخراً جامداً ، وهو دقيق ... ضيّق ... فإذا حصاه يورثه الأسْر ، وفي ذلك الأمر تلف النفس ، أو غاية التعذيب ، وقلتَ : فان ابتليتُ بطول عمره ، أقام فينا مشغولاً بنفسه ، وإن ذهب عناء فقد كفانا مؤونة الحيلة في أمره . جُعلتُ فداك ! ما هذا الاستقصاء ؟ وما هذا البلاء ؟ وما هذا التغلغل ...) يلوم الجاحظ صديقه على استقصائه في الكيد له ، وإلحاق الأذى به ، ولكن أصحيح أن صديقه ابن الزيات انتهى

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الاستقصاء الى هذا الحد الذي زعمه الجاحظ ؟ وأنه حاول عن طريق مطالعة الكتب ليلاً أن يوقعه في أمراض المثانة والحصى والأسر (احتباس البول) ؟؟ حقاً ان شيخنا الجاحظ اعتاد الغلوّ والتغلغل والايغال ، وركوب اساليب من المعاني لا تخطر لسكان عَبقَر على بال .

ومما اتهم به صديقه أن صديقه كان يود أو يحاول أن لا يكون للجاحظ ولدٌ يُحيي ذكره ، ويحوي ميراثه ، كما كانَ يحتال في ان لا يكون له مال (فيالها مكيدة ما أبعد غورها ، ويالها حُفرة ما أبعد قعرها ... وما إخالها إلا وتدقّ على (ابن العاص) وتغمض على (ابن هند) ، ويكلُّ عنها (أخو ثقيف) ويستسلم لها (ابن سميَّة) . وليس هذا فقط بل زعم الجاحظ أن صديقه كان يفجؤه بالمكايد والمساآت ، ولا يتدرج بها حتى يكون الجاحظ قد أنس بها ، واستعدّ لها ، ثم يرقّ قلبه عليه قائلاً : (فقد متُّ الآن فمع من نعيش ؟ بل قد قتلتَني فمَن الآن تعاشر ؟ أمع الشطرنجيين ؟ ! !) ولو قال هذا غيرُ الجاحظ لقلنا إنه سرَقَه من قول أبي نواس :

(مَن ذا يكونُ أبا نُوا سك إن قتلتَ أبا نواسك ؟)

ومن أفانين العتاب التي وجهها الجاحظ الى صديقه أنه لا ينبغي تفضيل المركب على الصاحب ، (ويريد بالمركب الدابة التي تُركب) ، قال (ومن يعدل إمتاع بهيمة بامتاع أديب ؟ ... قالت ابنة النعمان : ولم نرَ في ما جرَّبنا من جميع الأصناف أبلغ في خيرٍ أو شر من صاحب) تريد أن الصاحب أفضل من سائر اصناف الناس من حيث مساندة صاحبه في خيره وشره ، وعسره ويسره . واراد الجاحظ ان يزيد قول ابنة النعمان — وهي الحُرقة المشهورة بعقلها — وضوحاً ، فحكى عن (عبيد الله بن زياد) أنه أصيب بيبس في معدته فأُشير عليه باستعمال الحقنة ، فتفحّشها ، وكبر عليه استعمالها ، ولما رأى انه لا بد منها تساءل عمن يزاول ذلك منه ؟ (فقال له حارثة بن بدر : ما أُجد أولى بتولي ذلك من الطبيب .

قال عبيد الله : كلاّ ! فأينَ الصاحب ؟) . وانجرّ الكلام في أسباب موجدة صاحبه عليه الى ذكر الغضب . فقال : إن الغضبان اذا اشتعل أُوار غضبه لا يَثنيه عذل ، ولا ينهنه من غلوائه رُقية ، (فلو سَمطتَه بالتوراة ، وَزَجَرتَه بالانجيل ، ولَدَدتَه بالزبور ، وافرغت على رأسه القرآن إفراغاً ، وأتيته بآدم شفيعاً – لما قصّر دون أقصى قوته الخ) ...

ثم طغى المَرَح على قلم الجاحظ فترك الاعتدال في الجِدّ والهزل إلى ما يشبه الشَّطَط والاستهتار بحكم العقل ، فقال بمناسبة تعداد أسباب العداوات بين الخلطاء ، وانه لا سبب من هذه الأسباب كان ينبغي أن يُفسد ما بينه وبين صديقه (ابن الزيات) ، نعم كان هناك سبب واحد ، من شأنه أن يورث التحاسد ، وهو تجاورهما في (مدينة السلام) ، وتقابل دورهما فيها ، ورجوعهما في النحلة الى مذهب واحد ، والى النظر في علم واحد ، ثم قال (ولكن اشتد تعجبي منك اليوم وأنا بفرغانة !!! وانت بالأندلس !! وأنا صاحب كلام ، وانت صاحب تاج (أي إبل وماشية ، أو انه يعني انك تنتج عملاً وانا ازوّق كلاماً) وصناعتك جودة الخط ، وصناعتي جودة المحو (اي أريد ان أجيد الخط مثلك فيخرج كأنه ممحواً ، أو صواب المحو (الحوك) مريداً به حوك الكلام وصياغته) وانت كاتب ، وانا أميّ !! وانت خراجي ، وانا عشريّ ، وانت زرعيّ ، وانا نخليّ ، فلو كنتَ اذ كنتَ من بكرٍ كنتُ من تميم (يُضرب المثل بعداوة ما بينهما) كان لك الى العداوة سبب ، وإلى المنافسة سلّم) ثم ارتقى الجاحظ من هذا الأوج في الهزل الى أوج أعلى ، فقال (وانتَ طويل ، وانا قصير ، وانا اصلع ، وانت انزع (الصلع عيب بخلاف النزع) وانت صاحب براذين[1] وانا صاحب حمير) الخ ..

هنا يقف القارئ هنيهة ليفكّر : أحقاً ما ذكر من ان الخصال المتنافضة هي

---

(١) اي انت من الأعيان الذين يركبون البراذين وانا من الأوشاب الذين يركبون الحمير .

من اوصافه واوصاف صديقه ؟ وهب كان ما ذكره حقاً فهل من الحق ان يكون الجاحظ اقام بفرغانة من بلاد ما وراء النهر ، وان يكون ابن الزيات أقام في الأندلس ؟ ومتى كان ذلك ؟ وهل نقله احد من رواة اخبار الجاحظ وابن الزيات ؟ وهل يؤدي ركوب الهزل ، والهيام في مضايق شعابه ، والدخول اليه من أضيق أبوابه ، الى كل هذا التزيد في القول ، والى حد ان يجعل نفسه أمياً ، ومن اهل فرغانة ؟ أم ان شيخنا الجاحظ يخترع لرسائله ابطالاً وهميين أحياناً ، غير بطل الرسالة الأصلي الذي هو (الوزير الزيات) كما جاء في فاتحة الرسالة ؟ ولو صح لنا ذلك وقلنا : إن الخطاب المذكور لواحد من عُرْض الناس لفوجئنا بالجاحظ يصل كلامه بما لا يصلح أن يخاطب به الا وزير : (انت تدبّر بنفسك ، وتقيم أود غيرك ، وتسع لجميع الرعية ، وتبلغ بتدبيرك أقصى الامة وانا اعجز عن تدبير نفسي ، وعن تدبير أَمَتي وعبدي ، وانت ملك وانا سوقة) الى ان قال : (سبحان الله يسلّم عليك حيدر الأفشين ، ويهلك عليك عمرو الجاحظ ، ويسوء بك أبعد البعداء ، ويشقى بك أقرب القرباء ... فكأني بخلٌ وخردل ، فو الله إنك لنا كله غذاءٌ غير مَريٍّ وخبيثاً غير شهيٍّ .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ووصف الصديق فقال (فاذا بان منك صديقك ، فقد بان منك شطرك ، واذا اعتلّ خليلك ، فقد اعتلّ نصفك ... فموتي هو موت صديقي . وحياتي هي حياة صديقي) . ثم وصف الصديق الوفيّ فقال : (ولا اعلم الكبريت الأحمر إلا أوجدَ منه . وإني لأظن القناعة أكثر منه .. وقيل ليحيى البرمكي : أي شيء أقل ؟ قال قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون ، وصديقٌ قليل الآفات ، كثير الإمتاع ، شكور النفس ، يصيب مواضع المرح) قوله (قليل الآفات) اي العاهات . ولعل صوابه (قليل الآهات) أي قليل التأوه والشكوى والتوجّع من سوء الحال ، وإدبار الزمان ، بدليل قوله بعد (شكور النفس) .

وعتَبَ على صديقه في أنه يضجر من إلحاح صديقه عليه بطلب العفو ، مع انه

هو لا يضجر بتشاغله بظلم ذلك الصديق ، حتى كأنه يلذ له (ضرب السياط ، ورض العظام) غير أن شَيْبة الجاحظ ، وكبرة سنه ، ورقة عظمه ، ووهن بدنه ، لا يحتمل كل هذا العذاب وانما (دندن أحمل ، والسوط في ظهر قاسم أحسن . وأبدانهما تحت السياط أثبت . وان ارواحهما أبقى . وهي بأرواح الكلاب أشبه والى طبائع الضباب أقرب . وأرحامهما بالحمير أمس ، ومن يشير عليك (بانزال ذلك العذاب) فيهما اكثر ، والأجر في ضربهما أعظم ، فاستدم اللذة بطريق اللذة . وضع الأمور في مواضعها يَطُلْ سرورك بها) . وبعد ان استطرد الى التفريق بين انواع الحيوانات في تحمّل الألم ، ولذع السياط ، عاد الى الوشاية بـ (دندن) و (قاسم) وتحريض الوزير على البطش بهما (لاختلاسهما أموال الأمة) فقال (وقد دلتك على ناس يجمعون لك الخصال التي فيها دوام لذتك ، وتمام شهوتك ، فان زعمت ان الذي يثبت روح دندن في بدنه ، وروح القاسم في جسمه ، سرورهما بما احتجنا من كنوز الخلافة ، واموال الرعية ، وليس ذلك من رسوخ ارواحهما في ابدانهما ، ومن شدة الاحتمال ، وقوة الاكتناز — ففرّق بينهما وبين تلك الأموال ، التي تمسك أرواحهما ، بالحيل اللطيفة ، والتدبير النافذ ، وبأن تمضي فيهما حكمَ الكتاب والسنة . فانه سيحل عقدة أرواحهما عقداً عقدا . فيعظم أجرك ، ويطيب ذكرك ، وتطيع الخليفة ، فتكون قد احسنتَ في صرف الضرب إلى اهله . وارحتَ منه غير أهله والسلام) . وهكذا ختم الجاحظ رسالته في الجد والهزل) فتندَّر بهذين المسكينين (دندن) و (القاسم) ، وطلب الايقاع بهما ، وشفاء الصدور منهما .

المغربي

المدرسة الظاهرية

أرسل الأستاذ سالم الكرنكوي رسالة يقول فيها: انه شرع في تحقيق كتاب تاريخ اليونيني الذي هو ذيل على مرآة الزمان، وانه وجد فيه نصاً يتعلق بالمدرسة الظاهرية في دمشق (مقر دار الكتب العامة) وقد أرسله راغباً نشره في مجلة المجمع العلمي العربي ووضع اشارات على بعض كلمات غامضة فيه. ولما كان اصلاح هذه الكلمات يتطلب نشر نص آخر من وقفية المدرسة المذكورة فقد أحببت جمع ما اطلعت عليه في هذا الموضوع من النصوص مع نص الأستاذ الكرنكوي وضمها جميعاً في مقالة واحدة وهذه هي المقالة:

* * *

قامت المدرسة الظاهرية على دار — من أعظم دور دمشق وأكثرها شهرة — تدعى بدار العقيقي اشتهرت في العهد الفاطمي بنزول الأشراف العلويين فيها. فأحمد بن الحسين العقيقي المتوفى سنة (٣٧٨) الذي تنسب اليه هذه الدار علوي من كبار اشراف دمشق واجوادها[1] كما انه نزلها الشريف العلوي ابو طاهر حيدرة بن ابراهيم بن ابي الجن الذي قتله الأمير السفاح بدر الجمالي سنة (٤٦٢)[2] ثم نزلها آخر قاض لدمشق من قبل الفاطميين وهو الشريف العلوي جلال الدولة ابو الحسين احمد بن علي المتوفى سنة (٤٦٨)[3].

والى هذه الدار التجأ الخطيب البغدادي فاستجار بالقاضي المذكور خوفاً من بطش الأمير بدر الجمالي المذكور فأنجاه من أذاه[4].

---

(١) النجوم الزاهرة (٤ / ١٥٣). (٢) المصدر نفسه (٥ / ٨٠ و ٨٥).
(٣) المصدر نفسه (٥ / ١٠٢). (٤) البداية والنهاية (١٢ / ١٠٢).

وكأن هذه الدار اصبحت من الشهرة والعظمة ما يجعلها مرشحة لنزول العظماء والكبراء فيهـا . فقد حلت الأسرة الأيوبية مدينة دمشق سكن هذه الدار كبير الأسرة نجم الدين ايوب والد السلطان صلاح الدين واخيه الملك العادل .

ولما دخل صلاح الدين الأيوبي دمشق فاتحاً لها سنة (٥٦٩) بعد وفاة السلطان نور الدين نزل بدار والده ايوب المعروفة بدار العقيقي[١] . كما ان الملك العادل نزلها حينما دخل دمشق سنة (٥٨٩)[٢] .

وقد يكون حبه الشديد لهذه الدار دفعه لأن يبني تجاهها — من جهة الغرب على بعد خمسة امتار منها — مدرسة وقبة لدفنه . فلما توفي سنة (٥٩٧) حفظت جثته بالقلعة حتى تم بناء مدرسته وقبة قبره فنقل اليها سنة (٦١٩)[٣] لتطل روحه على الدار التي احبها كثيراً ، وعاش فيها امداً طويلاً . كما ان السلطان صلاح الدين دفن تحت قبة لا تبعد عن هذه الدار اكثر من ثلاثين متراً ، ومثله الملك الأشرف ابن الملك العادل الذي دفن على مقربة من عمه صلاح الدين ولما مات مظفر الدين صاحب اربل زوج ربيعة خاتون اخت صلاح الدين والعادل رجعت الى دمشق وسكنت في دار العقيقي دار ابيها ايوب حتى توفيت سنة (٦٤٣) وهي صاحبة المدرسة الصاحبية بسفح قاسيون[٤] .

وبعد انقراض الدولة الأيوبية انتقلت هذه الدار الى ملك الأمير فارس الدين اقطاي المستعرب الأتابك . ومن ورثته اشتريت هذه الدار لجعلهـا مدرسة ومدفناً للملك الظاهر بيبرس[٥] .

---

(١) تاريخ ابي الفدا طبع مصر (٣ / ٥٦) .
(٢) النجوم الزاهرة (٢٢٥/٦) .
(٣) النجوم الزاهرة (١٧١/٦) .
(٤) القلائد الجوهرية .
(٥) تعليقات النجوم الزاهرة (٢٦٣/٧) عن ذيل مرآة الزمان ، وعيون التواريخ .

المدرسة الظاهرية

يحدثنا ابو المحاسن ابن تغري بردي بما يلي : كان [الظاهر] اوصى ان يدفن على الطريق السابلة قريباً من داريا وان يبنى عليه هناك فرأى الملك السعيد أن يدفنه داخل السور فابتاع دار العقيقي « بثمانية واربعين الف درهم » نقرة [١] وامر ان تغير معالمها وتبنى مدرسة للشافعية والحنفية [٢] . ويقول صاحب عيون التواريخ «بستين الف درهم»[٣] وينقل عبدالحي ابن العماد بأنها اشتريت «بسبعين الف درهم»[٤] .

وهنا يجدر بنا ان نتساءل : لِمَ لَمْ يتبع الملك السعيد وصية ابيه بل دفنه داخل السور بدار العقيقي ؟

الظاهر ان ذلك العمل كان لأمر سياسي . فبيبرس وهو مملوك من مماليك الأيوبيين بعد ان استولى على الملك تتبع البقية الباقية من الأيوبيين الصالحين للملك فقتلهم . ثم قطع على هذه الأسرة طريق المطالبة بالملك بجدد الخلافة العباسية وجعل مقرها مصر . ثم جعله الخليفة العباسي نائباً عنه في ادارة البلاد فكان حكمه لها شرعياً .

فدفنُ الملك السعيد لأبيه في دار العقيقي دار الأسرة الايوبية في بقعة تحيط بها قباب اعاظم الملوك الأيوبيين كالملك العادل ، والسلطان صلاح الدين ، والملك الأشرف يرمز في ذلك الى ان الملك الظاهر هو وارث هذه الأسرة الحاكمة ، وان له من شرعية الملك وابهته مثل ما لهؤلاء الملوك .

ولقد جود ابنه السعيد في تحسين بناء مدرسته ومدفنه حتى جعلها لا تقل عن مدافن العادل وصلاح الدين والأشرف المحيطة بالظاهرية روعةً وجلالاً .

(١) فسرها القلقشندي في صبح الأعشى (٣/٤٤٣) فقال : « الدراهم النقرة » وأصل موضوعها أن يكون ثلثاها من فضة وثلثها من نحاس . وتطبع بدور الضرب بالسكة السلطانية على نحو ما تقدم في الدنانير . ويكون منها دراهم صحاح وقراضات مكسرة .. والعبرة في وزنها بالدرهم وهو معتبر بأربعة وعشرين قيراطاً . وقدّر بستّ عشرة حب من حب الخروب فتكون كل خروبتين ثمن درهم . وهي اربع حبات من حبة البُر المتدل والدرهم من الدينار نصفه وخمسه . وان شئت قلت سبعة أعشاره فيكون كل سبعة مثاقيل عشرة دراهم .

(٢) النجوم الزاهرة (٧/١٧٦) . (٣) نفس المصدر « التعليقات » .

(٤) شذرات الذهب (٥/٣٥٠) .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

انشاء الظاهرية

فصل لنا ابن تغري بردي بعض التفصيل عن بناء هذه المدرسة في حوادث سنة (٦٧٦) فقال :

كان الملك السعيد أمر ببناء مدرسة لدفن ابيه فيها حسب ما أوصى به والده ، فنقل تابوت الملك الظاهر بيبرس في ليلة الجمعة خامس شهر رجب من قلعة دمشق الى التربة المذكورة داخل باب الفرج قبالة المدرسة العادلية . والتربة المذكورة كانت دار الشريف العقيقي فاشتريت وهدمت وبني موضع بابها قبة الدفن ، وفتح لها شبابيك على الطريق . وجعل بقية الدار مدرسة على فريقين : حنفية وشافعية . وكان دفنه بها في نصف الليل ، ولم يحضره سوى الأمير عز الدين ايدمر الظاهري نائب الشام . ومن الخواص دون العشرة لا غير [1] .

ويتمم لنا اليونيني وصف هذه المدرسة من وقفيتها التي بخط عز الدين بن شداد فيقول : وقف الملك السعيد .... المدرسة المذكورة والقبة مدفناً ، وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف . وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية ، والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ، ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية .

وهذا النص يعطينا صورة عن هيأة المدرسة الداخلية وهي صورة قريبة من الكمال تصف لنا الجهة القبلية والشرقية من المدرسة . وقد جهلت علينا هيأة الجهة الشمالية التي نظن أنها كانت محنوية على حجرات للسكن وبيوت للطهارة .

أما الجهة الغربية التي فيها باب المدرسة فواضح من هيأة التصميم انها كانت خالية من البناء عدا الجدار الذي يفصل المدرسة عن الطريق .

---

(١) النجوم الزاهرة (٢٦٣/٧) .

النصوص المتعلقة بالمدرسة الظاهرية

حينما نتطلب القوانين الداخلية للمدارس الاسلامية لا نجد سبيلاً الى ذلك الا عن طريق الوقفيات ، ومن المؤسف ان وقفيات المدارس اختفت عن الانظار بعد ان قام نظار المدارس باختلاس اوقافها ، ولكن كثيراً ما تواتي الصدف بالاطلاع على بعض الوقفيات . كما ان بعض كتب التاريخ وكتب الفتاوى الفقهية تشير في بعض الأحيان الى جزء من نصوص الوقفيات . وهذه بعض النصوص التي اطلعنا عليها مما يتعلق بالمدرسة الظاهرية :

« النص الأول » وهو الذي ارسله الأستاذ سالم الكرنكوي

وقف الملك السعيد لتربة والده الملك الظاهر بيبرس

وفي سادس عشر ذي القعدة وقف الملك السعيد — وهو بخط عز الدين محمد ابن شداد بإذنه وتوكيله وحضوره — المدرسة المذكورة والقبة مدفناً وباقيها مسجداً لله تعالى برسم الصلوات وقراءة القرآن العزيز والاعتكاف وباقي الدار مدرستين احداهما شرقي الدار هي للشافعية والأخرى قبلي الدار الى جانب القبة وهي للحنفية ودار حديث قبلي الايوان المختص بالشافعية

ووقف على ذلك جميع قرية الضرمان [1] في شغل بانياس وجميع قرية ام ترع [2] من الحيدور [3] وبهمين [4] من بيت رامة من الغور [5] ومزرعتيها الدراعة وشوبهة [6]

---

(١) كذا في الأصل . والصواب : العرمان . اما مرجعنا في التصحيحات التي سنشير اليها فهي الكتابة المرقومة على أعلى باب الظاهرية وهي بخط فني جميل واضح وقد نشرناها في هذا المقال تحت عنوان النص الرابع والخامس . وورد تحديد قرية العرمان في « كتاب وقف الوزير لالا مصطفى باشا » طبع دمشق سنة (١٣٤٣) ص (٣٩) .

(٢) كذا في الأصل.والصواب:امزرع.وردت مرسومة على اعلى باب الظاهرية هكذا «امزرع».

(٣) الصواب : الجيدور بالجيم المعجمة احدى مناطق حوران .

(٤) الصواب : وسهمين .

(٥) يراد بالغور الأراضي المنخفضة حول بحيرة طبريا .

(٦) الصواب الزراعة وسوية .

وتسعة عشر قيراطاً ونصف قيراط من قرية الأشرفية من الغوطة وبساتين ابن سلام الثلاثة وبستان السنيتة [١] وطاحونه ، والحمام على الشرف الأعلى الشمالي [٢] وكرم طاعة من بلد بانياس وخان بنت جزوخان بحكر الفهادين [٣]

ورتب في التربة اماماً شافعياً وجعل له في كل شهر ستين درهماً زمامين [٤] من عتقاء الملك الظاهر ناظرين في مصالح التربة وحفظ ما بها من الآلات لكل واحد منها في الشهر ستين (؟) درهماً ومؤذناً له في الشهر عشرون درهماً وستة عشر مقرئاً لكل واحد منهم خمسة وعشرون درهماً منهم نقسان يزاد كل واحد منها عشر دراهم

ويشترى في كل شهر شمع وزيت وما يحتاج اليه التربة من الفرش والقناديل وآلات الوقيد بمبلغ ثمانين درهماً .

ويرتب في كل [من المدرستين] [٥] مدرساً (؟) له في الشهر مائة وخمسون درهماً ، ومعيدان لكل واحد منهما اربعون درهماً ، وثلاثين (؟) فقيهاً لأعلام عشرين (؟) درهماً ولأدناهم عشرة دراهم .

ARCHIVE

(١) المرقوم فوق باب الظاهرية السبية بعد السين ثلاثة اسنان تحت السن الأول نقطة وفوق الثالث نقطتان والسن الثاني مهمل من النقط ولذلك يرجح ان الصواب فيه (بستان السبتية) ومعنى السبتية في دمشق ان الناس في أيام الربيع يخرجون الى البساتين للنزهة والقصف يوم السبت ولعل هذا البستان كان يقصد في ذلك اليوم خاصة وقد أشار الى السبتية في دمشق عدد من المؤرخين.

(٢) الشرف الأعلى الشمالي هو المكان الذي تقوم فيه مدرسة التجهيز الأولى في دمشق وقد أشرنا الى مكانه في مخطط الصالحية .

(٣) نص الكتابة على باب الظاهرية « وخان بيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالاصطبل ظاهر دمشق » والراجح ان صواب نص اليونيني أن يكون هكذا « وخان بيت حنا وخان بحكر الفهادين » والراجح ان خان حكر الفهادين هو نفس الخان المعروف بالاصطبل ظاهر دمشق . اما حكر الفهادين فهو في الشرف الشمالي الأعلى شرقي مدرسة التجهيز فقد جاء في تاريخ ابن خلكان (١١٩/١) ان شمس الملوك دقاقا توفي سنة (٤٩٧) ودفن في مسجد بحكر الفهادين - بظاهر دمشق - الذي اعلى نهر بردا . وهذا المسجد بلا شك هو المعروف بالخانقاه الطواويسية راجع خطط الشام للأستاذ كرد علي وتنبيه الطالب ومختصره للعلموي ومخطط الصالحية فقد أوضحنا فيه موقع هذه الخانقاه .

(٤) الصواب وخادمين .

(٥) زيادة اقتبست من المقام .

ويصرف فيها [ما] تدعو الحاجة اليه من اجرة ساقي[1] واصلاح قني[2] وغير ذلك وثمن الزيت ومسارج وقناديل وآلة الوقيد بالمدرستين في الشهر اربعون درهماً وشاهداً ومشارفاً وغلاماً[3] وجابياً وغيرهم لكل منهم ما يراه الناظر • والنظر للملك السعيد مدة حياته ثم لولده وولد ولده

وفي جمادى الآخرة سنة ٦٧٧ سير الملك السعيد برسم تتمة العمارة ومصالح الوقف اثني عشر الف دينار

وفي يوم السبت ثالث ذي القعدة سنة ٧٧ وقف عماد الدين محمد بن الشيرازي بطريق الوكالة عن الملك السعيد جميع احد عشر سهماً وربع سهم وثمن سهم من قرية الطرة من ضياع الجبيل من اقليم اذرعات من عمل دمشق الى المدرستين والتربة بعد ان انتقلت الحصة الى الملك السعيد على ثماني قرى مضامين[4] وتقر[ر] لكل منهم خمس وعشرون ويزاد لكل مدرس رطلان خبزا مثلثا بالدمشقي ولكل خادم من الخادمين ولكل نفر بالتربة والفقهاء والمؤذنين والفراشين والبوابين في كل يوم ثلثي رطل خبزا اسوة فراشي التربة ويصرف الى مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف لكل واحد رطلا خبز[ا] واشهد الحكام على نفوسهم وسجلوا بثبوت ذلك •

في يوم الاثنين حادي عشر ذي القعدة سنة ٧٧ شرع في عمل اعزية الملك الظاهر بالديار المصرية وتقر[ر] ان يكون احد عشر يوماً في احد عشر موضعاً الخ •

---

(١) تقطع مياه انهر دمشق كل عام بضعة ايام لرفع مايتراكم في مجاريها من الأوحال كما تقطع أيضاً ايام الحروب حينما تحاصر دمشق ولذلك تقوم السقاة بحمل الماء الى الدور والمساجد والمدارس ونظراً لتوخم ماء الأنهر فان سقاة خاصة يجلبون ماءً للشرب من العيون والآبار النظيفة . وهناك نوع من السقاة يكون في المساجد والمدارس يحملون وعاءً من نحاس او فخار او جلد وطاسة نحاس يمرون على الجالسين ويسقونهم ، وقد يضعون في تلك الآنية ثلجاً او نوعاً من العطور وكثيراً ما يوقف بعض محبي الخير اوقافاً على مثل هذه الأعمال . وجميع ما ذكرناه بطل في عصرنا .

(٢) جمع قناة والمراد بها ما يوصل الماء الى الدور وتدعى في عصرنا « قساطل » وهي أنابيب من فخار تبنى على شكل مخصوص .

(٣) الصواب وخادما . (٤) الصواب مضافين .

« النص الثاني » منقول من فتاوى السبكي (٣/٨) طبع مكتبة القدسي ونصه :

نسخة فتوى في دار الحديث الظاهرية بدمشق

ما تقول السادة العلماء في واقف وقف وقفاً على الجهات والوجوه والمصالح التي يأتي ذكرها وتعيينها في هذا الكتاب فيبدأ من اليه النظر بعمارة الموقوف وترميمه واصلاحه وما فيها بقاء اصله وسبب النماء والمزيد . وما فضل كان جارياً على الوجوه والمصارف الآتي ذكرها . فيصرف في كل شهر ثلاثون في ثمن زيت وحصر ومصابيح وترميم . ويصرف ستون لشيخ الحديث ، وعشرون للقارئ ، ومائة للطلبة ، وعشرون للخازن ، واربعون للقيمين ، ومائة وخمسون لستة قراء يقرؤن بالتربة المجاورة لها .

وذكر مصارف الى ان قال :

ومال هذا الوقف المعين في هذا الكتاب المتقدم الصرف في مصارفه المذكورة كمال اوقاف المدرسة والتربة المذكورتين

http://Archivebeta.Sakhrit.com

وقد تلفظ هذا الوكيل الواقف المسمى : بوقف هذا الموقوف المعين في هذا الكتاب على الجهات المعينة والمصارف المذكورة في هذا الكتاب .

بدأ من ذلك بتقديم ما هو مقرر لمصالح القاعة المذكورة ، وما هو مقرر في هذا الكتاب من الجامكيات على ما عين اعلاه . فان نقص عن ذلك قدم ما هو معين لمصالح القاعة المذكورة في هذا الكتاب على ما فضل فيه ، وما هو معين لشيخ الحديث النبوي وقارئه ومستمعيه المشار اليهم اعلاه والقيمين المذكورين اعلاه « فان فضل بعد ذلك فاضل صرف في الوجوه المبينة ، والمصارف المعينة في هذا الكتاب على الوجه المشروح فيه يجري ذلك كذلك الى يوم القيامة .

فهل اذا فضل من ريع الموقوف شيء بعد تكميل ما عين اعلاه من الجامكيات والجرايات يكون لمن عين اعلاه من ارباب الوظائف المذكورة اعلاه ام لغيرهم

من ارباب الوظائف بالمدرسة الظاهرية من الفقهاء والمتفقهين والمدرسين والمعيدين وغيرهم ام لا ؟ افتونا مأجورين رحمكم الله ٠

أجاب الشيخ الامام رضي الله عنه ومن خطه نقلت : ليس لغيرهم من ارباب الوظائف بالمدرسة المذكورة من الفقهاء والمتفقة والمدرسين والمعيدين وغيرهم شيء منه بل هو لجهة وقف دار الحديث المذكورة تختص به عن المدرسة ليس للمدرسة ولا لأهلها منه شيء ٠

والفاضل عن معاليم اهل دار الحديث المذكورة الآن بعد تكميلها دالٌ بحسب الحال الآن ان يرد عليهم على نسبة معاليمهم ٠ ويحتمل ان يقال : يحفظ لهم ولمن يتجدد مكانهم ٠٠٠

واما صرفه للمدرسة او لأحد من اهلها فممتنع قطعاً ٠

* * *

« النص الثالث » منقول من فتاوى السبكي (٤٨٨/٢)

(مسألة) أوصت ام الملك السعيد ان يوقف عنها ٠ ووقف عنها وقف ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية بدمشق ٠ والثلث على ستة خدام معينين ٠ ومن مات منهم نزّل الناظر مكانه خادماً من عتقاء الظاهر ولاء السعيد ٠ فمات الستة ونزل مكانهم الى ان لم يبق من عتقاء الظاهر ولاء السعيد الا خادم واحد فما الحكم في ذلك ، والشرطُ انه اذا انقرض الخدم رجع الى التربة والمدرسة ؟

(فاجبت) ان الخادم المذكور اذا نزله الناظر جاز صرف الجميع اليه ولا تستحق المدرسة والتربة شيئاً الا بعد انقراضه ٠ ومستندي في ذلك ان معناه عام ٠ والخادم الباقي يصح ان يكون عوضاً عن الستة ٠ وقوله « اذا انقرضت الخدام كان للمدرسة » يشمل الخدام الستة وجميع من كان خادماً من عتقاء الظاهر او السعيد ٠ وليس من شرط تنزيله موضع الستة ان يكون عن موتهم بل سواء اكان كذلك ام بعد مدة ٠ ولو توسط بينهم جماعة صح ان يكون هذا الآن منزلاً مكان الستة الأولين والله اعلم ٠

«النص الرابع» وهو ما كتب على باب الظاهرية من أعلاها . ولما كان بابها عظيماً . مدخله على هيأة دهليز صغير وهو مؤلف من ثلاث جدران : قبلي وبه تبتدأ الكتابة ، وشمالي وفيه تنتهي ، وشرقي ومن جهته يدخل الانسان اليها كان كل سطر من أسطر الكتابة مؤلفاً من ثلاثة أجزاء وضعنا فاصلاً بين كل جزء منها على هذه الصفة I كما أننا جعلنا لكل سطر رقماً . وهذا نص ما كتب :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . الذي وقفه على هذه التربة والمدرستين ودار I الحديث النبوي الحصة من قرية الطرة من عمل اذرعات ومبلغها احد عشر سهما وربع وثمن سهم من اصل اربعة وعشرين سهما I وقرية الصرمان بكمالها من اعمال الشعرا [1] وقرية امزرع بكمالها من عمل نوى I (٢) والحصة من قرية بيت الرامة وقرية سوية وقرية الزراعة من الغور ومبلغها سهمان من I أصل اربعة وعشرين سهما والحصة من الأشرفية من عمل المرج من بلد دمشق ومبلغها تسعة عشر سهما ونصف من اربعة وعشرين والبساتين الثلاثة المعروفة I بابن سلام ظاهر دمشق من اراضي السهم الشرقي بسفح قاسيون (٣) بستان يعرف بالسبتية ظاهر دمشق على الشرف الشمالي وطاحون السبتية الملاصقة I ة للبستان المذكور وكرم يعرف بكرم طاعة بمدينة بانياس وخان ببيت حنا وحانوت جوار بساتين ابن سلام وخان يعرف بالا I صطبل ظاهر دمشق والسفل الكامل من قيسارية الشرب وذلك في سنة ست وسبعين وستمة (كذا) .

* * *

«النص الخامس» وهو سطران تحت الأسطر الثلاثة المتقدمة وهما :

(١) بسم الله الرحمن الرحيم امر بانشاء هذه التربة المباركة وا I لمدرستين المعـ[illegible] الملك السعيد ابو المعالي محمد بركة قان بن السلطان الش I هيد الملك الظاهر المجاهد ركن الدين ابو الفتوح بيبرس (٢) الصالحي

---

(١) هي ما تدعي اليوم بقضاء القنيطرة . راجع صبح الأعشى (١٠٤/٤) .

أنشأها لدفن والده الشهيد ولحق به عن قريب I فاحتوى الضريح على ملكين عظيمين ظاهر وسعيد وامر بانهاء عمارتها السلطان الملك المنصور سيف الد I نيا والدين قلاوون الصالحي قسيم امير المؤمنين خلد الله سلطانه

* * *

« النص السادس » على باب القبة المدفون فيها الملك الظاهر وهو : (١) بسم الله الرحمن الرحيم · الذي استجد ابتياعه واوقف على الجهات المعينة في كتاب وقف ذلك الفاخورةُ بدرب (٢) الفواخير والبيوت طباقها والحصة من قرية صيبا ومبلغها ثلثي [كذا] ثمن سهم من اربعة وعشرين · الاهراء الثلثة وطباقها بالمربعة · الحصة من قرية الاصطبل [١] بالبقاع (٣) العزيزي ومبلغها عشرة اسهم وربع سهم وربع ثمن سهم من اربعة وعشرين سهما والحصة من بيت الرامة وسويه والزراعة (٤) ومبلغها سهم واحد من اربعة وعشرين سهماً وذلك تكملة الثمن من القرية المذكورة

درس للنصوص السابقة

ان من يدرس الحركة الفكرية في العصر الأيوبي لا بد له وان يراقب هذه الحركة في عصر المماليك البحرية ذلك العصر المخضرم بين العصرين : الأيوبي ، والمماليكي الشركسي ·

فعصر الظاهر بيبرس ثم قلاوون يختلف كل الاختلاف عن بقية عصر المماليك ذلك العصر الذي انحط فيه الفكر العربي الى مدى بعيد ·

فهو وان انحط عن العصر الأيوبي فان انحطاطه كان نسبياً · لأن هؤلاء المماليك اكتسبوا بعض تربية راقية من ملوك احرار مهذبين لم يمسهم الرق ، كما كان علماء عصرهم ممن درسوا في العهد الأيوبي وحصلوا النهضة العلمية الأيوبية ·

---

(١) قرية صغيرة لا تزال معروفة بالبقاع وهي قبلي قرية « بر الياس » فاذا ذهب الانسان من دمشق الى شتورا تكون قرية «برالياس» عن يمينه وقرية الاصطبل عن يساره قبيل شتورا .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

لذلك كان من المحتم علينا ان نراقب هذا العصر بدقة لننظر الانحطاط الفكري الذي ابتدأ في عهدهم حتى وصل الى الهوة السحيقة في أواخر العهد المماليكي

واذا شئنا ان نبحث ذلك فعلينا دراسة « المدرسة الظاهرية موضوع بحثنا » التي هي من أولى المعاهد العلمية في أول العصر المماليكي .

اذا رجعنا الى النصوص المتقدمة نجد ان المدرسة الظاهرية تتألف من اربعة أقسام:

« القسم الأول » القبة . وهي تختص باربعة اشياء : (١) دفن الملك الظاهر وولده السعيد (٢) اقامة الصلوات فيها بإمام شافعي (٣) قراءة القرآن (٤) الاعتكاف

أما ملاك هذا القسم مع رواتب موظفيه الشهرية فهو كما يلي :

درهم	الموظف	عدد الموظفين
٦٠	امام شافعي [١]	
٦٠	خادم	٢
٢٥	مقرئ	٦ منهم شخصان يزاد لكل واحد منهما عشرة دراهم
٨٠	نفقات زيت وشمع وفرش وقناديل وآلات الوقيد [١]	

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

« القسم الثاني مدرسة للشافعية » ويتألف ملاكها من :

١٥٠	مدرس	١
٤٠	معيد	٢ لكل منهم
٢٠	فقيه	٣٠ لكل منهم لأعلاهم مرتبة
١٠	لأدناهم مرتبة	
	شاهد مشارف خادم جابي	يحدد رواتبهم الناظر ويعين غيرهم ان وجد لزوماً لذلك
٤٠	ثمن زيت ومسارج وقناديل وآلة وقيد	

(١) ارجع الى نص البونيني .

« القسم الثالث مدرسة للحنفية » وملاكها كملاك الشافعية

« القسم الرابع دار الحديث النبوي » ويتألف ملاكها من :

درهم

٦٠ شيخ حديث

٢٠ قارئ حديث

٢٠ خازن

٤٠ قيمين

١٠٠ طلبة لم يبين عددهم والراجح انهم عشرة او عشرون

والظاهر ان مثل هذه المخصصات والجرايات لم تكن مما يقوم بكفاية الموظفين فقد اوقفت اوقاف أخرى ضمت للأوقاف الأولى وتقرر لكل من موظفي التربة (اي قبة الظاهر) والمدرستين خمسة وعشرون درهماً . ولكل مدرس رطلان من الخبز ، والى بقية الموظفين ثلثا رطل ، والى كل من مباشر الأوقاف والشاهد والمشارف رطلان . (راجع آخر النص الأول) .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويفيد النص الثالث بأن ام الملك السعيد اوقفت وقفاً آخر أيضاً . ثلثاه على التربة والمدرسة الظاهرية ، والثلث على ستة خدام من عتقاء الظاهر ولاء ابنه السعيد .

ولسنا ندري ان كان هذان الوقفان الأخيران يتناولان دار الحديث النبوي أم لا . كما ان النص الثاني يفيد بان مالية دار الحديث الظاهرية مستقلة تمام الاستقلال عن المدرستين والتربة . وانه حينما يزيد شيء من مالها يصرف عليها وعلى موظفيها ولا يعطى شيء منه الى احد من اصحاب التربة او المدرستين .

اما ما يقدم من الملاحظات عن الانحطاط العلمي إثر انقراض الدولة الأيوبية فنحن نراه بادياً في تربة الملك الظاهر . فبينما نرى في ترب ومدافن الملوك الأيوبيين تخصيص شيخ اقراء من كبار العلماء يقوم بتدريس علوم القراءات

وما يتعلق بها من علوم اللغة العربية كتربة السلطان صلاح الدين والعادل والأشرف وام الصالح التي تولى فيها علم الدين السخاوي ومحمد بن مالك النحوي وابو شامة مؤلف الروضتين ومحمد بن الجزري وامثالهم ممن لهم مكانتهم في العلم والتأليف اذا بنا نرى تربة الظاهر اقتصرت على قراء فقط يقرؤون القرآن بصورة تقليدية لا أثر للدراسة فيها . وهكذا انقطعت حلقة الاقراء في ترب الملوك من هذا العهد، واصبحت الترب تمتّ الى صور دينية شكلية لا عمل للفكر فيها .

« ثانياً » جعل مسجد المدرسة في قبة الدفن وهذا امر كرّهه بعض الفقهاء ولم يسبق لنا ان رأينا قبل هذا مدرسة خالية من مصلى مستقل لا اثر للدفن فيه . أما وضع المحاريب في المدافن والقبب فهي امور طرازية تشير الى اتجاه القبلة ليس الا

« ثالثاً » توجيه الأنظار الى احترام القبور وتقديسها ويظهر هذا بادياً في مخصصات التنوير وما الى ذلك ففي التربة هو اكثر مما هو في مدرستي الشافعية والحنفية ، كما اننا نرى عدداً كبيراً عينوا خدماً للتربة يضاف الى ذلك المبالغ الباهظة المصروفة على الفسيفساء وزخرفة القبة .

وهذا كله يعطينا فرقاً محسوساً بين عصر الأيوبيين الذين كانوا يحملون ثقافة عالية وينظرون الى حقائق الأمور ، وبين عصر المماليك الذين كانوا يحملون عقولا ساذجة بسيطة لا تدرك إلا ظواهر الأمور . أما ما يتعلق باسماء المدرسين فيها وتراجمهم فيرجع في ذلك الى تنبيه الطالب للنعيمي ومختصره للعلموي ، واما وصفها البنائي فيحتاج الى مقال آخر .

محمد احمد دهمان

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العامي والفصيح

- ١٠ -

ز ل م (١) الزَّلَمَة – الزَّلَمَة عند العامة الغلام الذي تجاوز حدَّ الغلومية واستوفى رجوليته وقوَّته وهو زَلَمَة من الزَلَم أي رجل فتي قويّ • وهذا الحِمل وهذا العمل يحتاج الى زَلَم تقوم به أي فتيان أقوياء •

وفي اللغة يقول صاحب التاج الزَلَم «محرَّكة» الغلام الشديد الخفيف جمعه أزلام قال الشاعر :

بات يقاسيها غلام كالزَّلَم ليس براعي ابل ولا غنم

وفي اللسان الزَّلَم القِدْح وهو السهم الذي لا ريش عليه والجمع ازلام واستشهد له الجوهري بهذا البيت ثم قال صاحب اللسان «وزلَم القِدْح سوّاه وليَّنه وزلَم الرحى أدارها وأخذ من حروفها قال ذو الرمة :

تفضُّ الحصى عن مُجِمرات وَقيعة كأرحاء رَقْد زَلَّمتها المناقر[1]

شبَّه خُفَّ العير بالرحى أي قد أخذت المناقر والمعاول من حروفها وسوّتها وزلَمت الحجر اي قطعته واصلحته للرحى قال وهذا أصل قولهم هو العبد زُلْمة وقيل كل ما حذف واخذ من حروفه فقد زُلِم ويقال قِدْح مُزَلَّم وقدح زَليم اذا طرّ وأجيد قدُّه وصنعته وعصا مزلَّمة ١٠ اهـ » وقالوا فرس مُزَلَّم اي مقتدر الخَلْق • والظاهر ان المادة تدور حول التشذيب والتسوية • والغلام اذا بلغ مبلغ الرجال واستوى وبلغ أشدَّه فقد نفى عنه لينَ الحداثة واشتد وأصبح مقتدر الخلق فهو اذاً مُزَلَّم عند الفصحاء وزَلَمَة عند العامة •

---

(١) تفض تفرق وتكسر مجمرات قاذفات الجمرات وهي الحصى الصغار كالتي يرمى بها في منى والوقيعة في الأصل المطرقة وعنى بها الحافر الصلب الشديد ورَقد جبل تنحت منه الارحية والمناقر الازاميل يقول انها تنفي بأخفافها وحوافرها الحصى كما تنفي الأزاميل اطراف الأرحاء في تزليمها أي تسوية أطرافها •

ز ل م (٢) الزُّلومة — وجاء في كلام العامة الزَّلَّومة للحمة المتدلية في حلوق المعزى معلقة كالقرط قال صاحب التاج وهي عامية وأقول هي كذلك الى اليوم أما في اللغة فقد قال الليث الزَّلَمَة تكون للمعزى في حلوقها متعلقة كالقرط ولها زلمتان واذا كانت في الأذن فهي زَنَمة بالنون

أما الزُّلومة العامية فهي مصغر زَلَمة على قاعدة العامة في تصغير الأسماء فهم يقولون في فاطمة فطُّوم وفطُّومة وفي محمد حمُّودة وحمُّود وفي علي علُّوش واذا صغروا نتفة اي الشيء القليل قالوا نتُّوفة .

ز م ط زمط من يدي — وقالت العامة زمط الشيء من يدي اذا انزلق بسرعة ويستعمل لمن يفرّ هارباً بعد أن قُبِض عليه أو كاد يقبض عليه وهو في اللغة بالذال المعجمة قال في اللسان « وفي نوادر الاعراب طعام ذَمِط وزَرِد لين سريع الانحدار » فهو على هذا قد جاء الى العامة على سبيل المجاز .

ز م ق اولاد زَمْقة — ويقولون أولاد زَمْقة ويريدون بهم السفلة والسقاط والغوغاء وأولاد الأزقة وهو كقول العرب اولاد دَرْزة للسفلة والغوغاء من الناس قاله ابن الاعرابي وقد عناهم الشاعر الذي رثى زيدَ بن علي بن الحسين مخاطباً زيداً بقوله : « اولاد درزةَ اسلموك وطاروا »

وذلك لما انهزموا عنه بعد ان خرجوا معه لحرب هشام بن عبد الملك وبعد ان التقى الجيشان وهكذا يقول العرب ابن دَرْزَة للدعيّ او لابن الامة تجيء به من المساعاة فلا يعرف له اب ويقال له ابن تُرْنَى وهم اولاد تُرْنَى وهكذا يقال للفقراء بنو غبراء .

أما اولاد زمقة العامية فان الزَّمْق لغة في الزَّبق بمعانيه كما في اللسان ومعناه الحبس والتضييق واولاد زمقة هم اللصوص الذين يزبقون الأقفال اي يكسرونها وتعمر بهم الحبوس والسجون وهم الذين يطارَدُون ويضيق عليهم في حفظ الأمن وحكى الأصمعي زبَقَه في السجن زبقاً اذا حبسه وفي مستدرك التاج زَبَقه زبقاً ضيّق عليه والزبق كسر الأقفال قال الشاعر :

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

« ويزيق الأقفال والتابوتا » اي انه لص

ز م ن ت الزَّمَنْتُوت والزمنطوط — تريد العامة بالزَّمَنْتُوت او الزمنطوط الرجل المتفرد برأيه والمستبد بأعماله لا يذعن لنصيحة ولا يستجيب لمشورة وهي فيا أرى محرَّفة عن صَمَعْتُوت وفسره صاحب اللسان بانه الحديد الرأس ومثله في التهذيب وجاء في نسخة القاموس التي بين يدي الصمعيوت بالياء مكان التاء الأولى ومثله نص النوادر كما أفاده صاحب التاج وقد صحَّ عن العرب تعاقب العين والنون مثل تنكظ وتعكظ عليه الأمر اذا تعسر والتوى وهو عدُّه وندُّه اي قرن له .

ز ن ب ع زنبع — وقالوا زَنْبَع الابريق اذا امتلأ حتى اندفع الماء من بلبلته وهذه البلبلة تسمى عندهم الزنبوعة ويقال لها الزرزوبة (راجع زرب م ٢٣ : ٢٤١) وهي اما دخيلة من زنبع الارمية بمعنى فار او من زوبع العربية بمعنى ثار كالزوبعة وهذا فعل مولد من الزوبعة او من الزِنْباع للرجل المتدرئ بالكلام .

ز ن ت ر تَزَنْتَر — ويقولون تزنتر فلان وهو مُزَنْتَر اذا كان سيئ الخُلق ضيّقه يغضب لأقل سبب ويتحرق لأدنى شيء والزنترة عندهم حدّة الحركة وحِدّة النشاط في الغلمان والولد مزنتر اذا كان قليل الاستقرار وفي اللسان وقعوا في زَنْتَرة من امرهم اي ضيق وعسر ولا ريب ان الضيق والعسر من أسباب سوء الخُلق .

ز ن خ ازنخ وزَنِخ اللحم — وقالوا زَنَخ اللحم وازنخ والطعام له زَنْخَة وهو زَنِخ وذلك اذا تغيرت رائحته لفساد فيه وهي فصيحة مثل سنخ والاسم الزَّنْخة والسَّنْخة .

ز ن ط ع الزَّنْطُوع — الزَّنْطُوع عند عامتنا المُحَدَّد الرأس الناتئ عما سواه وفي اللغة الصُّنْتُع يقال للصلب الرأس وللحمار الناتئ الحاجبين والوجنتين .

ز ن ق زَنِق — وقالت العامة زَنِق من أكْلِ الدسم وذلك اذا بشم واتخم وانصرفت شهوته عن الطعام من غير شبع لكثرة ما فيه من الدسم وهو في الفصيح سَنِق بالسين المهملة يقال سَنِق الفصيل اذا بشم واتخم من اللبن وجاء

في اللغة صنق بالصاد المهملة اذا لم يأكل ولم يشرب من هياج لا من مرض

ز ن ك ثوب مزنَّك – ويقولون للثوب الضيق على لابسه لقلة عرضه مُزَنَّك وهو في اللغة مزنَّد بالدال وفسروه بالثوب القليل العرض وأصله من الضَنْك وهو الضيق والكاف والدال يتعاقبان في الفصيح يقال صدمه وصكه وكذلك الضاد والزاي يقال ضغده وزغده اذا عصر حلقه ٠

ز ن ك ر – وقالوا زنكرت المرأة اذا حملت فعظم بطنها وزنكر الصبي اذا امتلأ من طعام أو رضاع فعظم بطنه

وفي اللغة زَكَّر وتزكَّر بطنُ الصبي اذا عظُم وصار كالزكرة وحسن حاله والزكرة عند العامة زق صغير يصفى به اللبن الرائب من مصله وكذلك هو في الفصيح ويكون للخمر ٠

ز ه ب الزِهْبَة والزِهاب – الزهبة والزهاب عند العامة جهاز المسافر وما يحتاج اليه في سفره وجاء في اللغة الزُهْبَة والزِهب القطعة من المال كذا في القاموس وتعقبه صاحب التاج بقوله قال شيخنا وكثير من شيوخ اللغة يقولون انها عامية لا تثبت عن العرب وروى الأزهري عن الجعفري اعطاه زِهباً من ماله أي قطعة ٠ وجاء عن الأئمة ازدهبه بمعنى حمله وازدأبه لغة أخرى وفي مادة زأب قالوا زأب القربة كمنع حملها ثم أقبل بها مسرعاً كازدأبها قال الشاعر :

« وازدأب القربة ثم شمَّرا »

وكلما حملته بمرة فقد زأبته والزأب والزهب والزعب كلها تدور حول معنى واحد وهو الحمل والاحتمال والزهبة العامية هي ما يحمله المسافر في سفره لحاجته

وربما يقال ان الزهبة من الاهبة على الابدال وهي العدَّة ومنه اهبة الحرب والهمزة والزاي يتعاقبان في الفصيح مثل توكأ وتوكز على عصاه ٠

ز ي ٠ الزِيْنَابَة – وعامتنا تريد بالزينابة القطعة من الأرض اذا كانت مستدقَّة في عرضها ممتدة منقادة في طولها على حاشية ارض اخرى ثم استعيرت عندهم للقطعة المستطيلة من غير عرض على حاشية الثوب ٠

وأما في اللغة فقد جاء عن ابن السكيت ان السيزاءة هي المنقادة المستدقة من الأرض . فالعاميّة على هذا محرفة عن السيساءة اذا بدلت بالسين زايا فقالت الزيزاءة ثم فرّوا من تكرار الزاي فقالوا الزيآءة ولفظوها الزيأبة بتسهيل الهمز المألوف عندهم .

ز ي ب ق الزيبق — الزيبق في العامية هو الزئبق بتسهيل همزته وفي زمن صاحب اللسان كانوا يقولون درهم مُزَيْبَق وعدّه ابن منظور من المولد العامي وهو في الفصيح مُزَأْبق والزئبق في أصله غير عربي وعربيته الزاووق . وجاء في المغرب انه يقال بالباء وبالهمزة واختار الميداني كونه بالهمز وقال الليث وتليين همزته في لغة والفعل منه التزبيق . ولم يجار صاحبَ اللسان في انه مولد عامي بل جعله لغة وأما تليين الهمزة فقد حكى الأخفش كما في الاقتضاب للبطليومي ان من العرب من يترك الهمز في كلّ ما يهمز الا أن تكون الهمزة مبدوءاً بها

وفي التاج ان الهمز ليس من لغة قريش . قلت : وكذلك ليس هو من لغة العامة الى اليوم وقال الائمة ان تسهيل الهمزة يكون قياسياً اذا كانت ساكنة ووقعت طَرَفاً في الفعل المزيد نحو ارجأت الأمر وارجيته وأشطأ الزرع وأشطى

زوط زَوّطها — وقالوا زَوّطها « بالزاي المفخمة » اذا تجاوز في عمله حَدّ المألوف ويكون ذلك في القول وفي العمل . وفي اللغة زوّط اذا عظّم اللقم وفي اللسان قال ابو عمرو يقال زوّطوا وغوّطوا ودبّلوا اذا عظموا اللقم ومثله زهوط ولكن العامة تعمّ بزوّط اللقم وغيرها

او تكون من ذاطه يذوطه لغة في المهموز وذلك اذا خنقه حتى دلع لسانه اي بالغ في خنقه وهو جار مجرى قول العامة للمبالغ في الشيء حتى جاوز الحد « خنقت البرّاك » كما يقولون زوّطتها

او تكون من اضوط الزّيار على الفرس اي زيّره به قال في التاج قال ابو سعيد سمعت بعض مشايخنا يقول اضوط الزيار على الفرس اذا أشبه في جحفلته ثقله الصاغاني في العباب .

ز ي ط زاطت الدابة — ويقولون زاطت الدابة «بالزاي المفخمة» اذا سمنت من أكل الربيع او اذا كثر حولها فأكلت ورعت حيث شاءت

وارجح انها محرفة بالابدال من ضاط الرجل في مشيته ضيطاً وضَيَطاناً اذا حرّك منكبيه وجسده من كثرة لحم ورخاوة فهو ضَيْطان بالفتح اي كثير اللحم رخوه بقله: ابن سيده والدابة اذا سمنت في المرعى كثر لحمها وتمايلت في مشيها من السمن وثقل الجسم

ز و ع تزوّع — وقالوا تزوّع وزوّع اذا تقيأ وفي القاموس وتخوّع تقيأً بغدادية ولعلها مولدة يشعر بذلك قوله بغدادية ولكن البغداديين اليوم يقولون زوّع بالزاي

وربما كانت من تهوّع اذا تكلف القيء ، وهاعَ قاء من غير كلفة وهوّعته ما أكل اذا قيأته وفي حديث علقمة واذا تهوّع فعليه القضاء اي اذا استقاء وتكلفه

زول الزَوْل — ويقولون للحسَن الحاذق والهندام له كَسْم وزَوْل ويسمون الشاخص في الظلام لا يتبين من هو وماهو الزول والزّوالة وذلك اذا ظهر كالخيال لا يلبث ان يزول وفي اللغة الزَوْل الخفيف الظريف يُعجَب من ظَرفه وجمعه ازوال وزال يزول اذا تظرّف والانثى زولة كذا جاء في اللسان والزَوَال الخيال قال الأعشى :

هذا النهار بدا لها من همّها ما بالُهـا بالليل زال زوالها

قال ابو بكر (الأنباري) في تفسيره زال خيالها حين تزول

وجاء في كلام العرب زال به السراب اذا ظهر شخصه فيه خيالاً وفي اللسان الزَوْل الحركة يقال رأيت شبحاً ثم زال اي تحرك ٠

زول (٢) الزولية — الزُولية في العراق هي البساط والسجادة ذات الخمَل وجمعها الزوالي وهي في اللغة الزُلّيَة وفسروها بالبساط وجمعها الزلالي ٠

ز و م الزُوم — الزوم عند العامة المَرَق وماء الغسالة واحسب انها دخيلة ٠

النبطية : (جبل عاملة) احمد رضا

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

مخطوطات ومطبوعات

ظهر الاسلام [1]

تأليف الأستاذ احمد امين

يقع هذا الكتاب في ثلاث واربعين وثلاث مئة صفحة ، من القطع الكبير ، حسن الطبع والترتيب والتبويب ، وهو « يبحث في الحالة الاجتماعية ومراكز الحياة العقلية من عهد المتوكل الى آخر القرن الرابع الهجري » .

بدأ المؤلف كتابه بوصف المملكة الاسلامية في ذلك العهد ، فذكر كيف دخل العنصر التركي في هذه المملكة ، وما كان له من أثر في الحياة السياسية والاجتماعية . ثم ما كان بعد ذلك من نزاع — كان من قبل بين الفرس والعرب — فأصبح بين العرب والفرس والترك ، يقول : « وكان العرب قد ضعف أمرهم في نزاعهم مع الفرس ، فجاءت قوة الترك ضغثاً على ابالة ، وأخذ التاريخ الاسلامي يصطبغ بالصبغة التركية ، وتحركت العصبية ضد الأتراك ، حتى ان المعتصم وهو الذي جلبهم ، اخذ — على ما قيل — ينكر أمرهم ، وجعل المحدثون يضعون الأحاديث في ذم الترك ، تعبيراً عن شعورهم وشعور الناس .

ثم جاء المتوكل — وقد مضى على مجيء الترك اثنتا عشرة سنة ، تمكنوا فيها من الأرض ، وعرفوا الناس والبلاد ، وخدمتهم الحوادث في اعلان سلطانهم — فاذا بايتاخ وهو غلام تركي كان طباخاً ، يصبح صاحب السلطان ، وبيده معظم الأمور ، واصبحت امور الدولة في يد الأتراك ، واصبحوا مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب ، وهم انفسهم ليسوا في وفاق بعضهم مع بعض ، وهم لا ينقطعون عن المؤامرات والدسائس ، وتعصب كل فريق لقائد منهم ، وهم

[1] تأخر نقد هذا الكتاب لأسباب قاهرة .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

كثيرو الطمع في الأموال لا يشبعون . وعلى الجملة فقد أصبحت دار السلام وما حولها ، ليست دار سلام »

يقول : « ورأى المتوكل ان يتخلص من الأتراك ، ويعيد الدولة سيرتها الاولى . ولكن ابنه المنتصر كان يشايعهم . فعزم المتوكل ان يفتك بابنه المنتصر ، ويقتل وصيفاً وبغا وغيرهما من قواد الأتراك ووجوههم ، وعزموا هم على الفتك به . فكان ذلك مفترق الطرق : ان نجح زالت دولة الاتراك وعادت غلبة الفرس ، ورجعت الأمور الى ما كانت عليه . ولكن شاء القدر ان ينجحوا هم ، فتقدم باغر التركي حارس المتوكل ينفذ مؤامرة دبَّرها القواد الأتراك ، وعلى رأسهم بغا الصغير ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، وهم متلثمون والسيوف في أيديهم ، وصعدوا على سرير الملك ، وضرب باغر المتوكل بالسيف فقده الى خاصرته ، ثم ثناه على جانبه الأيسر ، وفعل به مثل ذلك . وأقبل وزيره الفتح بن خاقان يمانعهم ، فبعجه واحد منهم بالسيف في بطنه ، فأخرجه من متنه .

ولم يكن قتل المتوكل اعتداء على المتوكل وحده ، بل هو قتل لسلطان كل خليفة بعده . ولم يكن قتله بيد باغر وحده ، بل بيد الأتراك . وكان في قتله حياة الأتراك وسلطانهم ، وانذار عام لبيت المالك : أن من أراد ان يلي الخلافة ، فليذعن اذعاناً تاماً للأتراك ، ومن حدثته نفسه — من الخليفة فمن دونه — ان يناوئهم فليوطن نفسه على القتل .

وهكذا كانت هذه الحادثة مصرع الخلافة ، ومجد الأتراك ، فكان الخليفة بعده خاتماً في اصبعهم او أقل من ذلك ، حتى قنع بالسكة والخطبة . وصار يضرب ذلك مثلاً لمن له ظاهر الأمر وليس له من باطنه شيء . . . »

هذه هي الصورة البارعة من حيث التصوير ، المؤلمة من حيث الواقع ، التي استهل بها الأستاذ فصله الأول : وصف الحال التي كان عليها سكان المملكة الاسلامية في القرنين : الثالث والرابع . وقد عزّز هذه الصورة ببسط الأحداث

والخروق التي كان يحدثها هؤلاء الأتراك – ثم الديلم من بعدهم – في أطراف البلاد وفي قلبها من نهب وسلب ، وانتهاك حرمات ، وضبط أموال ، واذلال الخلفاء وتقتيلهم ؛ حتى الزنج نفسهم لم يخلص العرب وبلادهم من شرهم . هذا الى ما كان بين السنة والشيعة من جدال وقتال ، وما بين العناصر المذهبية من خلاف .

يقول الأستاذ : « هذه العناصر الجنسية من اتراك وفرس وعرب وروم وزنج وغيرهم ، وما تستلزم من عصبيات ؛ وهذه العصبيات المذهبية والطائفية من تسنن وتشيع ، ومن حنابلة وشافعية وحنفية ، ومن مسلمين ويهود ونصارى وغير ذلك ، كانت كلها حركات تموج بها المملكة الاسلامية ، تتعاون حيناً ، وتتقاعس حيناً ؛ وتؤثر في السياسة وفي الدين وفي العلم ؛ وتنشأ عنها المؤامرات السرية أحياناً ، والقتال الصريح احياناً . وكان لها كلها اثر واضح في كل ناحية من النواحي الاجتماعية : قد أثرت في الحالة المالية ، اما مباشرة واما عن طريق الحكم والسياسة ، فعمرت في ناحية وخربت في اخرى ، وعدلت في ناحية وظلمت في اخرى » .

ثم هو يصف ما كانت عليه الخاصة من غنى وترف ، وما كانت عليه العامة من فقر وبؤس ، وأسباب ذلك ، وما كان من نتائجه المفجعة من ثورات وخراب .

وينتقل المؤلف من وصف الحياة الاجتماعية السياسية الى وصف الحياة العقلية ، وما كان من اضعاف سلطان المعتزلة ، واعلاء شأن المحدثين ، ونصرة اهل السنة ، ثم يتحدث عما كان من حضارة وعلم وأدب ؛ ومن نبغ في الآداب والعلوم العربية من غير العرب ، كالفرس جملة ، ومن لم ينبغ كالترك الا افراداً ؛ ومراكز هذه الحياة العقلية من لغوية ونحوية وفلسفية ودينية وأدبية وعلمية ، في المشرق والمغرب العربيين . ولا يغفل ما كان من ذلك في جنوب فارس ، وفي خراسان وما وراء النهر وفي السند وأفغانستان .

وفي تضاعيف هذا الكلام ، من اخبار العلماء والأدباء والشعراء ومن الشعر

الاجتماعي والسياسي ، ما يحبب اليك متابعة هذا الكتاب والانكباب عليه ، حتى تبلغ منتهاه .

ويختتم المؤلف كتابه بلمحة عن سير العلم في الأقطار الاسلامية التي فتحها العرب ، وما كان لذلك من فضل في بقاء الوحدة العلمية والفكرية ، بعد فقدان الوحدة السياسية فيقول :

« واذا فتحت بلدة فسرعان ما يذهب اليها العلماء في الفقه والأدب يعلمون أهلها الدين واللغة والأدب ، حتى تصبح بعد قليل مركزاً من مراكز الانتاج العلمي كالذي رأيناه في صقلية ، تُفتح فيرحل اليها العلماء وتدوّي فيها حركة العلم وبعد قليل نراها مركز انتاج علمي وأدبي عجيب .

والحكومات من جانبها تنشئ الطرق ، وتقيم الرباطات والخانات لحاجتها الشديدة الى تنظيم البريد ، وتسهيل التجارة ، فكان العلماء في رحلاتهم ينتفعون بهذه المزايا ، كما ينتهزون الفرص لخروج القوافل الى الحج ، فينتظمون في سلك الحجاج ، ويرحلون الى البلدان التي يريدونها .

وكانت الرباطات كثيرة في مراحل المسافرين ، ويذكر الاصطخري انه كان في بلاد ما وراء النهر ما يزيد على عشرة آلاف رباط ، في كثير منها اذا نزل النازل قدم له طعامه ، وعلف دابته ان احتاج لذلك .

وقد زوّدت هذه الرباطات بالماء لحاجة المسافر اليه ، وعدت اقامة الرباطات وتزويدها من الأعمال الخيرية التي يقف عليها المسلمون بعض أوقافهم ... كل هذا جعل المملكة الاسلامية من مشرقها الى مغربها كأنها وحدة مهما تعدد دولها وحكوماتها ، فالعالم والأديب والفنان والتاجر لا يعبئون بالحدود التي ترسمها السياسة ، ويرون ان اللغة والدين تكسر حواجز السياسة .

وكان لهذا أثره الكبير في العلم والأدب ، ومن أوضح هذه الآثار ضعف الشخصية الاقليمية ، فليس علم مصر وأدبها متميزاً كثيراً عن علم العراق وأدبه ،

ولا عن علم خراسان وما وراء النهر والسند وادبها ، كلها متقاربة لأن رحلة العلماء وشدة الاتصال قربت بين الفروق ، وما يظهر امتياز في ناحية الا استمدته الناحية الأخرى وحذقته واستغلته . فالفقه المالكي في المدينة ، والفقه الحنفي في العراق يؤلف بينهما أمثال محمد بن ادريس الشافعي ، واسد بن الفرات المالكي . والنحو العراقي يحمله الى مصر والى المغرب الراحلون الى العراق (لعله من العراق ؟) والمتعلمون على أساتذته ، والعائدون بعد ذلك منه . والشعراء على ابواب الملوك والأمراء ينتقلون من بلاط الى بلاط فيوحدون مناهج النظم . والوراقون وتجار الكتب يحملون كتاب الأغاني ورسائل اخوان الصفا من العراق الى الأندلس . ومكاتب مصر ، ومكاتب الأندلس ، والقيروان ، والمهدية ، وفاس ، وخراسان ، وغزنة ، تضم خزائنها أهم ما أنتجه العالم الاسلامي بقطع النظر عن اقليمه بل العلماء انفسهم ترى شطراً من عمرهم قضوه في بلد وشطراً آخر في بلد آخر . شطر في مصر وشطر في الشام ، وشطر في الشام وشطر في العراق ، وشطر في العراق وشطر في فارس ، وهكذا حتى يصعب في كثير من الأحيان عد العالم مصرياً او شامياً ، وعراقياً ام فارسياً . ومؤلفو التراجم أدركوا هذا المعنى فجمع اكثرهم علماء العالم الاسلامي على اعتبار انهم نتاج مملكة واحدة كقطر واحد .

نعم توجد شخصية نتاج كل اقليم كالأدب المصري والشامي والعراقي والفارسي ، والطب المصري والشامي والعراقي والفارسي وهكذا ، ولكنها شخصية غامضة خفية لا ترى الا بالمنظار الدقيق والبحث الطويل . واكثر ما يظهر هذا في منبع الظاهرة العلمية الأدبية حين تظهر . فظهورها في اقليم خاضع ولا بد لمؤثرات اجتماعية في هذا الاقليم ، كظهور المقامات في اقليم فارس ، والموشحات بالأندلس ، والأسلوب المسجوع المحلّى بالبديع في الري وما حولها ، والرسائل الشاملة لفروع الفلسفة – كرسائل اخوان الصفا – في البصرة . كل ذلك له علل اجتماعية

وتاريخية واقليمية مرتبطة بهذه الظواهر ارتباط السبب بالمسبب ، ولكن لا تلبث بعد ظهورها ان تقلد في سائر الأمصار ، ولو لم تكن العلة الأصلية موجودة ، وتقوم علة التقليد مقام علة الابتكار ، وتختفي الشخصية الأولى وراء المظهر العام للوحدة المشتركة »

من هذا الذي استشهدنا به ، يُعرف شيء من قيمة هذا الكتاب الجليل الذي أخرجه للأمة العربية الأستاذ الجليل . وليس لنا ما نأخذه على أستاذنا الا تساهله في بعض عبارات وألفاظ ، ان هي جازت لغير المؤلف ، وفي غير هذا الكتاب ، فما نحسبها تجوز للمؤلف وفي كتابه هذا على جلالة قدرهما . من ذلك : (وهو كلام جيد نظرياً) و (استمرت طوال هذا العصر) و (تبلور عداء الناس) و (هكذا فعلوا في الوزراء والكبراء والتجار) و(كثاره من استعمال السنية في مقابلة الشيعة و (التملين المذهبين) بتشديد الهاء . و (صارت المملكة الاسلامية عبارة عن دول) و (اجاد المسعودي في ملاحظته وجه الشبه) و (لم تعد المملكة الاسلامية مخشية الجانب) و (قلما تملكوا احققوا نظريتهم في احقيتهم) و (اهاج شاعريته) و (لا يهمه المال بجانب ما يهمه العلم) و (بقطع النظر عن اقليمه) و (مات حول سنة ٤٣٠) و (فرأيت شعراء ممتازين في هذا العصر) و (يرجع الفضل فيها أولاً الى شخصيتين من أقوى الشخصيات)

وكالتساهل في كتابة الهمزة : (ملئوا) بدلاً من (ملأوا) (ولا يعبئون) بدلاً من (ولا يعبأون) .

ووقف نظرنا عند هذا البيت :

لئن جاد شعر ابن الحسين فانما لأجل العطايا والَّها تفتح اللُّها

و (لأجل العطايا) نابرة هنا قلقة . لا تليق بقدر هذا البيت واصل الرواية : (تجيد العطايا واللُّهى تفتح اللُّها)

ولسنا من رأيه في قوله : « المأمون — نصف الفارسي » فاذا كان المأمون تخرجه عن عروبته أو تسلبه نصفها ، أن امه فارسية ؛ فما القول في كثير من

ملوك أوربه كانوا، ومنهم من لا يزالون الى اليوم، ينتسبون الى أمم ويقومون بأمورها، وآباؤهم — وأحياناً هم — ليسوا منها بل غرباء عنها؟

ويقول المؤلف: (وقد استفدت من اشارات للأستاذ متز الى كثير من هذه المصادر) وقد يكون هذا قليلاً في جانب ما سبق لآدم متز ان أورده في كتابه: (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع) من نصوص وشواهد وبحوث وأشعار ونقول وحادثات أعيدت نفسها وبنصها مرة ثانية في ظهر الاسلام.

هذا ونحن نكرر شكرنا للأستاذ الجليل على هذا الكتاب المفيد الجليل.

عارف النكدي

البادية

تأليف عبد الجبار الراوي
مدير السجون العام في بغداد

ليت القارئ يفكر قليلاً في هذا العالم المديد الذي تشتمل عليه لفظة: البادية، فمن البادية انحدرت الينا لغة وأدب وشعر امتزجت في بدء الأمر بلغة الحضر وأدبه وشعره ثم تعاقبت على هذا الامتزاج أحقاب غير قليلة فنشأت بعد هذا التعاقب روح جديدة في لغتنا وأدبنا وشعرنا، ظهرت آثارها على شعرائنا وكتّابنا في الماضي ولا تزال نغرف من بحرها في الحاضر.

فمن الوفاء الرجوع الى البادية التي هي مادّة اوائل حسنا وفكرنا وعاطفتنا وذوقنا ومن الوفاء الكلام على مجامع نواحيها: على جغرافيتها وطرقها وآبارها وعشائرها واجتماعها ونظامها وغير ذلك، وهذا ما توفّر عليه السيد عبد الجبار الراوي مدير السجون العام في بغداد في كتابه: البادية.

فلا يشاء القارئ أن يعرف شيئاً عن بادية العراق وبادية نجد وعن حدودهما وخصائص تربتها وحيواناتها الا عرفه ولا يشاء ان يعرف شيئاً عن طرق البادية وعشائرها وعاداتها واحوالها الاجتماعية ونظام حكوماتها ومعاهداتها واتفاقاتها الا عرفه.

شفيق جبري

ملوك أوربه كانوا ، ومنهم من لا يزالون الى اليوم ، ينتسبون الى أمم ويقومون بأمورها ، وآباؤهم — وأحياناً هم — ليسوا منها بل غرباء عنها ؟

ويقول المؤلف : (وقد استفدت من اشارات للأستاذ متز الى كثير من هذه المصادر) وقد يكون هذا قليلاً في جانب ما سبق لآدم متز ان أورده في كتابه : (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع) من نصوص وشواهد وبحوث وأشعار ونقول وحادثات أعيدت نفسها وبنصها مرة ثانية في ظهر الاسلام .

هذا ونحن نكرر شكرنا للأستاذ الجليل على هذا الكتاب المفيد الجليل .

عارف النكدي

البادية

تأليف عبد الجبار الراوي
مدير السجون العام في بغداد

ليت القارئ يفكر قليلاً في هذا العالم المديد الذي تشتمل عليه لفظة : البادية ، فمن البادية انحدرت الينا لغة وأدب وشعر امتزجت في بدء الأمر بلغة الحضر وأدبه وشعره ثم تعاقبت على هذا الامتزاج أحقاب غير قليلة فنشأت بعد هذا التعاقب روح جديدة في لغتنا وأدبنا وشعرنا ، ظهرت آثارها على شعرائنا وكتّابنا في الماضي ولا تزال نغرف من بحرها في الحاضر .

فمن الوفاء الرجوع الى البادية التي هي مادّة اوائل حسنا وفكرنا وعاطفتنا وذوقنا ومن الوفاء الكلام على مجامع نواحيها : على جغرافيتها وطرقها وآبارها وعشائرها واجتماعها ونظامها وغير ذلك ، وهذا ما توفّر عليه السيد عبد الجبار الراوي مدير السجون العام في بغداد في كتابه : البادية .

فلا يشاء القارئ أن يعرف شيئاً عن بادية العراق وبادية نجد وعن حدودهما وخصائص تربتها وحيواناتها الا عرفه ولا يشاء ان يعرف شيئاً عن طرق البادية وعشائرها وعاداتها واحوالها الاجتماعية ونظام حكوماتها ومعاهداتها واتفاقاتها الا عرفه .

شفيق جبري

بلادنا (فلسطين)

تأليف مصطفى مراد الدباغ
مفتش معارف اللواء الجنوبي — يافا —

يبحث المؤلف في هذا الجزء وهو الجزء الأول عن تأريخ فلسطين في مبدإ التأريخ حتى انقسام مملكة اليهود ، وقد تبسط في الكلام على الديار النابلسية التي هي في نظره : بلاد الرجولة الكاملة والخلق المتين ، فذكر طائفة من علمائها وأدبائها وأبطالها وأشار اشارة يسيرة الى بعض رجال العرب الذين كانت لهم علاقة تأريخية مشهورة بها .

يعترف المؤلف في المقدمة بأن البحث في بعض مواضع الكتاب يحتاج الى الاستقصاء وان نواحي منه لم يتمكن من الوصول اليها ليوفيها حقها من الشرح والتفصيل ، ولكن على الرغم من هذا الاعتراف لا يخلو الكتاب من خصائص ذات قيمة فقد أشار صاحبه فيه الى ذكر فلسطين في القرآن الكريم والحديث الشريف والى ذكرها في أقوال بعض علماء العرب ، وتكلم على موقعها الجغرافي وعلى سكان البلاد القدماء وعلى الفلسطينيين واليهود فالكتاب على وجه عام يجمع بين شيء من الفائدة واللذة .

ش . ج

التيار

نظم الأستاذ أحمد الصافي النجفي

نشر صاحب هذا الديوان تحت اسم الديوان : التيار هذين البيتين :

يقدّم تيّاري الى الناس نفسه   وليس له الا الهدير معرّف
وليس بمحتاجٍ مقدمةً له   مقدمة التيار ما سوف يجرف

فالديوان الذي لا يحتاج الى تعريف ولا الى مقدمة لا يحتاج أيضاً الى كلمة طيبة في مجلة مجمعنا ، واذا احتمل الناس صدور أمثال هذه الهواجس عن شاعر

كأبي الطيب المتنبي الذي اذا قال شعراً أصبح الدهر منشدا ... فلا يحتملون صدورها عن أي شاعر كان ، فان للغلو حداً واذا جاوز الغلو مقدار هذا الحد ظنت بصاحبه الاظانين .

لقد نقش صاحب « التيار » قصائد في ديوانه عنوانها : اللئيم والثقيل .. وكم كنت استحسن هذه القصائد لو جرّدها من الكلام على نفسه في تضاعيفها كقوله :

يحاول أن أقابله بلؤم   وبأبى المجد والقلب السليم

أأدفع لؤمه عني بلؤم   اذن انا مثله جان أثيم

كرهت اللؤم حيث أراه نقصاً   فهل أرضاه كي تؤذى الخصوم

فلو تكلم على اللؤم من حيث هو لؤم وترك جانباً هذا المجد وهذا القلب السليم وهذا الكره للؤم لكان لشعره وقع غير هذا الوقع .

وقال أيضاً في قصيدة ثانية عنوانها : سارق غير شاعر :

والشاعر الصافي بخال الورى   تحكيه في الباطن والظاهر

وانهم أشراف نفس غدت   قلوبهم كقلبه الطاهر

فلو فتش الشاعر الصافي عن قلب طاهر غير قلبه يشبه به قلوب الورى لكان كلامه أشد صلة بالآذان والأذهان .

واذا شئت ان أبحث في التيار عن شعر أمر به ، خال من أشباه هذه الوساوس فلا وجدته الا في القصائد التي يتجرد فيها من نفسه مثل قصيدة دمر التي يقول فيها :

جلست حول نهر دمر غيد   صرن والدوح حوله جنتين

يردى ما رأيت قبلك نهراً   ينبت الغانيات في الشاطئين

ليس عيناي لي بكافيتين   فوق عيني ابتغي ألف عين

ليت شعر « التيار » كان كله من هذا النمط وهذا المذهب !

ش . ج

أدب الرصافي (نقد ودراسة)

تأليف مصطفى علي

هذه فصول نشرها صاحبها في جريدة البلاد في بغداد ثم جمعها في كتاب سماه : أدب الرصافي .

وضع المؤلف نفسه في هذه الفصول موضع المدافع عن طائفة من آراء الرصافي وأفكاره ويسير من أدبه وسيرته ومعتقده .

انا نشاهد في بعض مواطن من الكتاب مثل هذه العبارة : ولئن أريد ان يعلو الصدأ مرآته الوضّاءة في حياته وبعد مماته وان تطمسها غشاوة من الكيد وعماية من المكر الخ .... فنرى ان خيراً من هذا الأسلوب ونحوه الدلالة على محاسن الرصافي التي تجعل له المقام الرفيع في الأدب لأن مثل هذا الأسلوب لا يحتوي على شيء من التحليل وانما يذهب أدراج الرياح .

على انه اذا كان المجال لا يتسع للتدقيق في الذي عابوا به الرصافي والذي ردّ به المؤلف عليهم في فصوله ، فيمكننا ان نشير الى أن ردّه كان يشتمل في كثير من الأحيان على الصواب .

ش . ج

مصطلحات عامية

لواضعها الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

كتيب يقع في ٨٧ صفحة جمع فيه مؤلفه ما وضعه من المصطلحات العلمية التي يعود أكثرها الى علم الكيمياء . ومتى عرفنا ان وضع المصطلحات الكيماوية يكاد يكون عقدة العقد في اللغة العربية قدرنا للأستاذ الواضع جهوده وأقررنا بفضله في شق هذا الطريق الوعر الذي يصعب اختراقه . ان وضع المصطلحات الطبية قد قطع شوطاً كبيراً في يومنا حتى أصبحت الكتابة بلغة الضاد سهلة

في أي موضوع يختاره الكاتب بدون ان يكون مضطراً الى استعمال الكلمات الأعجمية او تعريب بعضها • ويعود معظم هذا الفضل الى أساتذة كلية الطب بدمشق الذين ذللوا هذه العقبات كلٌّ منهم بما يعود الى الفرع الذي يدرّسه غير ان الكيمياء كانت ولا تزال العقبة الكؤود التي لم يسهل تذليلها وإننا نسرّ الآن اذ نرى أستاذاً من أبرع الأساتذة علماً في فنه ومن أوسعهم اطلاعاً على لغة الضاد وفلسفتها يسلك هذا الطريق غير عابئ بما سيعترضه من المصاعب •

ان المصطلحات التي وضعها المؤلف لا تزيد عن ستمائة مصطلح يعود بعض منها الى العلوم الطبية كافة ويرجع الباقي منها الى العلوم الكيميائية وهو عمل ضئيل اذا ما قيس بألوف المصطلحات التي يتطلبها علما الكيمياء والصيدلة غير ان هذه المصطلحات ليست كل ما وُضع في هذين العلمين بل ان سواها من المصطلحات السهلة قام بوضعه عدد من المؤلفين الذين سبقوا الأستاذ الكواكبي كما ان جمعَ شتاتها ووضعَ ما لم يسبق وضعهُ يقوم به الأستاذ الكواكبي على ما نعلم في معجم خاص معدّ للطبع سيسمّى «معجم الكواكبي في الكيمياء» •

انا نهنئ الأستاذ المؤلف بالطريقة التي سلكها في الوضع فقد اختطّ له طريقاً اذا ثابر على سلوكه حتى النهاية سهل عليه وعلى من جاء بعده بلوغ الغاية • نقدم على ذلك بعض الأمثلة القليلة فقد جاء في ترجمة (raffiner) رقّن من الرفأنينة وهي غضارة العيش وأجوده ومعنى اللفظة الأعجمية الحصول على أنقى المواد وأصفاها وجاء في كلمة (raffinage) الترفين فكان موفقاً كل التوفيق في هذا الوضع لما في الكلمتين العربية والأعجمية من التقارب في اللفظ والتشابه في المعنى • وجاء في ترجمة (carbonation) الفحملة او الفحمتة وهي غير التفحم او الاستفحام (carbonisation) لأنها تعني ترسيب ما في سائل من الشوائب بامرار غاز الفحم ، بحالة فحمات كما في صناعة السكر ، واستعمل الفعل أيضاً فقال تَفَحْمَلَ أو تَفَحْمَتَ في ترجمة (se carbonater) والشواهد كثيرة على دقة وضع المؤلف وسعة تنقيبه قبل الوضع •

واننا نعتقد انه اذا لم تعنَ جماعة من الكيماويين والصيدلانيين في وضع مصطلحات العلوم العائدة الى فروع الصيدلة اجمالاً جاءت هذه المصطلحات مشدهة مغلوطة لأن الأطباء أنفسهم لا يحسنون هذا الوضع ، كيف لا ووضع المصطلحات يتطلب شرطين اساسيين لا بدَّ من توفرهما في الواضع اولها اتقان العلم الذي يضع مصطلحاته وثانيهما اتقان اللغة التي ينقل منها واليها هذا المصطلح ولا يسهل توفر هذين الشرطين في غير علماء هذا الفن فأملنا ان يتابع الأستاذ العالم جهاده وان يتحفنا قريباً بقاموسه الفريد وفقه الله في عمله وأفاد العلم والعالم العربي بأمثاله

الدكتور مرشد خاطر

موجز في الكيمياء الحيوية لشعبة طب الأسنان

تأليف الدكتور في الصيدلة والكيمياوي محمد صلاح الدين الكواكبي

يقع هذا الكتاب في ١٤٥ صفحة من قطع الثمن وقد طبع في مطبعة الجامعة السورية بدمشق في سنة ١٩٤٦ وزين بخمسة وعشرين رسماً وهو بحث مقتضب في علم الكيمياء الحيوية وضعه المؤلف لطلبة طب الأسنان في كلية الطب بدمشق جاء فيه بزبدة هذا العلم التي لا غنى لطبيب الأسنان عن معرفتها في سياق ممارسته . وقد أحسن المؤلف كل الاحسان في اختيار الموضوعات المفيدة من هذا العلم وصوغها بقالب سهل المأخذ واهمال ما هو أقلّ شأناً منها فجاء في الفصل الأول في بحث الهبوليات (بروتيد) ذاكراً خواصها وتفاعلاتها وتصنيفها وتطبيقاتها العمليه . وبحث في الفصل الثاني عن الدم وكواشفه وسكر الدم ومعايرته وبولة الدم ومعايرتها واملاح الكلور في الدم وعيارها وخمائر الدم وكرياته الحمر والبيض وغير ذلك من الأبحاث التي لا غنى لطبيب الأسنان عنها . وتكلم في الفصل الثالث عن الاختمار والخمائر وانواعها . وفي الفصل الرابع عن الكبد ووظائفها . وفي الفصل الخامس عن الصفراء ووظيفتها في الهضم وفي الفصل السادس عن اللعاب وعصارة المعدة وخمائر هذه العصارة وفي الفصل السابع عن عصارة المعثكلة (البنكرياس)

وفي الفصل الثامن عن البول في الحالتين العادية والمرضية وطرائق كشف العناصر المرضية في البول وفي الفصل التاسع والأخير عن تركيب العظام والأسنان .

ولغة الكتاب صحيحة فصحى والمصطلحات الجديدة حسنة الوضع والأبحاث العلمية على الرغم من اقتضابها سهلة المنال ووافية .

ولواضع هذا الكتاب مؤلفات اخرى عديدة تدل على طول باعه وسعة علمه نذكر من المطبوع منها الموجز في بحث السموم ، والحبابات الدوائية ، والحموضة والقلوية ، وصناعة حمض الليمون ، والسيمياء الحديثة ، والحيوينيات (الفيتامينات) والموجز في الكيمياء الحيوية الطبية العملية (٣ أجزاء) وغيرها من المؤلفات التي أعدّت للطبع وكلها تشهد بسعة علم المؤلف وتضلعه من اللغة التي يكتب بها

م . خ

J. Cantineau - Les parlers arabes du Horan

اللهجات العربية في حوران للأستاذ ج . قانطينو ، يقع في (٤٣٥) صفحة من القطع المتوسط ومعه ملحق ضمنه خرائط جغرافية لمناطق هذه اللهجات . طبع في باريز عام ١٩٤٦ .

http://Archivebeta.Sakhrit.com

سبق للأستاذ المؤلف ان عالج مثل هذا الموضوع في كتابه عن اللهجة العربية في تدمر ، ودراسته هذه عن اللهجات العربية في حوران فاقت ما سبقها من دراسات سعة وتدقيقاً .

ان هذه الأبحاث على وفرة الزاهدين فيها هي من الدراسات المفيدة وفيها خدمة جليلة لكل من يرغب بدراسة اللغات السامية والتعمق فيها . لقد احتفظت اللهجات العامية ببعض المصطلحات والأوزان والصيغ اللغوية القديمة التي لا نجد اصولها في اللغات الفصحى ولا نهتدي الى تعليلها من كتب اللغة . ومن المفيد ان تدون هذه اللهجات للرجوع اليها ، لاسيما وهي صائرة الى الاضمحلال بتأثير وحدة الثقافة وسرعة المواصلات وسهولة الانتقال واختلاط السكان .

نشكر المؤلف على جهده وعنايته .

جعفر الحسني

J. Sauvaget : Introduction à l'histoire be l'Orieut musulman . Elements de bibliographie

في (٢٠٢) صفحة من القطع المتوسط · طبع في باريز عام ١٩٤٦

لقد سبق للأستاذ صلاح الدين المنجد ان عرّف قراء العربية بهذا الكتاب ونوه بمكانة مؤلفه العلمية حينما اقتبس منه فصليه الثاني والثالث وعربهما في كتابه (رائد التراث العربي) الذي قرظناه في أحد اعداد هذه المجلة · وما قلناه في الفرع يصح قوله في الأصل · لقد عرفت دمشق الأستاذ (سوفاجه) مؤلف هذا الكتاب مدة طويلة وعرفت فيه سعة علمه ودقة بحثه وانصافه في الحكم ، وحسن دعايته لتاريخ هذا الشرق · وقد توقع له من عرفوه وقتئذ مستقبلاً علمياً زاهراً في خدمة عالم الاستشراق · وقد حقق الاستاذ فراستهم في نشاطه العلمي وحسن اختيار أبحاثه · وكتابه هذا هو خير ما يهدى الى رواد تاريخ الشرق الاسلامي من عرب ومستشرقين ، يجدون فيه التوجيه الصحيح وحسن الاختيار وجودة الانتقاء في كل ما يرشدهم اليه من مصادر قيمة قد يغفل عنها أنبه الباحثين ·

ج · ع

خزائن الكتب القديمة في العراق

من أقدم العصور حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

تأليف الأستاذ كوركيس عواد

عدد صفحاته ٣٤٦ ، بأبعاد ٢٤ × ١٧ مم ، طبع بمطبعة المعارف ببغداد سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م يحتوي هذا الكتاب على اربعة ابواب ، فيشتمل الباب الأول على مباحث تمهيدية ، كالوراقة والوراقين ، ووقف الكتب ، وحرقها ، وغرقها ، واغراقها ، ودفنها ، وغسلها ·

ويشتمل الباب الثاني على ذكر خزائن كتب العراق قبل الميلاد ، فذكر مؤلفه

خزائن نفر ، دريهم ، نينوى ، مدينة أدب ، سپار ، الجمجمة ، كبش ، تلو ، الوركاء ، تل قره قل ، آشور ، نوزي ، والمدائن .

وذكر المؤلف في الباب الثالث ، خزائن كتب العراق بعد الميلاد ، فأورد خزانة مرقد النبي حزقيال ، وكتب الديارات .

واما الباب الرابع وهو اوسعها ، فقد ذكر فيه خزائن كتب العراق في العصر الاسلامي ، وقسم هذا الباب الى خمسة أقسام ، فذكر في القسم الأول خزائن كتب الخلفاء ببغداد ، فبدأ بخزانة المنصور ، وانتهى بخزانة المستعصم بالله .

وعدد في القسم الثاني خزائن كتب الملوك والسلاطين ، فذكر خزائن عضد الدولة البويهي ، الملك العادل نور الدين ارسلان شاه بالموصل ، وبدر الدين لؤلؤ بالموصل

وأورد في القسم الثالث خزائن الكتب العامة القديمة في العراق ، فذكر خزائن المساجد ، المدارس ، الربط ، دور العلم ، وغيرها

وذكر في القسم الرابع خزائن كتب الوزراء في العراق ، فبدأ بخزانة يحيى البرمكي ، وانتهى بخزانة علاء الدين عطا الجويني

وختم الباب الرابع بذكر خزائن الكتب الخاصة ، منذ صدر الاسلام حتى سنة ١٠٠٠ للهجرة

وأتبع هذه الأبواب بملاحظات ، واستدراكات ، وثمانية فهارس : لأعلام الناس ، الأقوام والملل والجماعات ، الأمكنة والمواضع ، خزائن الكتب ، اسماء الكتب والرسائل والمقالات والمجلات باللغات الشرقية ، المراجع الأجنبية ، الألفاظ الدخيلة والمصطلحات ، ومحتويات الكتاب .

وبالختام فالكتاب يشهد للمؤلف ببذل الجهد والصبر ، في التنقيب والبحث ، في بطون الكتب القديمة والحديثة ، الشرقية والغربية ، فاستحق شكر الباحثين ، وثناء المطالعين .

عمر رضا كحالة

آراء وأنباء

الأب أنستاس ماري الكرمليّ

(١٨٦٦ — ١٩٤٧)

١ — موجز تاريخ حياته

كان اسمه قبل أن يترهّب، «بطرس بن ميخائيل جبرائيل عواد». وقد وُلد ببغداد في ٥ أغسطس ١٨٦٦، من أبٍ لبناني وأمّ بغدادية. وتلقّى العلم في مدارس بغداد، ثم عند الآباء اليسوعيين ببيروت، وأخيراً في بعض بلاد الغرب، ولا سيما في دير الكرمليين في شفرمون بيلجيكا. وقُس هناك سنة ١٨٩٤، فاتخذ له اسماً عُرف به، وهو «الأب أنستاس ماري الكرملي». ثم آبَ الى وطنه بعد أن زار في طريقه بلاد الأندلس.

وكان الأب أنستاس، خلال دراساته وتتبعاته، قد أتقن العربية والفرنسية. كما انه درس اللاتينية واليونانية. وتوغّل في فلسفة اللغة العربية توغلاً عظيماً، وأمعن في تحليل مفرداتها، ومعرفة أصولها واشتقاقاتها، وعُنيَ عنايةً فائقة بمقابلة ألفاظها بألفاظ غيرها من اللغات. فكان له في كلّ هذه الميادين القدح المعلّى، وتوصّل الى نتائج خطيرة الشأن.

وقد دفعت به هذه المواضيع، الى الأخذ بأطراف جملة من لغات الشرق الأدنى، كالسريانية والعبرية والحبشية والمندائية والفارسية والتركية. كما حملته على ان يلمّ بغير ما ذكرنا من لغات الغرب، كالانكليزية، وقوّته في الفرنسية جعلته يفهم الايطالية والاسبانية.

حظي الأب أنستاس بمكانة رفيعة بين العلماء والباحثين من مختلف الأقطار. فراسله جماعة كبيرة من علماء الشرق والمستشرقين. وكان، رحمه الله، قد تفضّل فأهدى الينا مجموع هذه الرسائل التي تواردت اليه منهم خلال خمسين عاماً، اعني منذ سنة ١٨٩٦ حتى ١٩٤٦. وفي هذه الرسائل من الفوائد التاريخية واللغوية وغير ذلك شيء كثير[١].

ان علم الأب أنستاس وفضله، حملا الهيئات العلمية على تقديره. فانتخب عضواً في «المجمع العلمي العربي» بدمشق، وفي «مجمع فؤاد الأول للغة العربية» بالقاهرة، وفي «لجنة التأليف والترجمة والنشر العراقية» ببغداد.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣ — خصومات أدبية

كان حرص الأب على العربية وتعلّقه بها، يتعدّيان حدود الوصف. فهو طوال حياته سيفٌ مصلت على رؤوس مَن يناوئ هذه اللغة أو يحطّ من قدرها أو يستصغر شأنها. وله في ذلك مواقف جليلة خطيرة، تجعله في طليعة الأبناء البررة لهذه اللغة.

وقد كان في كثير من ردوده ومناظراته، لا سيما إذا كانت حجته قوية بيّنة، لا يعرف الهوادة ولا اللين. فكان ينشر نقداته في المجلات، فيحمي

(١) نشر كاتب هذه السطور، كوركيس عواد، وأخوه ميخائيل عواد، «رسائل أحمد تيمور الى الأب أنستاس الكرملي» (بغداد ١٩٤٧). وقد اعدّا للنشر ثلاث مجاميع أخرى من تلك الرسائل، وهي التي كتبها «السيد محمود شكري الآلوسي»، و«أحمد زكي باشا»، و«الأمير شكيب أرسلان».

وطيس الأخذ والردّ بينه وبينهم، وقد يشتطّ الطرفان في المخاشنة، وقد يبلغ بها الأمر أحياناً الى الاسفاف في الكلام ...!

وسيسجّل تاريخ الأدب العربي في بعض صفحاته، هاتيك الخصومات الأدبية، بين الأب انستاس وبين غير واحد من الكتّاب. وإن ننس لا ننس ما دار من مناظرات بينه وبين أمين ظاهر خير الله، والأب لويس شيخو، وأسعد خليل داغر، وجبر ضومط، والدكتور أمين المعلوف، ووحيد الأيوبي، وغيرهم ممن لا يسعنا ذكرهم.

٣ — مؤلفاته

زاول الأب أنستاس الكتابة، وهو في مقتبل العمر. فقد نشر أولى مقالاته في جريدة «البشير» البيروتية منذ سنة ١٨٨٣. وظلّ يبحث ويؤلف حتى آخر عمره. ولقد قرأنا له مقالاً في إحدى المجلات، قبل وفاته بأيام معدودات! فيكون قد أفنى من عمره في البحث والتأليف أربعاً وستين سنة، كتب في خلالها نيفاً وألف مقالة، وطبع جملة كتب، ونشر جريدة ومجلتين، وصنف مصنفات أخرى عديدة، ما زالت مخطوطة.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ويدور أغلب مؤلفاته على مباحث شرقية، في اللغة والتاريخ والتراجم والبلدان والأقوام والملل ووصف الكتب، والحيوان والنبات والأحجار، والنُّمّيات والآثار والخطط، وغير ذلك مما يتعذّر حصره حصراً تاماً.

كانت «مقالاته» متعددة المناحي، وقد أكثر منها إكثاراً عظيماً، حتى قلما نجد مجلة عربية ذات شأن، إلا واسم الأب أنستاس يتوج مقالات فيها. والذي أحصيناه من تلك المجلات جاوز خمسين مجلة، تصدر في بلدان مختلفة، كبغداد ودمشق وبيروت والقاهرة.

انّ تلك المقالات، قد اهتمّ بها العلماء والباحثون أيما اهتمام، ونُقل بعضها الى أشهر لغات الغرب، كالألمانية والفرنسية والانكليزية والروسية.

وعندنا، ان مقالاته لو جُمعت كلها في كتب، لقام منها عشرة مجلدات ضخام على أقل تقدير .

أما «الكتب» التي طبعها، فهي على نوعين :

الأول: كتب ورسائل في الدين والمواعظ، طُبعت في بغداد وبيروت . وهذه التآليف لا شأن لنا بها في هذا المقام .

الثاني: مباحث تاريخية ولغوية متنوعة، بعضها من تأليفه، وبعضها مما عُني بنشره . وسنذكرها ها هنا بحسب تواريخ نشرها :

١ — نخبة من كتاب العروج في درج الكمال والخروج من درك الضلال : كُتب في صدره انه لأبي الخير فهر بن جابر المشكل بن عائذ بن جاهل بن فاتك ابن عدي بن عمار الطائي، المتوفى سنة ٣٢٦ هـ . (بيروت ١٩٠٨) .

٢ — الفوز بالمراد في تاريخ بغداد . (بغداد ١٩١١) .

٣ — بحث في اليزيدية بالفرنسية، نشره في المجلد السادس من مجلة Anthropos الصادرة في ڤيَنّة بالنمسة، سنة ١٩١١، ثم طُبع على حدة . وهذا عنوانه :

La découverte récente des deux livres sacrés des Yézidis . (Wien , 1911) .

٤ — كتاب العين : للخليل بن أحمد، المتوفى سنة ١٧٤ هـ . (طُبع منه ببغداد سنة ١٩١٤، نحو ١٤٤ صفحة . ثم جاءت الحرب الكبرى الأولى، فحالت دون إكمال طبعه) .

٥ — خلاصة تاريخ العراق منذ نشوئه الى يومنا هذا . (البصرة ١٩١٩) .

٦ — ترجمة حياة الأب ماريا يوسف، رئيس الرسالة الكرملية في بغداد من سنة ١٨٥٨ الى ١٨٩٨ . (نقله الى العربية، وطبعه ببغداد سنة ١٩٢٩) .

٧ — الإكليل : للهمداني، المتوفى سنة ٣٣٤ هـ . (الجزء الثامن . بغداد ١٩٣١) .

٨ — أغلاط اللغويين الأقدمين . (بغداد ١٩٣٢) .

٩ — تذكرة الشعراء، أو شعراء بغداد وكتّابها في أيام وزارة المرحوم

داود باشا والي بغداد في حدود سنة ١٢٠٠ الى سنة ١٢٢٦ للهجرة : تأليف عبد القادر الخطيبي الشهرباني · (بغداد ١٩٣٦) ·

١٠ — رسالة في الكتابة العربية المنقحة · (بغداد ١٩٣٦) ·

١١ — نشوء اللغة العربية ونموّها واكتهالها · (القاهرة ١٩٣٨) ·

١٢ — نخب الذخائر في أحوال الجواهر : لابن الأكفاني السنجاري ، المتوفى سنة ٧٤٩ هـ (القاهرة ١٩٣٩) ·

١٣ — النقود العربية وعلم النميّات · (القاهرة ١٩٣٩) ·

١٤ — بلوغ المرام في شرح مسك الختام في مَن تولى مُلك اليمن من مَلِك وإمام : للقاضي حسين العرشي ، المتوفى بعد سنة ١٣٣٠ هـ · (القاهرة ١٩٣٩) ·

كما انه أنفق على طبع الجزء التاسع من « الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السيَر » لابن الساعي المؤرخ البغدادي ، المتوفى سنة ٦٧٤ هـ · وقد حقق هذا المجلد الدكتور مصطفى جواد · (بغداد ١٩٣٤) ·

والذي ينبغي علينا ذكره في صدد هذه الكتب ، انه عزّز أكثرها بالحواشي والتعليقات المفيدة ، وذيّلها بالفهارس الكاملة المتنوعة · وفي هذا خدمة جليلة للقراء والباحثين ·

وأما « الصحف » التي أصدرها ، فهي :

١ — لغة العرب : أصدر منها تسعة مجلدات كاملة ، ظهرت خلال السنوات ١٩١١ — ١٩١٤ و ١٩٢٧ — ١٩٣١ · وهي من أنفس المجلات العربية وأغزرها مادة ·

٢ — دار السلام : وهي مجلة أسبوعية تبحث في التاريخ والآداب وتلخص أهم الأخبار السياسية · صدر منها نحو أربعة مجلدات خلال ١٩١٨ — ١٩٢٢ ·

٣ — العرب : وهي جريدة سياسية ، أصدرتها الحكومة المحتلة ، وأشرف على تحريرها سنةً ونيفاً · ظهر عددها الأول في ٤ تموز ١٩١٧ · ولم يكن اسم الأب يذكر فيها ·

أما مؤلفاته الخطية ، فعديدة بعضها كامل وبعضها لم يكمل . وقد فُقِد جانب منها . والذي وقفنا عليه منها : تراجم عراقيين عصريين وغيرهم من مشاهير العرب . مزارات بغداد . أغاني بغدادية عامية . ديوان التَفْتاف (والتفتاف ، لاقوط الحكايات من أفواه النساء . جمعها على لغتها العامية الاسلامية البغدادية) . أرض النهرين [1] . الأنباء التاريخية . كشكول المحققين من المؤرخين واللغويين . اللُمع التاريخية والعلمية (مجلدان) . المراسلات الماربنية . ثَبَت الكتب الخطية المحفوظة في خزانة مبعث الكرمليين في بغداد (٣ مجلدات) . متفرقات تاريخية . خواطر علمية وسوانح دينية ومنشورات أدبية ولغوية وتاريخية . مختارات المفيد . المجموعة الذهبية . أسرار الموازين والجوع (لم يكمل) . العجائب اللغوية (لم يكمل) . أديان العرب (لم يكمل) . تاريخ الكرد . الغُرَر النواضر والدُرَر الزواهر . النغم الشجي في أغلاط الشيخ ابراهيم اليازجي . كتاب حشو اللوزينج . الشوارد اللغوية في الأشعار البدوية . أمثال بغداد والموصل العامية النصرانية مع حكايات عامية أيضاً . فوائد الشرائد أو الشوارد (لم يكمل) . بدويات الخاطر (لم يكمل) . السحائب (لم يكمل) . جمهرة اللغات (لم يكمل) . الرغائب (لم يكمل) . الغرائب (لم يكمل) . معين المحقق ومعين المدقق (مجلدان . الأول مفقود) . مجموعة في الأغاني العامية العراقية . اليزيدية [2] . العرب قبل الأسلام . معجم في موافقة اللغة العربية للغات الشرقية والغربية .

على انّ أجلّ مؤلفاته الخطية وأعظمها قدراً ، هو معجمه الكبير الموسوم بـ « المساعد » . فقد سلخ شطراً كبيراً من حياته في تأليفه . بل قلّ انه بدأ به منذ سنة ١٨٨٣ . وسبيله في تصنيف هذا المعجم ، انه اشترى في تلك السنة « محيط المحيط » لبطرس البستاني ، ووضع ورقة بيضاء بعد كلّ ورقة مطبوعة ،

(١) هو ترجمة كتاب : Edwin Bevan, The Lands of the Two Rivers. (London, 1918).

(٢) هذا الكتاب في ١١٠ صفحات من قطع الثمن الكبير . وقد أدرج كثيراً منه في مجلة « المشرق » في سنيها الأولى .

فتضاعف حجم الكتاب حالاً . وأخذ يقيّد في تلك الأوراق البيض ما وسعه أن يقيد حتى امتلأت او كادت تمتلئ ، ثم أضاف اليها مجلداً آخر .

ويظهر ان الأب أنستاس كان قد وسم معجمه أولاً بـ « ذيل لسان العرب »[1] . ثم عدل عن هذه التسمية الى « المساعد » .

وعندنا انه لو أعيد النظر في مسوداته ونُظمت مفرداته بحيث يسهل طبعها ، لسدّ فراغاً بيّناً في الخزانة العربية ، ولاستخرج منه الكتّاب والباحثون أجزل الفوائد . وهذا المعجم وقفنا عليه ورجعنا اليه غير مرة في حياة مؤلفه . نرجو أن تُعنى هيئة علمية بتمحيصه وطبعه ، فتسدي الى لغة الضاد خدمة جليلة .

٤ — تواقيعه المستعارة

وقد يدهش القارئ إذا قلتُ ، إن أكثر من نصف مقالات الأب أنستاس ، المنشورة في المجلات ، لم تكن تُقرأن باسمه « الصريح » بل نُشرت بتواقيع « مستعارة » .

وأرى مفيداً في هذا المقام ، أن أعدد أشهر هذه التواقيع التي ذيل بها مقالاته ، فان كثيراً من القراء قد لا يعلمون ان تلك المباحث من قلمه . والذي أحصيناه من تلك الأسماء جاوز خمسة وعشرين ، هذه أهمها مع ذكر المجلات التي وردت فيها .

١ — أحد القراء : له بهذا التوقيع ، مقالات في « المقتبس » و « المقتطف » .

٢ — أمكح : (وهو مقتطع من الحروف الأولى لاسم « الأب أنستاس ماري الكرملي الحافي » . وتُطلق لفظة « الحُفاة » على الرهبان الكرمليين ، لأنّ من رسمهم ان لا يلبسوا جوارب ولا أحذية ، بل ينتعلوا خفاً بسيطاً) . له بهذا التوقيع مقالات في « المقتطف » .

٣ — باحث : له بهذا التوقيع مقالات في مجلة « المباحث » .

٤ — بعيث الخضري[2] : « المشرق » و « المسرة » و « صوت الحق » .

(١) راجع : لغة العرب (٧ [١٩٢٩] ص ٨٣٣ — ٨٤٣) .

(٢) تعريب اسم « أنستاس » .

٥ - ساتسنا[1] : « المقتبس » و « الزهور » و « المسرة » و « المقتطف » .

٦ - فهر الجابري : « الزهراء » و « المقتطف » و « الهلال » .

٧ - كلدة : « المقتطف » و « مجلة المعلمين » ببغداد .

٨ - مبتدئ : « مجلة المرأة الجديدة » و « المباحث » .

٩ - متطفّل : « مجلة المعهد الطبي العربي بدمشق » .

١٠ - حقّق : « مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق » .

١١ - معتدل : « الاعتدال » النجفية .

١٢ - مستفيد : « المقتطف » .

١٣ - مستهلّ : « الهلال » .

على ان المقالات والنبذ المختلفة ، التي نشرها في مجلتيه « لغة العرب » و « دار السلام » ، كانت غفلاً من اسمه الصريح ومن توقيعه المستعار . فكل شيء في هاتين المجلتين لا يُنسب الى كاتب بعينه ، فهو من قلم الأب أنستاس .

وكان يصدّر تعليقاته على بعض مقالات « لغة العرب » أو إجاباته فيها على ما يرده من أسئلة ، بحرفي (ل . ع .) . وهما الحرفان الأولان من اسم تلك المجلة .

٥ - خزانة كتبه

ولعلّ من مفاخر العلم ، هذه الخزانة الجليلة الحافلة بأمهات الكتب وأعيان المؤلفات المطبوعة والمخطوطة . وقد أنشأ هذه الخزانة ببغداد ، في سنة ١٨٩٤ . وهي اليوم من أوسع خزائن الكتب القائمة في العراق وأنفسها . بلغ عدد كتبها الى آخر عمره ، زهاء خمسة عشر الف مجلداً . منها نحو ١٥٠٠ مخطوط ، وبين هذه المخطوطات الفريد والنادر .

وكان أصاب هذه الخزانة محنة قاسية جداً ، حين نُهبت كتبها في ٧ آذار

---

(١) مقلوب اسم « أنستاس » .

١٩١٧ . فكانت الخسارة بنهبها عظيمة . وقد وفق الأب أنستاس ، فيما بعد ، لاستعادة جملة من تلك المنهوبات . كما انه شمّر عن ساعد الجدّ وبذل الغالي والرخيص في اقتناء المطبوعات والمخطوطات ، حتى أضحت من أحفل خزائن العراق بالكتب النفيسة .

صنف الأب أنستاس ، ثَبَتًا موجزاً في وصف مخطوطات هذه الخزانة ، لم يُطبع .

والكتب المطبوعة في هذه الخزانة لا يمكن حصر نفائسها في هذه العجالة . ففيها مجاميع كبيرة للمعاجم العربية وغير العربية ، ولكثير من التآليف العربية التي طبعها المستشرقون في ديار الغرب . وفيها جملة صالحة من تصانيف الافرنج الباحثة في شؤون الشرق ، ولا سيما العراق . هذا الى طائفة حسنة من الأسفار الموضوعة بالفارسية والتركية والسريانية .

أما مخطوطات هذه الخزانة ، فالكلام عليها يطول . والذي يحسن ذكره منها في هذه العجالة :

كتاب الزهرة : لأبي داود الاصفهاني (النصف الثاني [1] . وهو نسخة قديمة جداً) . العين للخليل بن احمد . كتاب السموم لشاناق الهندي . ديوان الأدب للفارابي . الخصائص لابن جني . سر الصناعة له . الحماسة لأبي تمام (تاريخها ٥٠٤ ﻫ) . المستقصى في أمثال العرب (٦٠٧ ﻫ) . الشفاء لابن سينا (الجزء الثاني ٦٣٤ ﻫ) . المختار في الطب (٦١٠ ﻫ) . الصحاح للجوهري (٦٠٣ ﻫ) .

وكان الأب أنستاس ، قد وقف هذه الخزانة الشرقية ، على « دير الآباء الكرمليين » ، ببغداد ، وهي محفوظة اليوم في هذا الدير .

(بغداد) كوركيس عواد

(١) النصف الأول من هذا الكتاب ، طبعه المعهد الشرقي في جامعة شيكاغو ، سنة ١٩٣٢ .

تمويه الحقائق

قرأت في مجلة لاروس الباريزية — وهي دائرة معارف تصدر كراريس كراريس — فصلاً عنن له كاتبه «العالم العربي» جاء فيه حقائق، وتمويهات لا يكاد يسلم منها كاتب يمت الى السياسة الاستعمارية بصلة . وصف العالم العربي وصفاً مختصراً، ورأى انه عبارة عن مصر والشام والعراق والحجاز واليمن ونجد، تبلغ مساحته السطحية ثلاثة ملايين كيلو متر مربع سكانها اربعون مليوناً، وبذلك أخرج من المجموعة العربية سكان الامارات العربية المنبثة على شواطئ المحيط الهندي والخليج الفارسي وسكانها بضعة ملايين من الأنفس كما أخرج خمسة أقطار عربية في شمالي افريقية (برقة وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش) وسكانها خمسة وعشرون مليوناً وهنالك بضعة ملايين من السودانيين في افريقية اصولهم عربية ويتكلمون بالعربية اي ان السياسة أوحت الى كاتب المقالة أن يخرج من العرب أكثر من أربعين مليوناً فقط . فانظر كيف يكتبون اهم كتبهم واندب حظ العربي فيها اذا دعت فيها مناسبة للكلام عنه وعن ماضيه وحاضره .

ومن أغرب التمويه الذي وقع لهذا الكاتب ان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية ثم توات مصر كبرها وهي نغمة طالما رددها بعض جهلة اللبنانيين فزعموا ان لبنان سبق مصر الى التمدن وانه هو الذي علمها ومدنها مع ان مصر تقدمت لبنان الى العلم بنحو جيلين . والدليل ان مدارس الطب واللغات والترجمة والادارة والصنائع والهندسة في مصر أنشئت قبل انشاء الجامعتين الأميركية واليسوعية في بيروت بأكثر من خمسين سنة وما كان في لبنان ولا في سورية وفلسطين قبل أن تنهض مصر من يقيم للعلوم المادية وزناً . وبينا كانت كتب الطب والزراعة والحيوان والنبات والكيمياء والفنون الحربية والتاريخ والجغرافيا وغيرها تتناقلها الأيدي في العالم العربي، وهي من تعريب المصريين الذين تعلموا في أوربا على عهد حكومة محمد علي الكبير — كان ابن لبنان لم يصل الى أكثر من السواعية .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

ومن أشنع السخافات دعوى أحد أساتذة السوربون مؤخراً في جريدة لنوفيل ليتربر ان البربر هم أصحاب المدنية في شمالي افريقية والأندلس وما العرب الفاتحون الا شراذم من السلبة المشردين تعلموا في طريقهم الى فتح الغرب بعض ما عند أهله كما تعلم أبناء جنسهم في فتح فارس من الفرس أشياء أعانتهم على تأسيس مملكتهم الجديدة فقامت اذاً المدنية الأندلسية والمدنية الافريقية في تونس والجزائر ومراكش بفضل البربر فقط . ومن العجيب ان من يدعون لهم هذا الفضل في التمدين لم تعهد لهم مدنية قبل الاسلام في شمالي افريقية ولا شيء من بقايا حضارة بعد سقوط دولة العرب في الاندلس وسقوط دول الغرب الأقصى والأدنى في افريقية .

كذب مفضوح قاله الأستاذ السوربوني ولا يليق صدور مثله ممن يحمل اسم استاذ من أعظم جامعات العالم ولذلك نرى من واجبنا ان يشك كل عربي وكل مسلم في أكثر ما يصدر من الأحكام عن الفرنسيين على الاسلام والمسلمين ذلك لأنه ثبت ان من الفرنسيين من لا ينظرون الى كل أمر إلا بمنظار الاستعمار .

محمد كرد علي

نظرات في ذيل الروضتين

لأبي شامة المقدسي

اطلعتُ في هذه الأيام على كتاب « ذيل الروضتين » لأبي شامة المقدسي ، وقد نشره الأستاذ السيد عزّة العطار الحسيني ، وقام على نشره الاستاذ محمد زاهد بن الحسن الكوثري ، والظاهر أن حرف الزاي في أواخر تعليقات الكتاب القليلة رمز الى اسمه ونشر الكتاب على هذه الصورة خير من بقائه بين المخطوطات الصعب الحصول عليها .

وقد جاء في آخر الكتاب « ص ٢٨٦ » أنَّ نسخته المطبوعه هذه معتمد فيها

على نسخة دار الكتب المصرية ونسخة الخزانة التيمورية ، وكان الناشر حرياً أن يطلع على النسخة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بباريس .

طالعتُ هذا الذيل وأكثر حوادثه مأخوذة من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي — كما يعلمه القائم على طبعه وكل قارئ لمرآة الزمان — وأنا بعيد عن المراجع التاريخية والأصول التحقيقية ، فوجدتُ فيه هنوات يمكنني أن اعتمد في إصلاحها على حافظتي ، أما الامور التي تحتاج الى فضل تحقيق وزيادة تدقيق فقد أرجأت الكلام عليها الى وقت آخر .

١ — ورد في ص ٦ س ١٣ « فأقام في دار درب الديوان » يعني ابن الجوزي حين نُفي الى واسط ، والصواب « في درب الديوان » أو « بدرب الديوان » لأن درب الديوان من الدروب المشهورة المعروفة في خطط واسط ، ولم تنسب اليه دار قط ، بله أن ذلك مخالف لمصطلح القدم في تسمية الدور والقصور .

٢ — وجاء في الصفحة المذكورة س ٣٢ « أولم طغربل أعاد الغنائم الى بغداد » يعني بني سلجوق ، والصحيح « القائم » أي الخليفة العباسي القائم بأمر الله فانه هو الذي أعاده السلطان طغرلبك الى مقر خلافته لبغداد ، فالغنائم تصحيف القائم .

٣ — وجاء في ص ٩ س ١٧ « من دار الوزارة التي تقابل باب المتولي » والصواب « باب النُوبي » بضمّ النون وإسكان الواو وكسر الباء ، وهو من أبواب دار الخلافة العباسية في الجانب الشرقي من بغداد ، معروف في خطط بغداد ، مذكور في معجم البلدان وغيره من المعاجيم [1] .

٤ — وورد في ص ١١ س ٧ « وكان قد رآه عند الخريبة رجل كواز » والصحيح « الحربية » نسبة الى من اسمه « حرب » وهي من محال بغداد الغربية ، معروفة مشهورة مذكورة في خطط بغداد .

(١) للمراجعة في خطط بغداد يحسن بالمراجع أن يتصفح تاريخ الخطيب البغدادي « ج ١ » ومعجم البلدان لياقوت الحموي ومراصد الاطلاع لابن عبد الحق الحنبلي ومختصر مناقب بغداد و « بغداد على عهد الخلافة العباسية » لكاي لسترنج الانكليزي .

٥ - وفيها س ٢٢ « وفيها توفي أحمد بن عيسى الهاشمي والد الواثق بالله ويعرف بابن الغريق » والصواب « ولد الواثق بالله » أو « من ولد الواثق بالله » وهو شاعر عباسي واثقي مشهور ، وقد أعيد ذكره في الكتاب نفسه ص ٣٤ س ١٨ بصورة « أبي جعفر الواثقي » وله ترجمة في تواريخ بغداد منها تاريخ ابن الدبيثي .

٦ - وفي ص ١٢ س ١٢ « ودفن في الحلة » يعني الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد القادر الجيلي ، والصحيح « في الحلبة » بفتح الحاء واسكان اللام ، وهي الحلبة التي كان المأمون يجريها أيام اقامته وخلافته ببغداد ، وهي محلة معروفة جداً في خطط بغداد وفي الأخبار الأدبية والتواريخ .

٧ - وفيها س ١٤ « أبو المظفر عبد الله بن يونس بن أحمد الجيلي » والصحيح « عبيد الله ..... الحنبلي » وقد صحح الاسم في الفهرست « ص ٢٧٨ » الا أن النسب بقي على الخطأ ، فانه كان مشهوراً بالحنبلي ولم يكن جيلياً قط ، وترجمته مستفيضة في كتب التراجم .

٨ - وورد في ص ١٣ س ١٤ « الشيخ أبو علي الحسن بن مسلم الزاهد القادسي ، من قرية بنهر عيسى يقال لها القادسية » والصواب « الفارسي » بالفاء والألف والراء ، و « الفارسية » منسوبة الى الفارس ، وهي قرية معروفة لا شك في اسمها ولا في نسبة الشيخ المذكور اليها ، أما القادسية التي كانت داخل العراق فهي قادسية سامرا « سر من رأى » كانت جنوبي سامرا ولا تزال آثارها قائمة ، وقد ورد ذكرها في هذا الكتاب نفسه « ص ١٤٣ س ٢٣ » في هذه الصفحة « احمد بن محمد بن علي القادسي الضرير الحنبلي والد صاحب الذيل ... » .

٩ - وفيها أيضاً س ٣٠ « ابو الحسن علي بن جابر زهير قاضي البطائح » والصواب « جابر بن زهير » .

١٠ - وفيها س ٣٢ « وعاد الى البطائح فولي القضاء بالعراق » والصواب « بالغرّاف » بغين وراء مشدّدة ، مبالغة من الغارف ، وهو نهر مشهور متفرع من دجلة تحت واسط وفيه يقول شاعر القرن السادس :

كلٌّ من ولت سعادته فالى الغرّاف ينحدر

وكان اسمه يطلق على البلاد التي كان يسقيها ، فهذا معنى قوله « فولي القضاء بالغرّاف » . وقد ورد اسم الغراف في الكتاب نفسه ، ص ٥٤ س ٣١ في هذه الصفحة « عيسى بن يوسف بن أحمد الغرافي ، ولد بالغرّاف من أرض العراق » .

١٠ ب — وورد في ص ١٤ س ٢٠ « ابو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن زبادة الواسطيّ » والصحيح « ابن زبادة » بالزاي المفتوحة والباء وهي القطعة من « الزباد » نوع من الطيب يتخذ من دابة كالسنور يقال لها « قطّ الزباد » ، وقد ضبط اسمه ابن خلكان في الوفيات بما لا يحتاج الى بيان ، وترجمته مستفيضة في كتب التواريخ إلا أن الذي حاز فضل ضبط اسمه هو مؤلف الوفيات ـ رحمه الله ـ .

١١ — وورد في ص ١٨ س ١٢ « ومدرسة ابن النجيب » والصواب « مدرسة أبي النجيب » وهو أبو النجيب عبد القاهر السهروردي الصوفي المشهور ومدرسته معروفة في خطط بغداد ولا يزال قبره ظاهراً في بغداد بازاء دار الضباط التي على دجلة ، بالقرب من المجلس النيابي الحالي .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

١٢ — وجاء في ص ١٩ س ١٠ « محمد بن عبد المنعم بن أبي الفضائل الصوفي المهي شيخ رباط البسطامي » والصحيح « الميهني » نسبة الى ميهنة من بلاد العجم وهو رجل مشهور وعائلته معروفة عند مؤرخي بغداد قدمائهم ومحدثيهم .

١٣ — وورد في ص ٢٥ س ٢١ « شيخنا ضياء الدين ابن الجبير » والصحيح « ابن الحبير » تصغير الحبر وهو من فقهاء الشافعية ومدرسيهم المشهورين ببغداد ، وله ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي وأخبار في تواريخ بغداد .

١٤ — وفيها س ٢٥ « في خندق الظاهرية » والصواب « الطاهرية » بالطاء نسبة الى طاهر بن الحسين وهذا الخندق هو الذي كان يحدُّ الحريم الطاهري من جنوبيه ويفصله عن مدينة المنصور بالجانب الغربي من بغداد ، وهو مذكور في معجم البلدان ومراصد الاطلاع وغيرهما .

١٥ — وجاء في ص ٢٦ س ١٢ — ١٣ « فيقال إنَّ بني السهروردي حسدوه » والصحيح « ان بني الشهرزوري » لأن الحادثة جرت في الموصل وبيت الشهرزوري مشهورون في الموصل ، في الوجاهة والقضاء والسلطة ، ولم يكن لبني السهروردي أحد في الموصل ، حتى يقال ذلك فيهم وعليهم .

١٦ (أ) — وفي ص ٢٧س١٣ — ٤ « العماد الكاتب الاصطفهاني » وهو الاصفهاني ولعل ذلك من غلط الطبع الصناعي .

١٦ ب — وجاء في ص ٢٨ س ١٠ ما هذا نصه وصورة طبعه :

« وفيها توفي أبو منصور بن نقطة المزكلش ، كان يقول :

كان . وكان . لا يعرف الخطّ وهو أخو عبد الغني بن نقطة الزاهد ... » . وفصل الطابع للكلام بعد « بقول » يدلُّ على القول المألوف ، يؤيد ذلك وضع النقطتين المتراكبتين المفسرتين باصطلاح الغربيين ، وليس ذلك بالوجه فان مراد المؤلف هو أن أبا منصور بن نقطة المذكور كان ينظم الشعر المعروف بـ« كان وكان » وهو من الشعر العامي البغدادي المعروف كقول أحدهم :

يا قامي القلب مالك تسمع ولا عندك خبر

وعلى ذلك كان يجب الوصل بين السطرين والفعلين كان وكان ، ومنهم من يدخل على هذا الاسم « أل » ويقول « الكان وكان » :

١٧ — وورد في ص ٣٣ س ١٠ « في صحن السلم » وهو صحن السلام من صحون دار الخلافة ، وربما كانت كتابته في الأصل على هذه الصورة أعني « صحن السلم » ولكن الرسم العصري يقتضي أن تكتب « صحن السلام » لئلا يظن ظان يجهل خطط بغداد أنَّ صحناً من صحون دورها العظيمة مضاف الى السلم .

١٨ — وفي ص ٣٦ س ٢٤ « وفيها توفي أبو البركات محمد بن احمد بن سعيد البكري ويعرف بالمؤيَّد » . والصحيح « التكريتي » نسبة الى « تكريت » على دجلة فوق سامرا ولا تزال البلدة قائمةً ، وهذا الرجل مشهور مترجم في عدة

تواريخ منها تاريخ بغداد لابن الدبيثي ، ويذكر اسمه في الغالب مع أبياته المحتوية على التوجيه في هجو الوجيه .

١٩ - وفي ص ٥٢ س ٥ « وكان يزور جدّي بالنظامية ويسمع معنا الحديث » هذا قول سبط ابن الجوزي وجدّه أبو الفرج بن الجوزي ، وكان أبو الفرج حنبلياً وكانت النظامية مدرسة شافعية ولم يرد في سيرة أبي الفرج مايصح معه أن يقال إنه حدّث بالنظامية ولو ساعة بالحديث النبوي الشريف[1] ، فاللفظ مصحّف لا شك في تصحيفه ، ولو كانت المراجع في متناولي لذكرتُ الصحيح ، إلا أني أرى الأصل مستحيلاً .

٢٠ - وفيها أيضاً س ١٦ - ٧ « قلتُ هي الدار التي جعلها البازرائي رسول الخليفة مدرسةً للشافعية » والصواب « البادرائي » نسبة الى بادرايا من القرى الكبيرة التي في شرقي العراق الأوسط ، ولا تزال عامرة تعرف بـ « بَدْرة » والمدرسة البادرائية مشهورة جداً ، ثم إنّ ترجمة البادرائي هذا واردة في ص ١٩٨ من الكتاب نفسه فقد وردت في حوادث سنة ٦٥٦ وأولها « وفي يوم الأربعاء ثامن عشر ذي الحجة عمل صلاة الغالب عن الشيخ نجم الدين البادرائي هو ابومحمد عبد الله بن أبي الوفاء محمد ... وبنى بدمشق المدرسة المذكورة ، وهي مدرسة حسنة للفقهاء الشافعية ووقف عليها وقوفاً حسنة وجعل بها خزانة كتب جيدة ... » .

٢١ - وجاء في ص ٥٣ س ٤ « وخرج فلم يظهر خبره إلا من فراغه بعد مدّة وعاد الى بغداد » وفي أول الخبر « وفيها هرب أبو جعفر محمد بن حديدة الوزير الأنصاري » . والصحيح أنه « سعيد » لا محمد وأنّ خبره ظهر من بلدة « مَراغة » باذربيجان لا من فراغة ، وقد ورد في ص ٨٥ من هذا الكتاب صحيح اسمه واسم

(١) ومن نوع هذا الغلط ما ورد في مجلة العرفان ج ٤ شباط ١٩٤٨ ص ٥٢٢ للأستاذ البحاثة المحقق عيسى اسكندر المعلوف من أن سعدي الشيرازي درس على الامام أبي الفرج بن الجوزي في المدرسة النظامية ببغداد ، فهذا لا يصح أبداً لأن ابن الجوزي لم يدرس بالنظامية - كما ذكرنا - .

البلدة قال « وفيها توفي ابن حديدة الوزير واسمه سعيد بن علي بن أحمد ابو المعالي ولقبه معز الدين » الى أن قال في هربه « وخرج في زي النساء الى مراغة وأقام فيها حتى عزل ابن مهدي وعاد الى بغداد ... » وترجمة الرجل مشهورة ذكره ابن الدبيثي في السعداء من رجال بغداد والصفدي في السعدي والسعداء من الوافي بالوفيات ، وذكره ابن الطقطقي في الفخري مع وزراء الامام الناصر لدين الله ، وكان من كبار الحنابلة وأشراف الناس .

٢٢ — وفيها س ١٧ « وفيها توفي طاشتكين بن عبد الله المقتفوي أمير الحاج ولقبه فخر الدين حج بالناس ستاً وعشرين سنة » . والصحيح أن لقبه « مجير الدين » وهو الأمير الذي ذكره ابن جبير في رحلته عند الكلام على حجه سنة ٥٧٨ هـ وله ترجمة في عدة تواريخ ، منها فوات الوفيات وكامل ابن الأثير وقد أحسن ابن جبير الثناء عليه ، ومن الحق أنه كان من أكابر الأمراء وأماثلهم وصلحائهم .

٢٣ — وفيها س ٢٠ « وكانت الحلة الشيعية إقطاعه » والصواب « السيفية » نسبة الى سيف الدولة صدقة الأسدي المزيدي ، وقد ورد ذكرها على هذه الصورة في ص ٩ من الكتاب ففيها « وكانت وفاته بالحلة السيفية » على أن كون الحلة سيفية من الأمور المتعالمة المشهورة ، والغريب في هذا الأمر أن تكون شيعية أيضاً ، ولكنها لا تذكر في التواريخ بالشيعية أبداً .

٢٤ — وفيها س ٢٦ « وقام يوماً الى الوضوء فحل خياصته وتركها موضعه » . والصواب « الحياصة » بالحاء المهملة وهي في الأصل حزام الدابة ثم استعملت مكان المنطقة المزخرفة العريضة ، وقد وردت في شعر كمال الدين ابن النبيه :

يجذب أطرافه وحياصته فلاً بأ شد تحت هميانه

٢٥ — وفي ص ٥٤ س ٢٠ « قلت : يعني بالقبة التي في المدرسة المعروفة بالمعظمية » ولم يكن للقبة ذكر قبل هذا الكلام ، فلذلك يجب الحاق هذه الجملة بآخر الخبر أي بعد قوله « ودفنت بالجبل وفي تلك القبة معها أبناء المعظم

عيسى ... » وبذلك يصح قول المؤلف « يعني بالقبة » لأنه نقل الخبر من خط العز بن محمد تاج الأمناء .

٢٦ — وجاء في ص ٥٨ س ٩ « وفيها توفي اسماعيل بن علي أبو محمد الخطيري من خطيرة الاجيل » والصواب « الحظيري » بالظاء المعجمة و « حظيرة الدجيل » على أن الصحيح في ضبط هذا الاسم « دجيل » بلا تعريف ولكن المؤلف تساهل فيه كمن فعل قبله .

٢٧ — وفي ص ٥٨ س ٣٠ ورد اسم والد ابي الحرم مكي الماكسيني بصورة « ربان » بالباء الموحدة ، ونقل المصحح في الحاشية من ص ٥٩ من وفيات الأعيان أنه بالمثناة التحتية ثم قال « ولعل الصواب هو ما هنا » . وليس من الصواب الأخذ بقول أبي شامة وترك قول ابن خلكان في ضبط الاسماء التاريخية ، فان ابن خلكان كان متحرياً فيها مدققاً للنظر ، وكأنه اعتاد ذلك من أستاذه زكي الدين عبد العظيم المنذري - رحمه الله - فقد كان آية في الضبط الصحيح ومعرفة المؤتلف والمختلف .

٢٨ — وورد في ص ٦٦ س ٢ — ٣ « قبالة تربة الصفي بن العائص » والذي أحفظه هو « الصفي بن القابض » أي صفي الدين ابن القابض ، وهو من مشاهير رجال دمشق وتجارها الكبار [١] .

٢٩ — وفيها س ١٧ « وقرأ على ابن الخشاب وابن القصار » والصحيح « ابن العصار » وهو عبد الرحيم الأديب الراوية المشهور ، وكذلك ورد في غير هذا الموضع من الكتاب [٢] ، وله ترجمة في الوفيات وتاريخ ابن الدبيثي والوافي بالوفيات وغيرها .

٣٠ — وفي ص ٦٧ س ٢ — ٣ « قاضيها صدر الدين عبد الملك بن درباس الكردي » والصواب « درباس » بالباء ، وترجمته مشهورة في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ورفع الاصر عن قضاة مصر لابن حجر العسقلاني وغيرهما وقد ترجم ابن خلكان أخاه عثمان وكانا من الاكراد المارانية .

(١) كذا . والذي في مرآة الزمان ٨/٢٦٥ ان الصفي بن القابض كان وزير الصلاح الدين (المجمع)

(٢) راجع ص ٧٩ س ٦ ففيها « وقرأ اللغة على أبي الحسن بن العصار » .

٣١ — وفي ص ٧٠ س ١٩ « فألبسه اياها بقطعنا » وجاء في ص ٨٨ س ٢٨ « ودفن برباطه بقطعنا » والصحيح « بقطُفتا » بفتح القاف وضم الطاء واسكان الفاء وفتح التاء يليها ألف ، وهي القرى التي كانت عامرةً قبل بناء مدينة المنصور فلما بنيت هذه المدينة صارت من المحال المحادّة للكرخ من الجنوب الشرقي ، وتعرف اليوم بمحلة الفلاحات والحصّانة قرب تربة الشيخ معروف الكرخي . ذكرها ياقوت في معجم البلدان وابن عبد الحق في المراصد ولها ذكر كثير في التواريخ

٣٢ — وفيها س ٢٠ — ٢١ « ودفن عند باب جامع القصر الى جانب رباط الزوزني » . والصواب « جامع المنصور » لأنّ رباط الزوزني كان قرب باب جامع المنصور في الجانب الغربي من بغداد ، أما جامع القصر فقد كان في الجانب الشرقي ويفصل بين الجانبين نهر دجلة بله تباعد الموضعين أحدهما عن الآخر تباعداً ظاهراً .

٣٣ — وفيها س ٢٤ « وزاهر بن طاهر السحامي » والصواب « الشحامي » نسبة الى الشحّام ، وهو محدث مشهور ترجمه الصفدي وغيره من المؤرخين وجامعي وفيات المحدثين .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وجاء في ص ٧١ س ٣ « وجدت بخط الحافظ عبد العظيم المنذري أنّ الشيخ أبا عمر المذكور توفي ... » وهذا التعليق ملحق بترجمة « أبي حفص عمر بن محمد بن يحيى المعروف بابن طبرزد الدارقزي » . والصحيح الحاقه بترجمة الذى بعده وهو الشيخ أبو عمر شيخ الصالحية واسمه محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة.» فهو المكنى بابي عمر وهو الميت في التاريخ المذكور في الأصل المدفون في الموضع المشار اليه في الكتاب أعني جبل قاسيون .

ثم إن هذا التعليق يجب أن يكون في الحاشية ، لأنه ليس لأبي شامة وانما هو لأحد المعلقين ، وكذلك الأمر في التعليق الوارد في ص ١١٩ س ١٢ وأوله « ذكر الحافظ زكي الدين أنها توفيت في سادس عشر ذي القعدة من السنة وزاد غيره ... » وكذلك التعليق الوارد في ص ١٢٤ س ٢٢ ومنه قول المعلق

« قلت : ذكر الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري – رح – في كتاب الوفيات أنَّ صاحب آمِد المذكور توفي سنة تسع عشرة وستمائة وهو الصحيح وقد تصحف على صاحب هذا التاريخ سبع عشرة من تسع عشرة والله أعلم لقد رأيت بخط الشيخ زكي الدين أيضاً ... » وقد عنى بصاحب هذا التاريخ أبا شامة فهو إذن غير المؤلف .

٣٤ – وفي ص ٧٧ س ٢٢ « وجلست بباجرى » والصواب « بيا جسرا » وهي من قرى النهروان المشهورة في طريق خراسان للخارج من بغداد الى حلوان فبلاد العجم » ولها ذكر في معاجم البلدان وكتب المسالك والممالك والتواريخ واليها نسب جماعة .

٣٥ – وفي ص ٧٨ س ١٠ – ١١ « وقدمت خاتون بنت جلال الدين » والصواب « أم جلال الدين » كما في كامل ابن الأثير وسيرة جلال الدين خوارزمشاه لمحمد المنشي النسوي وغيرهما من الكتب ، وكذلك ورد الاسم في الصفحة نفسها س ١٩ و س ٢٥ و س ٣٠ .

٣٦ – وفي ص ٧٩ س ٥ « توفي أبو سعد الحسن بن محمد بن الحسن ويلقب بتاج الدين بن حمدون مصنف كتاب التذكرة » والصواب « ابن مصنف كتاب التذكرة » . فان والده محمداً هو الذي صنفها كما في وفيات الأعيان وحبس من أجلها حتى مات ، ولتاج الدين هذا ترجمة مفصلة في معجم الأدباء لياقوت وتاريخ ابن الدبيثي ، وله مؤلفات في الأدب والتاريخ .

٣٧ – وفيها س ٢١ « ثم بعثه في رسالة الى جزيرة ليس (؟) ومعه جماعة من الصوفية » . والصواب « جزيرة كيس » وهي من جزائر خليج العجم ، وتعرف أيضاً بقيس ، ولها ذكر في كتب البلدان والتواريخ .

٣٨ – وفي ص ٨٥ س ٢٤ « فالتجأ الى التربة الاخلاطية فلم ينفعه » والصواب « الى تربة الاخلاطية أو الخلاطية » وهي سلجوقي خاتون بنت قليج أرسلان

ملك بلاد الروم السلجوقي وتعرف بالاخلاطية والخلاطية، ولها ترجمة في الوافي بالوفيات وتاريخ الاسلام للذهبي، وكامل ابن الأثير في وفيات ٥٨٤ وكذلك وردت في هذا الكتاب نفسه ص ١٢ س ٩ «ولاه الخليفة المظالم وتربة الخلاطية» واليها نسب الرباط الوارد ذكره في ص ١٠٣ س ٢٠ — ١ «قد سلم الى بهاء الدين رباط الخلاطية وأوقافها ...».

٣٩ — وفيها ص ٨٨ س ١٦ «توفي ابو محمد عبد العزيز بن محمود بن المبارك البزّار المعروف بابن الأخضر». والصواب «البزّاز» بزايين، وهو رجل مشهور، كان بزازاً معروف الحرفة، ويؤيد ذلك ما ورد في ترجمته «وكانت له دكان بزقاق الريحانيين بخان الحسبة»، ترجمه ابن الدبيثي والصفدي وابن العماد الحنبلي وغيرهم وكان من أماثل الحنابلة ومؤلفيهم وكبار محدثيهم، ثقةً مأموناً.

٤٠ — وفي ص ٩١ س ٣ «ودفن بالوزيرية عند ابن فضلان». والصواب «الوردية» نسبة الى من اسمه ورد وهي من مقابر بغداد الشرقية، دفن فيها كثير من العظماء والفقهاء والصوفية، ومنهم شهاب الدين عمر السهروردي المشهور ولا يزال قبره ظاهراً معموراً، ولها ذكر كثير في خطط بغداد ووفياتها ويؤيد ذلك أيضاً ما ورد في هذا الكتاب نفسه «ص ١٥» ففيها س ٢٧ «وحمل الفقهاء جنازته الى الوردية» يعني ابن فضلان الذي أشار اليه المؤلف وهو أبو القاسم يحيى بن علي ابن الفضل، وقد ذكر عبد اللطيف البغدادي في ترجمة نفسه أنّ ابن فضلان هذا كان من أساتذته وله ترجمة في عدّة كتب.

٤١ — وجاء فيها أيضاً س ٢٢ «وكوسات ثكلي مشققة» والصواب «منكلي» وهو مملوك الملك أزبك الوارد ذكره في أول الخبر بهذه الصورة «دخل يوم الجمعة رأس منكلي مملوك السلطان ازبك ...». والرجل مشهور والنقد واضح فلا ثكلي في الخبر ولا أيّم.

٤٢ — وفي ص ١٠٣ س ٢٦ «فولى الخليفة القاضي الريحاني أمر الرباط»

والصحيح «الزنجاني» نسبة الى زنجان ببلاد العجم وهو محمود الزنجاني الذي صار قاضي القضاة بعدئذ وهو جدّ القضاة الزنجانيين بالعراق ، له ترجمة في طبقات الشافعية الكبرى وأخبار في تاريخ ابن الدبيثي الا أن الجزء الذي فيه ترجمته مفقود، وله أخبار في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب لابن الفوطي .

٤٣ — وورد في ص١١٣ س ٢٠ — ٢١ «وجاءت الفرنج فنزلوا على سمر ساح فأخلى لهم المسلمون الخيام ...» . والصواب «شرمساح» وهي بلدة مصرية قرب دمياط [1] ، لها ذكر في أخبار دمياط أيام حروب الفرنج المعروفين باوربة بالصليبيين ، وقد جاء في ص ١٨٤ س ١١ من الكتاب نفسه «كانوا اختفوا في منية عبد الله من ناحية شرمساح فأخذوا برقابهم» . واليها نسب القاضي الشرمساحي مدرس المدرسة المستنصرية ببغداد للطائفة المالكية .

٤٤ — وجاء في ص ١١٩ س ٧ «الشيخ أبو البركات داود احمد بن محمد ابن ملاعب البغدادي الملقب «بالزبيب» والصحيح «الزين» بالزاي والنون يعني «زين الدين» ، وقد مضى في الكلام على التكريتي أنه يعرف بالمؤيَّد» يعني «مؤيد الدين» هذا هو اصطلاحهم ، ومن الغريب أنّ المؤلف لضعف ذاكرته كرّر الترجمة في كتابه ص ١٢١ س ١٢ قال «توفي زين الدين أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي» ولكن القائم على طبع الكتاب نسي أيضاً فلم يستفد من التكرار فائدة .

٤٥ — وفي ص ١٢١ س ١٣ «المدير لمجالس الحكام بدمشق» والصواب «المُدير» من الادارة وهو الذي يطوف بمحاضر القضاة على الشهود ويديرها عليهم — كما في أنساب السمعاني — في مادة «م د ي ر» .

٤٦ — وفي ص ١٢٢ س ١٦ «فكاتب العلقمي — يعني وزير بغداد — عساكره ووعدهم بالبلاد فاتفقوا على قتله وبعث العلقمي اليهم» . والصواب «القُمّي» نسبة

(١) وقد صحح المشرف على هذا الكتاب ، هذا الاسم بـ «سرمساح» في ص ٢٨٠ .

الى بلدة قم وهو الوزير الخطير المشهور ، وله ترجمة في الفخري وتاريخ ابن الدبيثي وأخبار حسان في الحوادث الجامعة ومجمع الألقاب وغيرها ، وقد ورد ذكره في الكتاب نفسه قبل هذا « ص ٥٠ س ٢٦ » وأنشأ محمد بن محمد القمي الذي ناب في الوزارة » . ولم يكن العلقمي وزيراً للامام الناصر لدين الله ولا لابنه الظاهر ولا لابن ابنه المستنصر وانما صار وزيراً للمستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين .

٤٧ — وفي ص ١٢٤ س ٨ « الوزير ناصر الدين بن مهدي الذي ... » . والصحيح « نصير الدين » هذا لقبه واسمه « ناصر » فاذا جمع بينهما قيل « نصير الدين ناصر بن مهدي » . وأخباره في الفخري وكامل ابن الأثير والجزء التاسع من الجامع المختصر لابن الساعي وغيرها .

٤٨ — وورد في ص ١٣١ س ١٧ « فسمع أبا الفتح بن الميداني » . والصواب « المندائي » ويقال له أيضاً « الماندائي » نسبة الى طائفة الماندائية وهم الحرنانية الذين ذكرهم ابن النديم في الفهرست ، ويعرفون أيضاً بالصابئة ، ومنهم صابئة العراق الحاليين ، وأبو الفتح المندائي من بيت أسلموا بعد مندائيتهم ، استطرد الى ذكرهم ابن خلكان وترجم جماعة منهم ابن الدبيثي ، وهذا المحدث مشهور منهم .

٤٩ — وجاء في ص ١٤٤ س ١٣—١٤ « فما لنا بالكرج طاقة وبعد اما تفوت » . والصواب « وبغداد ما تفوت » لأن غير هذا القائل حرّضه على أخذ بغداد ، فطلب ذاك منه أن ينصره أولاً على الكرج ويبقي بغداد لأنها سهلة الاستيلاء .

٥٠ — وجاء في ص ١٥٢ س ١ « وحج بالناس من العراق شمس فبزار (؟) مملوك الخليفة » . والصحيح « شمس الدين قيران » وهو أمير معروف له أخبار في الحوادث الجامعة وغيرها .

٥١ — وجاء في ص ١٦٣ س ١٢ « وفيها توفي الزين بن قفرجل (؟) » ، ولا حاجة الى الاستفهام بالخط فان ابن قفرجل من عائلة محدثة مشهورة ، والاسم « قفرجل » صحيح .

٥٢ — وجاء في ص ١٦٣ س ٢٠ « التقي بن ماسويه واسمه أبو الحسن علي بن أبي الفتح ... » والصحيح « ابن باسويه » بالباء في أوله لا الميم ، وهو من كبار المحدثين وقد ضبط اسمه هكذا زكي الدين عبد العظيم المنذري في كتابه « التكملة لوفيات النقلة » .

٥٣ — وجاء في ص ١٧٠ س ٢٤ « وذكره الزبني في تاريخه » والصحيح « الدبيثي » كما هو ظاهر وله ذكر كثير في هذا التاريخ لأنه من مراجعه ومراجع مرآة الزمان .

٥٤ — وفي ص ١٧٩ س ١١ « والجمال بن البلان (؟) » ولا حاجة الى الاستفهام فان البلاّن هو المدلّك للناس في الحمامات وعلى ذلك يصح أن يقال « ابن البلان » كما يقال « ابن القصاب وابن الحائك وابن الحمامي » .

٥٥ — وجاء في ص ١٨٧ ص ١١ — ١٢ « وكان أولاً معيداً لشهاب الدين الطوسي بمنازل ودرس ... » والذي أحفظه « منازل العز » وهي من مدارس الشافعية المشهورة بالقاهرة ، ولعل الواقف على طبع الكتاب يدحض ما علق بذهني .

٥٦ — وفي ص ١٨٨ — ٩ « مزّقت ترجمة الأديب المحدث المشهور أبي العرب اسماعيل بن حامد القوصي الملقب بشهاب الدين ، فقد ألحق شعره في ص ١٨٨ س ٢٢ بترجمة الفقيه ضياء الدين سقر (كذا ولعله سنقر) ابن يحيى بن سقر ، وفي ص ١٨٩ س ١ جاءت تتمة أخبار معجمه ، وبعد خمسة أسطر منها ورد خبر وفاته ، وهذا ترتيب ترجمته « توفي الشهاب القوصي ... ومن شعره ... وله معجم ... قلت طالعته ... » .

٥٧ — وجاء في ص ١٩٥ س ١٦ — ١٧ « الأمير بدر الدين بن الحسن (كذا) المعزي الميروقي » . وهو من أقارب الميروقي الملك المشهور ببلاد المغرب » والصواب « المغربي » نسبة الى المغرب و « الميورقي » نسبة الى جزيرة ميورقة في شرقي اسبانية ، والميورقي الملك مشهور في التاريخ وحارب الموحّدين وحاربوه .

يتبع : مصطفى جواد

المؤتمر الحادي والعشرون للمستشرقين

انعقد مؤتمر المستشرقين الحادي والعشرون في بناء المعهد الوطني للعلوم السياسية بباريس وإلى القراء البرنامج الموجز لجلساته :

الجمعة في ٢٣ تموز ١٩٤٨ :

الصباح : استقبال أعضاء المؤتمر في مركز المعهد . ثم اجتماع حرّ بينهم .

بعد الظهر : الحفلة الافتتاحية .

انتخاب أعضاء اللجنة الاستشارية للمؤتمر .

اعلان المواضيع التي يدرسها المؤتمر

السبت في ٢٤ تموز

الصباح : جلسة لجان المؤتمر

بعد الظهر : استقبال بلدية باريس في بناء البلدية لأعضاء مؤتمر اللغويين وأعضاء مؤتمر المستشرقين .

الأحد في ٢٥ تموز

بعد الظهر : اجتماع عام في متحف «غيمه » Guimet

الاحتفال بذكرى مرور خمسين عاماً على المدرسة الفرنسية في الشرق الأوسط .

أعمال اللجنة الفرنسية للحفريات في بلاد الأفغان .

زيارة المتحف .

الاثنين في ٢٦ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر

بعد الظهر : زيارة متحف الخطوط والكتب في الشرق والغرب في بناء المكتبة الوطنية .

زيارة معرض المجموعات الشرقية في قسم المداليات .

الثلاثاء في ٢٧ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف اللوفر .

اجتماع عام — محاضرة للسيد « دورم » قراءة الخطوط الهيروغليفية الجديدة في جبيل .

محاضرة الدكتور « بهادر الكيم » الحفريات في [كاراته پ] .

اكتشاف مفتاح قراءة الهيروغليفي الحثي .

محاضرة [بوسه ر] : المشاكل التاريخية من خلال نصوص [كاراته پ] .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الأربعاء في ٢٨ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة متحف [سارنوشى] ، معرض لايران (آخر ما دخل معرض طهران) .

الخميس في ٢٩ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

بعد الظهر : زيارة الوثائق الوطنية ، ومعارض المطبعة الوطنية ، ومعرض فرنسا في الصين للقرنين السابع عشر والثامن عشر ومعرض مؤتمر الدراسات البيزنطية .

الجمعة في ٣٠ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر .

السبت في ٣١ تموز

الصباح : اجتماع لجان المؤتمر ·

بعد الظهر : اختتام المؤتمر ·

عرض المقررات والمطالب (كمشروع اتحاد المستشرقين ،
واختيار مركز للمؤتمر الثاني والعشرين للمستشرقين وغيرهما)
والتصويت عليها ·

بيان بالكتب التي ستترجم

باشراف جامعة الدول العربية

Brockelmann.	Geschichte der arabischen Litteratur.
Creswell.	Islamic architecture.
Diorand.	Story of civilisation.
Keen.	The agricultural development of the Middle East. London, 1946, 126 p., 8 gr., pl.
Le Strange.	The lands of the Eastern Califate. Cambridge, 1905, 536 p., 10 pl.
Musil.	Northern Hejaz.
Migeon.	Histoire des arts Musulmans.
Nielsen.	Die Altarabische Kultur. 1927, 240 p.
Palencia (A. Conzalez).	Historia de la Literatura Arabigo Espanola. Barcelona, 1928, 356 p.
Sarton.	Introduction of the histosy of science.
Worthington.	A Middle East Science. London, 1946, 239 p. pl. Gravres
Zanbaur.	Manuel de Généalogie.
	Twentieth century Sociology edited by Georges Gurwitch and Wilbert Man (the Philosophical Library). New York.

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

تنويه أدبي

قررت لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية أن تنوه بخير الكتب المؤلفة سنة ١٩٤٧ — ١٩٤٨ في الأدب من شعر ، وقصص ، وبحوث ، ودراسات أدبية ولغوية على ألا يكون من بينها كتب مترجمة اللهم الا اذا كان الكتاب المترجم من أمهات الكتب التي تعود على الأدب العربي بفائدة وتضم اليه ثروة محققة ٠

والمرجو من الهيئات العلمية ودور النشر والمكتبات موافاة اللجنة بهذه الكتب أو افادتها باسمائها ونبذ عنها ٠

ARCHIVE

هدية الى دار الكتب الظاهرية

سلمت اسرة المرحوم العقيد المتقاعد السيد أحمد صدقي الكيلاني بوصية منه ، الى دار الكتب الظاهرية ، مكتبته البالغة ٧٧٨ مجلداً بين كتاب ومجلة ، رحمه الله وجزاه عن العلم والأدب خير جزاء ٠

الفهرس العام لمواد المجلد الثالث والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

آراء وأنباء ١٣٥ و٢٩٤ و ٤٥٧ و ٦٠٨
ابن قيم الجوزية ٣٦٣
ابن خلدون وتيمورلنك ١٥٩
ابو فراس الحمداني ٦٤
احياء فصيح اللغة ٤١
أدب الرصافي ٦٠٣
الأدب المصري القديم أو أدب الفراعنة ٢٩٠
ارشاد الأعارب الى تنسيق الكتب في المكاتب ٢٩١
الاشتقاق والتعريب (كتاب) ١٢٤
اعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م ١٣٥
أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون ١٣٧
اعضاء مراسلون جدد ٢٩٤
اعلان عن التنويه الأدبي ٤٧٩
الألفاظ السريانية في المعاجم العربية ١٦١ و ٣٢١ و ٤٨١
انتخاب عضو عامل جديد ٤٦١
انسان العيون ٤٧٣
الأب أنستاس ماري الكرملي ٦٠٨
الاونسكو ٤٠٢
البادية ٥٩٩
بغية الطلب في تاريخ حلب ٢٥١
بلادنا (فلسطين) ٦٠٠
بولونيا بين الماضي والحاضر ١٣٤
بيان بالكتب التي ستترجم ٦٣٤
بين الآثار الاسلامية ١٣٣
بين اللغة والنحو ٤٦٦
تاريخ المساجد الأثرية في مصر ١٣٠
تحفة العجائب وطرفة الغرائب (كتاب) ٥٥٥
تحقيقات معجمية ٥٤٤
تراجم اعيان دمشق ٤٥٠
التربية ، حقائقها واصولها الأولى ٤٥٣
ترتيب السعادات ٣١٦
التشريح الطبي الجراحي ٤٥٢
تصويبات في كتاب الاشربة ١٥٧
التقرير السنوي عن سير المعارف في العراق ١٢٨
تمويه الحقائق ٦١٧
تنويه أدبي ٦٣٥

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com